مركز جيل البحث العلمي

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة علمية دولية محكمة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي

Lebanon – Tripoli: Branche P.O. Box Abou Samra - www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com

ISSN 2311-5181

العام الثامن - العدد 71 – يناير 2021

بسم الله الرحمن الرحيم

ISSN 2311-5181

التعريف بالمجلة:

مجلة علمية دولية محكمة ومفهرسة تصدر شهريا عن مركز جيل البحث العلمي تعنى بالدراسات الإنسانية والاجتماعية، بإشراف هيئة تحرير مشكلة من أساتذة وباحثين وهيئة علمية تتألف من نخبة من الباحثين وهيئة تحكيم تتشكل دوريا في كل عدد.

اهتمامات المجلة وأبعادها:

مجلة **جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية** عبارة عن مجلة متعددة التخصصات، تستهدف نشر المقالات ذات القيمة العلمية العالية في مختلف مجالات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

تعرض المجلة جميع مقالاتها للعموم عبر مواقع **مركز جيل البحث العلمي**، بهدف المساهمة في إثراء موضوعات البحث العلمي.

مجالات النشر بالمجلة:

تنشر المجلة الأبحاث في المجالات التالية:

علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا، علم الاجتماع، الفلسفة التاريخ، علم المكتبات والتوثيق، علوم الإعلام والاتصال، علم الآثار.

تنشر مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية البحوث العلمية الأصيلة للباحثين في هذه التخصصات كافة مكتوبة باللغة العربية أو الفرنسية أو الإنجليزية.

المشرفة العامة / أ.د. سرور طالبي

المؤسس ورئيس التحرير: د. جمال بلبكاي

www.jilrc.com - social@journals.jilrc.com

هيئة التحرير:

أ.د عاصم شحادة علي(الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)

أ.د. علي صباغ (جامعة قسنطينة2 ،الجزائر)

د. بوطي محمد نورالدين (المدرسة العليا للأساتذة، القبة، الجزائر)

د.سامية ابريعم (جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، الجزائر)

د. يزيد شويعل (جامعة المديّة، الجزائر)

التدقيق اللغوي:

أ.م.د. ميعاد جاسم السراي (الجامعة المستنصرية، العراق).

د. عبلة حسن (جامعة لينكولن، نبراسكا ،الولايات المتحدة الأمريكية).

رئيس اللجنة العلمية: د.صونيا عيواج (جامعة باتنة 1، الجزائر)

اللجنة العلمية:

د. باللّموشي عبد الرّزاق (جامعة الوادي ، الجزائر)

د. بن الأخضر محمّد (جامعة زيّان عاشورالجلفة ، الجزائر)

د. جاب الله يوسف (جامعة المديّة ، الجزائر)

د. زين العابدين عبد الحفيظ (جامعة خميس مليانة، الجزائر)

د. سامية شينار(جامعة باتنة 1،الجزائر)

د. عبد الله ملوكي (جامعة سطيف 2 ،الجزائر)

د. علّة المختار(جامعة الجلفة، الجزائر)

د. قاسمي وفاء (جامعة باجي مختار، عنّابة ، الجزائر)

د. نجوى نايف عبد النّبي شكوكاني (الجامعة الإسلامية العالمية، ماليزيا)

أعضاء اللجنة التحكيمية الاستشارية لهذا العدد:

د. إبراهيم إسماعيل عبده محمد (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية).

د. أسماء سالم علي عريبي (الجامعة الأسمرية، ليبيا).

د. اليسع حسن أحمد (جامعة طرابلس، ليبيا).

د. حسن زريبة (جامعة قفصة، تونس).

د. سعيد علي (جامعة نغاونديري، الكاميرون).

د. سليمان فايز قديح (جامعة الأزهر- غزة، فلسطين).

د. علي سلطاني العاتري (جامعة تبسة ، الجزائر).

د. لطفية علي الكميشي (جامعة طرابلس، ليبيا).

د. وليد رفيق محمد العياصرة (جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية).

شروط النشر

ISSN 2311-5181

تقبل المجلة الأبحاث والمقالات التي تلتزم الموضوعية والمنهجية، وتتو افر فيها الأصالة العلمية والدقة والجدية وتحترم قواعد النشر التالية :

- أن يكون البحث المقدم ضمن الموضوعات التي تعنى المجلة بنشرها.
- ألا يكون البحث قد نشر أو قدم للنشر لأي مجلة، أو مؤتمر في الوقت نفسه، ويتحمل الباحث كامل المسؤولية في حال اكتشاف بأن مساهمته منشورة أو معروضة للنشر.
- أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:

- عنوان البحث باللغة العربية والإنجليزية.

- اسم الباحث ودرجته العلميَّة، والجامعة التي ينتمي إليها، باللغة العربية والإنجليزية.

- البريد الإلكتروني للباحث.

- ملخَّص للدراسة في حدود 150 كلمة وبحجم خط 12، باللغة العربية والانجليزية.

- الكلمات المفتاحية بعد الملخص.

- أن تكون البحوث المقدمة بإحدى اللغات التالية: العربية، الفرنسية والإنجليزية.
- أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (20) صفحة بما في ذلك الأشكال والرسومات والمراجع والجداول والملاحق.
- أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.
- أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:

- اللغة العربية: نوع الخط (Traditional Arabic) وحجم الخط (16) في المتن ، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (12).

- اللغة الأجنبية: نوع الخط (Times New Roman) وحجم الخط (14) في المتن، وفي الهامش نفس الخط مع حجم (10).

- تكتب العناوين الرئيسية والفرعية للفقرات بحجم 16 نقطة مثلها مثل النص الرئيسي لكن مع تضخيم الخط.

- أن تكتب الحواشي بشكل نظامي حسب شروط برنامج Microsoft Word في نهاية كل صفحة.
- أن يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلمي والثقافي.
- عند إرسال الباحث لمشاركته عبر البريد الالكتروني، سيستقبل مباشرة رسالة إشعار بذلك .
- تخضع كل الأبحاث المقدمة للمجلة للقراءة والتحكيم من قبل لجنة مختصة ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون.
- لا تلتزم المجلة بنشر كل ما يرسل إليها .

ترسل المساهمات بصيغة الكترونية حصراً على عنوان المجلة :

social@journals.jilrc.com

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

الفهرس

	الصفحة
• الافتتاحية	7
• و اقع تطبيق مبادئ السياحة الإلكترونية في الجزائر : دراسة ميدانية بالهيئات السياحية الوطنية، راضية بن نوي/جامعة باتنة 1، الحاج لخضر، الجزائر.	9
• تبيينُ الحقِ في أجلِ الخلقِ لمحمد فقهي العيني تحقيق ودراسة، محمد أحمد عبد المطلب عزب/جامعة المدينة العالمية، ماليزيا.	27
• و اقع إفريقيا جنوب الصحراء في مادة التاريخ بالتعليم الثانوي التأهيلي المغربي، عبد الحكيم مصلوح/ جامعة ابن طفيل، المغرب	43
• المدارس العتيقة بالجنوب المغربي بين الأدوار المجتمعية والإشعاع العلمي:حالة مدرسة تنكرت بإفران الأطلس الصغير، رشيد صديق/جامعة محمد الخامس الرباط المغرب - إجو بلمسيل/جامعة ابن زهر أكادير المغرب.	61
• بوادر التحول في قيم الشباب بالمغرب: نموذج قيم الزواج عند شباب مدينة الجديدة، محمد خيدون - الوالي كوبي/ جامعة شعيب الدكالي، الجديدة، المغرب.	79
• العوامل المؤثرة على خصوبة المرأة باستعمال الانحدار اللوجستي، .بلعروسي شريفة - راشدي خضرة /جامعة وهران 2، الجزائر.	95
• المساهمات الأندلسية في حركة التفسير بالمغرب الأوسط من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع، عبديش براهيم/جامعة غرداية، الجزائر.	111
• الإنسان الصحراوي بين التراث والمجال ، البشير البونوجي/المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين-كلميم واد نون، المغرب.	125
مقالات باللغات الأجنبيّة	
• **Telouet 18th century: A brief survey of a local manuscript documents about irrigation water** , Hamza Ait El Housseine/Cadi Ayyad University, Morocco.	149
• **La demeure traditionnelle de la médina de Chefchaouen : étude d'architecture et d'archéologie monumentale,** Riad BEN KHNOU, l'Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, Maroc.	163

ISSN 2311-5181

الافتتاحية

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، صلاةً تكون لك رضاءً ولحقه أداءً وأعطه الوسيلة والمقام المحمود الذي وعدته، والحمد لله الذي أخرجنا من ظلمات الجهل إلى أنوار العلم والمعرفة،أما بعد:

يسرّ أسرة تحرير مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية أن تضع بين أيدي القراء والباحثين العدد الواحد والسّبعين (71)، والذّي احتوى على دراسات مختلفة ومتنوعة باختلاف المتوجهين لها من ناحية التخصص، وهذا كله لتحقيق هدف أسمى ألا وهو دفع البحث العلمي نحو تحقيق الجودة العلمية.

هذا ويأمل فريق التحرير أن تفتح هذه البحوث والدّراسات آفاقاً للبحث العلمي الذي يحمل جودة عاليةً، انطلاقاً من أحد أهداف مركز جيل البحث العلمي المتمثلة في نشر ثقافة البحث العلمي وتعزيز مبادئها وقيمها، وكذا تشجيع البحوث والدراسات العلمية.

تبقى المجلة ملكاً للباحثين والقارئين، وكلها شرف بأي بحث يرسل لها خدمة للعلم والبحث العلمي.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل،،،

رئيس التحرير / د. جمال بلبكاي

تخلي أسرة تحرير المجلة مسؤوليتها عن أي انتهاك لحقوق الملكية الفكرية

لا تعبر الآراء الواردة في هذا العدد بالضرورة عن رأي إدارة المركز

© جميع الحقوق محفوظة لمركز جيل البحث العلمي

ISSN 2311-5181

واقع تطبيق مبادئ السياحة الإلكترونية في الجزائر : دراسة ميدانية بالهيئات السياحية الوطنية

The reality of applying the principles of e-tourism in Algeria
- Field study in the national tourism authorities -

أ.راضية بن نوي/جامعة باتنة 1، الحاج لخضر، الجزائر

Radhia Bennoui/ University of Batna1,Algeria

ملخّص :

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية السياحة الإلكترونية خاصة في عصر التكنولوجيا الحديثة، حيث تم إجراء هذه الدراسة لتبيان واقع تطبيق مبادئها في القطاع السياحي بالجزائر، بالاعتماد على طريقة المقابلة لجمع المعلومات اجريت على مستوى عينة من الهيئات السياحية الوطنية، وذلك لمعرفة مدى فعالية الجهود المبذولة لتطوير القطاع والانتقال إلى المفهوم الجديد للسياحة والذي فرضته بيئة الأعمال الإلكترونية. وقد انتهت الدراسة بمجموعة من النتائج أهمها أن التوسع في استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في القطاع السياحي أصبح ضرورة للنهوض بالقطاع، وأنه رغم الجهود المبذولة إلا أنها تعتبر غير كافية من أجل التطبيق الفعال للسياحة الإلكترونية، إضافة إلى تسطير مشاريع لإنشاء تطبيقات رقمية مستقبلا.

الكلمات المفتاحية : سياحة إلكترونية، بوادر السياحة الإلكترونية، أهمية السياحة الإلكترونية، الهيئات السياحية بالجزائر.

Abstract :

This study aims to highlight the importance of e-tourism, especially in the era of modern technology, as this study was conducted to demonstrate the reality of applying its principles in the tourism sector in Algeria. using the interview to collect information conducted at the level of a sample of national tourism authorities, in order to know the effectiveness of the efforts made to develop the sector And the transition to the new concept of tourism imposed by the e-business environment. The study concluded with a set of results, the most important of which is that the expansion of the use of information and communication technology in the tourism sector has become a necessity for the development of the sector, and despite the efforts made, they are considered insufficient for the effective application of e-tourism, in addition to underline projects to create digital applications in the future.

Key words: e-tourism, e-tourism signs, the importance of e-tourism, tourism authorities in Algeria.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

تمهيد :

إن السياحة الحديثة بشكلها الحالي تختلف اختلافا كليا عن السياحة في الماضي، فالسياحة في الماضي كانت متمثلة في الرحالة الذين كانوا يجوبون البلاد لاكتشاف جزء جديد من العالم أو باحثين عن التراث والآثار التاريخية، ولكن بعد دخول عصر الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات والطفرة الهائلة في وسائل النقل ودخول عصر الأنترنت تطورت السياحة واكتسبت شكلا جديدا وأهمية أكبر، وظهر ذلك جليا في زيادة اهتمام الدول بمثل هذا النشاط ومحاولة تنميته والاستفادة منه إلى أقصى درجة ممكنة حتى صارت السياحة في العالم عنوانا على عصر التقدم والتطور. إن اجتماع قطاعي التكنولوجيا الحديثة والسياحة معا أدى إلى ولادة قطاع جديد مشجع جدا سمي بالسياحة الإلكترونية e-tourism.

تعود بداية السياحة الإلكترونية إلى العام 1990 وذلك مع ظهور الـ: **(World Wide -www)** أي **(Web)** ودخول الأنترنت في سوق التجارة العالمي، وعلى كل قنوات التجارة إن كانت بين الشركات مباشرة **(B2B)** أو بين الشركات والمستهلكين **(B2C)** وحتى بين المستهلكين **(C2C)** وأول ممثل لهذا القطاع كان موقع "ديكريفتور Dégriftour" في عام 1991. ومن هنا نتجت إشكالية البحث التي تتمحور حول إبراز واقع السياحة الإلكترونية في الجزائر، والتي يمكن صياغتها في **السؤال الرئيس** الآتي: **ما هو واقع تطبيق الهيئات السياحية الوطنية لمبادئ السياحة الإلكترونية**؟ حيث يمكن صياغة **الفرضية** الآتية:

تعتبر الجهود التي تبذلها الهيئات السياحية الوطنية محل الدراسة في تطبيق مبادئ السياحة الإلكترونية غير كافية.

منهج الدراسة: من أجل استكمال إجراءات الدراسة الميدانية وجمع مختلف البيانات والمعلومات تم الاعتماد على المقابلة والتي أجريت على مستوى الهيئات السياحية الوطنية في الجزائر.

أهداف الدراسة.

- إبراز أهمية السياحة الإلكترونية مقارنة بالسياحة التقليدية ضمن متطلبات البيئة التكنولوجية الحديثة.
- تسليط الضوء على بوادر السياحة الإلكترونية في الجزائر وأهم النقائص التي تواجهها.
- التعرف على واقع استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في الهيئات السياحية الوطنية محل الدراسة.
- تحديد أهم المشاريع المستقبلية لتطوير تطبيقات رقمية في القطاع السياحي.

هيكل الدراسة.

للإلمام بمختلف جوانب الموضوع تم تقسيمه إلى **ثلاثة محاور** أساسية:

- **المحور الأول:** تطرق لمختلف المفاهيم النظرية حول السياحة الإلكترونية:
  - مفهوم السياحة الإلكترونية.
  - الفرق بين السياحة التقليدية والسياحة الإلكترونية.
  - أهمية السياحة الإلكترونية وأسباب انتشارها.

ISSN 2311-5181

- **المحور الثاني:** تطرق لبوادر السياحة الإلكترونية في الجزائر.
- **المحور الثالث:** دراسة ميدانية بالهيئات السياحية الوطنية.

المحور الأول: مفاهيم نظرية حول السياحة الإلكترونية.

I- مفهوم السياحة الإلكترونية.

يعتبر مفهوم السياحة الإلكترونية من المفاهيم الحديثة في علم السياحة الذي يتداخل ويرتبط ارتباطًا وثيقًا بمفهوم التجارة الإلكترونية الذي يتفاوت مفهومها من مفهوم ضيق يقصر التجارة الإلكترونية على عمليات تبادل السلع والخدمات عن طريق وسيلة إلكترونية أو وسيط إلكتروني، ومفهوم واسع يشمل إنجاز مختلف أنواع الأعمال عن طريق الشبكة الدولية للمعلومات بما في ذلك التعاملات بين الشركات والمستهلكين أو بين الشركات بعضها بعضا على شبكة الأنترنت[1]. بناء على ذلك، وبالرغم من أن مفهوم السياحة الإلكترونية من المفاهيم الحديثة في علم السياحة، إلا أنه ورد العديد من التعريفات.

I .1 - تعريف السياحة الإلكترونية.

تعرف المؤسسة الدولية السياحة الإلكترونية "بأنها تلك الخدمات التي توفرها تكنولوجيا المعلومات والاتصال بغرض إنجاز وترويج الخدمات السياحية والفندقية عبر مختلف الشبكات المفتوحة والمغلقة، بالاعتماد على مبادئ وأسس التجارة الإلكترونية؛ وتتعدى في الواقع مفهومها إلى أبعد من ذلك، فهي تشمل حتى السياحة المتنقلة (m-tourisme) المستخدمة للأجهزة الإلكترونية الجوالة كالهواتف المحمولة والمفكرات الإلكترونية المحمولة وغيرها، وبذلك فإن تكنولوجيا المعلومات والاتصال تستخدم من طرف جميع شركات القطاع السياحي من مؤسسات وهيئات وأفراد، وقد تستغل هذه التكنولوجيا في تشييد وإقامة كيانات سياحية يتطلب تشغيلها أيضا قدرا من المعرفة التكنولوجية لدى روادها، مثل الفنادق الذكية التي تعتمد في بنائها وإدارتها على تقنيات حديثة".[2]

وتعرف بأنها "استخدام الأعمال الإلكترونية في مجال السياحة والسفر واستخدام تقنيات الأنترنت من أجل تفعيل عمل الموردين السياحيين والوصول إلى تسهيلات أكثر فعالية للمستهلكين السياحيين" [3].

على ضوء ذلك يمكن تعريف السياحة الإلكترونية أنها تلك الخدمات التي توفرها تكنولوجيا المعلومات والاتصال بغرض إنجاز وترويج الخدمات السياحية والفندقية عبر مختلف الشبكات المفتوحة والمغلقة، بالاعتماد على مبادئ وأسس التجارة الإلكترونية، وتتعدى في الواقع مفهومها إلى أبعد من ذلك، إذ أصبح بالإمكان تسمية أي نمط سياحي بأنه إلكتروني إذا تم توظيف التقنيات الحديثة في عرض منتجاته وتقديمها للسائحين على الشبكة الرقمية. ويشمل ذلك كل المعاملات في هذا

---

[1] - محمد تقرورت، أهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تطوير الخدمات السياحية"، **الملتقى الوطني حول :السياحة والتسويق السياحي في الجزائر- الإمكانيات والتحديات التنافسية**، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، (25-26 اكتوبر 2009)، ص.7.

[2] - عامر عيساني، عيسى بوراوي، "التسويق الإلكتروني كآلية لتفعيل وترقية خدمات المؤسسات السياحية"، **مجلة الحقوق والعلوم الانسانية**، جامعة زيان عاشور، الجلفة، العدد الثامن عشر، 2014، ص. 8.

[3] - عامر ابراهيم قنديلجي، **التجارة الإلكترونية وتطبيقاتها**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 2015، ص. 275.

ISSN 2311-5181

النمط السياحي فالعروض السياحية تتم بصورة إلكترونية وقبولها من جمهور السائحين يتم بصورة إلكترونية، كما يتم الحجز وتنظيم كل ما يتعلق بالرحلات وخدمات ما بعد الاستفادة من الخدمة من خلال الوسائل الإلكترونية، وفي مقدمتها الأنترنت.

I .2- مراحل تجسيد السياحة الإلكترونية

تتطلب السياحة الإلكترونية لتجسيدها عمليا أربعة مراحل أساسية لصناعة المحتوى الرقمي، وهي:[1]

- تجميع المعطيات السياحية (عروض، أسعار، خرائط، تقارير،...).
- رقمنة المعطيات المجمعة باستخدام مختلف الوسائل التكنولوجية.
- نشر المعلومات المجمعة إلكترونيا عبر الويب، وعبر الوسائط الإلكترونية المتعددة، وبأكثر من لغة.
- تزويد الهيئات، الوكالات، الدواوين، الشركات السياحية والفندقية بوصلة انترنت موزعة شبكيا ومقبولة ومتوافقة مع حجمها (وبريد إلكتروني، فضلا عن الهاتف والفاكس).

وفي الحقيقة أن السياحة الإلكترونية، يجب أن تتولى الإشراف عليها هيئة وطنية من خلال بوابة إلكترونية جامعة لمختلف المنتجات والخدمات السياحية ذات العلاقة المباشرة أو غير المباشرة (كالبنوك والمصارف، والنقل والمواصلات برا وبحرا وجوا).

II - الفرق بين السياحة التقليدية والسياحة الإلكترونية.

غيرت السياحة الإلكترونية في الهيكل التقليدي لقطاع السياحة، والجهة التي تأثرت بشكل أساسي هم الوسطاء التقليديين في القطاع العام والخاص العاملين في النشاط السياحي، وهم[2]:

- وكلاء السفر والسياحة .
- منظمي الرحلات وشبكات الحجز والتوزيع الدولية.
- هؤلاء الوسطاء كان دورهم ينحصر في الربط بين منتجات مزودي الخدمات السياحية (فنادق، خطوط جوية، تأجير سيارات، مراكز جذب سياحي) ويقومون ببيعها على شكل حزم سياحية متكاملة للسياح. أما في ظل الأنترنت فالتواصل مباشر بين مزود الخدمة والمستهلك دون الحاجة للوسطاء هذا الأمر أدى إلى تلاشي دور مكاتب السياحة وتقلص دور الوسطاء.

أصبحت صفحات الأنترنت بديلا منطقيا للتسويق التقليدي، ففي قطاع السياحة الكلاسيكي، يتألف النموذج الاقتصادي من **ثلاث عناصر** هي[3]:

أ – المنتج: المستثمر أو مقدم الخدمة السياحية، من شركات النقل، الفنادق، المطاعم وغيرها.

ب -الموزع: منظموا الرحلات، وكالات السفر، ويطلق عليهم مصطلح الوسطاء.

---

[1] - ابراهيم بختي، محمود فوزي شعوبي، دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تنمية قطاع السياحة والفندقة، **مجلة الباحث**، ورقلة، العدد السابع، 2010، ص. 277.

[2] - المرجع نفسه، ص. 278.

[3] - عامر ابراهيم قنديلجي، مرجع سابق، ص. 277

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

ج – **المستهلك:** الفرد السائح المستفيد من الخدمة أو المنتج السياحي.

عموما في النموذج التقليدي ليست هناك علاقة مباشرة بين المستهلك والمنتج، بل كانت الخدمة تمر عبر الموزع، لكن في السياحة الإلكترونية الوضع يختلف مع وجود الأنترنت فقد أحدث تغييرا في النموذج الاقتصادي بحيث أن الوسيط قد لا يكون موجودا، فالعلاقة أصبحت مباشرة بين المستهلك والمنتج، وفي هذا النموذج الجديد أصبح يطلق على المستهلك مصطلح "**المستهلك الإلكتروني**".

لكن هذا لا يعني التخلي عن الوسطاء في الشبكة، بل هم موجودين ومحتفظين بمواقعهم في السوق الافتراضي، بمعنى الوسطاء النشطين في العالم الافتراضي، الذين يقومون بالأدوار الآتية من خلال الشبكة[1] :

- بحث وتقييم وانتقاء للمنتجات السياحية لتوزيعها.
- دراسة احتياجات السواح والبحث عن الاقتراحات المناسبة لهم.
- توزيع المنتجات السياحية فعليا للسواح.

وقد تحذف العلاقة المباشرة سلسلة التوزيع تماما، وقد تصبح الوساطة افتراضية بتعويض الموزع التقليدي بموزع جديد افتراضي ينشط من خلال الشبكة، فوصول المستهلك إلى موقع الشركات المنتجة عن طريق محرك بحث معين أو عن طريق موقع ويب آخر، يعتبر حالة وساطة، وعموما تنتج حالة الوساطة عندما يدرج وسيط جديد بداخل سلسلة التوزيع، ويمكن أن تنتج الوساطة عن وجود وسطاء يبحثون عن أحسن منتج أو خدمة لتلبية رغبة كامنة عند مستهلك معين بما يتماشى مع ذوقه واختياراته، وهنا يلجأ الوسيط إلى استخدام وسيط اعلامي "Infomédiation "[2].

فعالية شبكة الأنترنت كوسيط تجاري جعلت للمنافسة بعدا آخرا، حيث أصبح استخدام التكنولوجيا في المجال السياحي أحد العوامل التي تستند إليها الشركات في تدعيم المنافسة والتميز بالسوق وبالتالي فإن قواعد المنافسة تفرض أهمية وضرورة الالتجاء إلى تقنيات المعلومات والاتصالات في أعمالها حتى يمكنها الصمود في مواجهة المنافسين الذين يبتكرون أساليب متجددة لجذب العملاء وأداء وممارسة أنشطتهم.

III - أهمية السياحة الإلكترونية وأسباب انتشارها.

يعود تطور القطاع السياحي وانتشار السياحة الإلكترونية إلى عدد من العوامل وهذا ما نتج عنه منافع ضخمة سواء لمقدمي الخدمات السياحية أو للسائحين أنفسهم، والتي تسهم في تجاوز الحواجز التقليدية في المعاملات السياحية النمطية.

[1] - عز الدين سليم، الانترنت كنظام عالمي لدعم السياحة وتطبيقها، أكاديمية الدراسات العليا، **مجلة العلوم المالية**، الأردن، 2010، ص28

[2] - ابراهيم بختي، محمود فوزي شعوبي، مرجع سابق، ص. 278.

ISSN 2311-5181

III .1- أهمية السياحة الإلكترونية.

توفر السياحة الإلكترونية منافع كثيرة سواء لمقدمي الخدمات السياحية أو للسائحين من أهمها[1]:

- تأمين المعلومات التي تعتمد عليها صناعة السياحة على مدار الساعة في اطار تعدد أماكن البحث عن المعلومات (في العمل، في المنزل...الخ) حيث تتسم الخدمات السياحية بأنها منتجات تتباين فيها المعلومات بشكل كبير فلا يمكن قياس جودتها إلا بالتجربة، وأنها تعتمد بالأساس على ثقة السائح في جودة الخدمات السياحية التي تقدمها الشركات السياحية[2]. وبالتالي أصبح بإمكان المستهلك السياحي الحصول على جميع البيانات والمعلومات التي يحتاجها عن المنتج السياحي من خلال شبكة الأنترنت، ويشمل ذلك معلومات عن الطيران والفنادق والبرامج السياحية وأماكن تأجير السيارات.. إلخ [3].

- تحقيق رغبات السائح وإرضاء احتياجاته الأساسية، وذلك من خلال إمكانية قيام السائح بإجراء العديد من المقارنات بين المواقع السياحية المختلفة واختيار الأنسب منها دون أن يحتاج إلى الانتقال من مكان إلى آخر. وتتيح شبكة الأنترنت ذلك من خلال أشكال متعددة تشمل المعلومات التفصيلية المكتوبة والمصورة التي يستطيع السائح من خلالها زيارة الأثر أو تصفح المنتج بنفسه، أو حتى إمكانية قيام السائح بتصميم البرنامج السياحي الذي يرغب فيه دون التقيد ببرنامج مُعد سلفاً ووفقاً للتكلفة التي يستطيع دفعها[4].

- يؤدي استخدام السياحة الإلكترونية إلى تقليل تكاليف الخدمات السياحية مما ينعكس بدوره على الأسعار بالانخفاض، فاستخدام السياحة الإلكترونية من شأنه التقليل من تكاليف التسويق السياحي (الاتصال بالسائحين، وبث المعلومات السياحية)، وتكاليف الإنتاج (تسهيل وتسريع التواصل بين منتج الخدمة السياحية والوسيط)، وتكاليف التوزيع (تسهيل إجراء الصفقات مع شريحة كبيرة من المستهدفين)، بالإضافة إلى خفض حجم العمالة مما يحقق وفر إضافي في تكاليف الإنتاج والتشغيل. فيمكن للسائح تسلم تذاكر الطيران الإلكترونية أو قسيمة التبادل الخاصة بحجز أحد الفنادق من خلال بريده الإلكتروني[5]. حيث أن السعر والخدمات المقدمة للعميل أثناء عملية الحجز هي من العوامل المهمة للتنافس، إلا أن منتجي خدمات السياحة والوسطاء يتنافسون وبشكل متزايد على الثقة الموجودة في ذهن المستهلك، وذلك من خلال التركيز على جودة المعلومات التي يزودون بها المستهلك، حيث أن صناعة السياحة أدركت أن الأنترنت تستطيع أن تشبع الحاجة الضرورية للمعلومات في المراحل المختلفة من دورة حياة السياحة أفضل بكثير من أي تكنولوجيا أخرى[6].

- سهولة تطوير المنتج السياحي وظهور أنشطة سياحية جديدة تتفق مع شرائح السائحين المختلفة، وذلك من خلال قياسات الرأي التي يمكن من خلالها معرفة التوجهات السياحية الجديدة والخدمات الأساسية والمكملة التي يحتاجها السائحون[7]. حيث ان الكثير من الزبائن ممن يعبرون عن آرائهم ويطرحون انتقاداتهم من خلال المواقع المتخصصة على شبكة

---

[1] - أحمد حمد الله السمان، التجارة الإلكترونية وتنمية الصادرات ، **سلسلة أوراق اقتصادية** (جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، العدد 24، فبراير 2005)، ص ص 7-9.

[2] - محمد عبد الحسين الطائي، **التجارة الإلكترونية: المستقبل الواعد للأجيال القادمة**، دار الثقافة، الأردن، 2010، ص. 382

[3] - حمزة درادكة وآخرون، **مبادئ السياحة**، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الاردن، 2014، ص ص.88،87.

[4] - عمر جوابرة الملكاوي، **التسويق الفندقي**، الوراق للنشر والتوزيع، الاردن، 2012، ص. 170

[5] - عامر ابراهيم قنديلجي، مرجع سابق، ص. 278.

[6] - زكريا أحمد محمد عزام،" أثر استخدام التجارة الإلكترونية كأداة تغيير على أداء صناعة وكلاء السياحة والسفر -حالة الأردن"، **الملتقى الدولي حول الإبداع والتغيير التنظيمي في المنظمات الحديثة**، جامعة سعد دحلب- البليدة، الجزائر، (12-13 ماي 2010)، ص. 25.

[7] - حمزة درادكة وآخرون، مرجع سابق، ص. 88.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

الأنترنت، والمفروض أن تكون هذه الآراء موضع اهتمام وتساعد في تحسين العروض، كما أنها أداة مجانية لتقييم ومراقبة نوعية الخدمة، وتحديد نقاط الضعف والقوة[1].

– زيادة القدرة التنافسية للشركات السياحية بما يسهم في زيادة مبيعاتها وإيراداتها وأرباحها، وهو ما ينعكس في النهاية على زيادة القيمة المضافة للقطاع السياحي في الناتج المحلى الإجمالي[2].

– توفر فرصا وخيارات متنوعة من حيث مواعيد رحلات الطيران وأنواع الفنادق وأسعارها والدول المقصودة ونوع السياحة المطلوبة سواء كانت تاريخية أو ترفيهية أو غيرها في وقت قصير بدلا من مراجعة مكاتب السفريات. كما تجعل السياحة الإلكترونية السائح يعيش تجربة السفر من خلال التجول في الأماكن التي يريد السفر إليها بعيدا عن عوامل أخرى ممكن أن تؤثر على اختياره في مكاتب السفريات[3].

– استخدام السياحة الإلكترونية دليل على تقدم البنية التكنولوجية والخدمات الإلكترونية في البلد المعني، بما يسهم – ضمن عوامل أخرى– في زيادة الاستثمارات الأجنبية وفى تمتع بنية الأعمال الحكومية والخاصة بالمصداقية في التقارير الدولية [4].

III .2- أسباب انتشار السياحة الإلكترونية.

أسهم في زيادة انتشار هذا المفهوم وتطبيقاته المختلفة عدة عوامل أهمها:

- **التطور العلمي والتكنولوجي**: إن حجم السياحة الإلكترونية في ازدياد مطرد تبعًا لزيادة استخدام جهاز الكومبيوتر والبريد الإلكتروني وجهاز التليفون المحمول والتليفزيون الرقمي التفاعلي، وكلما ازدادت هذه التقنيات وتكاملت معها مواقع الأنترنت(sites web) والخوادم الإلكترونية (serveurs) وعدد المشتركين على شبكة الأنترنت وازدادت سرعة الاتصال كلما ازداد حجم هذا القطاع السياحي الحديث[5].

– **المنافسة بين جهات العمل**: تلعب المنافسة بين جهات العمل المختلفة للوصول إلى الأسواق في أسرع وقت ممكن وبأكبر قدر من الخدمات السياحية خاصة مع عرضها على نحو مميز دورا رئيسا في تطوير السياحة الإلكترونية بكل أنواعها ومراحلها وينطبق ذلك على المنافسة في السوق الوطنية أو على المستوى العالمي[6].

– **ارتفاع نسبة إسهام السياحة الإلكترونية في إجمالي التجارة الإلكترونية الدولية**، وما ينتج عن دمج هذا المفهوم في البنى المؤسسية للهيئات المعنية بالسياحة من تخفيض في تكاليف الخدمات السياحية المقدمة وبالتالي الأسعار، وتطوير

---

[1] - عمر جوابرة الملكاوي، مرجع سابق، ص. 169.

[2] - خالد كواش، نوال قمراوي، دور السياحة الإلكترونية في تنمية القطاع السياحي في الجزائر بالرجوع الى تجارب بعض الدول العربية، **مجلة علوم الاقتصاد والتسيير والتجارة**، العدد الثامن والعشرون، 2013، ص. 8.

[3] - محمد تقرورت، مرجع سابق، ص.9.

[4] - محمد عبد الحسين الطائي، **التجارة الإلكترونية: المستقبل الواعد للأجيال القادمة**، دار الثقافة، الاردن، 2010.، ص. 384.

[5] - عبلة بزقراري، دليلة بركان، "المواقع الإلكترونية كأداة لتسويق وترويج الخدمات السياحية دراسة حالة مديرية السياحة لولاية بسكرة"، **الملتقى الدولي حول اقتصاديات السياحة ودورها في التنمية المستدامة**، جامعة محمد خيضر-بسكرة، الجزائر، (09-10 مارس 2010)، ص. 7.

[6] - أحمد عبد الخالق، **المنافسة الدولية وتحرير التجارة العالمية وأسواق العالم الثالث**، دار النهضة العربية، القاهرة، 2004، ص.65.

ISSN 2311-5181

المنتج السياحي المقدم واستحداث أنشطة سياحية جديدة تتفق مع شرائح السائحين المختلفة، وذلك فضلا عن زيادة القدرة التنافسية للشركات السياحية، وما يترتب عليها من زيادة في القيمة المضافة للقطاع السياحي في الاقتصاد القومي[1].

– القطاع السياحي يعتبر من أنسب القطاعات الخدمية التي يمكن أن يطبق عليها مجال الخدمات الإلكترونية لأن المنتج السياحي منتج مركب يتكون من أكثر من عنصر، بحيث يمكن تحويله إلى منتج شامل أي رحلة شاملة Package Tour وإرساله إلى العميل عن طريق استخدام شبكة الأنترنت، مع إبرازه في صورة جيدة تتلاءم مع رغبات العميل.[2]

المحور الثاني: بوادر السياحة الإلكترونية في الجزائر.

دخلت الجزائر في السنوات الأخيرة في مرحلة متسارعة من خلال مواكبة التطور الهائل في مجال التكنولوجيا على المستوى العالمي وانعكاسه على الجزائر، وخاصة مع تطور نظام الجيل الثالث G3 على الأجهزة الذكية وبعده ولوج نظام الجيل الرابع G4 وتغطيته تدريجيا للتراب الوطني، حيث أن هذه التطبيقات تدخل على السياحة لتعطيها اتصالا أكثر وترويجا للمنتجات، حيث أن أغلب الفنادق في الجزائر لها مواقع إلكترونية يمكن الحجز عبرها.

إن البنية الحسنة لا يمكنها أن تعطينا ثمرة طيبة ما لم تكن مدعمة بعمل جاد ولهذا يتطلب على الجزائر اتخاذ الاجراءات اللازمة والضرورية من أجل فتح المجال لتطوير التجارة الإلكترونية إذ أن قيام السياحة الإلكترونية مربوط بقيام التجارة الإلكترونية وبالتالي فإن تطوير وتنمية السياحة مربوط بتطوير التسويق والتجارة عبر الأنترنت. وفي حال الجزائر نجد التجارة الإلكترونية ضعيفة مقارنة بالدول الأخرى والمجاورة، وبالتالي ضعف السياحة الإلكترونية كونها جزء من التجارة الإلكترونية، ومن بين النقائص والمعيقات نذكر ما يلي[3]:

1- **غياب البيع عبر الخط يكبح السياحة الإلكترونية في الجزائر:** إن بيع المنتجات والخدمات السياحية هي تجارة لا تزال بطيئة في الجزائر، حيث أن قلة المواقع السياحية المتخصصة في هذا المجال ينعكس على ذلك وحتى إن وجدت مواقع لدى بعض الوكالات السياحية أو الفاعلين في النشاط السياحي، فإنها لا تهتم كثيرا بتسويق ورواج منتجاتها فهي فقط تعرض مواعيد لرحلات ووجهات وخدمات أخرى. والسبب في ذلك يعود الى بطء عملية التجارة الإلكترونية والتعامل الرقمي في الجزائر، كما أن غياب المنافسة بين الفاعلين في السياحة لا يؤدي إلى البحث عن التميز واكتشاف أساليب جديدة، وابتكار طرق للتواصل مع العملاء.

2- **تمثيل محدود للوكالات السياحية على الخط:** لا تزال الوكالات السياحية بعيدة عن المنافسة الحديثة من منظور المنظمة العالمية للسياحة سواء عالميا أو اقليميا أو حتى مغاربيا، حيث أنها من خلال المواقع القليلة الموجودة لبعض الوكالات والتي تعرض من خلالها خدماتها ووجهاتها المقترحة فقط، وقد يتجاوز البعض ذلك في طرح عملية الحجز للرحلات والفنادق الموجودة في المنطقة، في حين تغيب التطبيقات الحديثة في مواقعها. وقد قامت وزارة السياحة بمبادرة في نهاية سنة 2010

---

[1] - حدة رايس، جنان عبد الحق، زينب بن التركي، "السياحة الإلكترونية ودروها في تنشيط القطاع السياحي"، **الملتقى الدولي حول اقتصاديات السياحة ودورها في التنمية المستدامة**، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، (9-10 مارس2010)، ص.6.

[2] - زكريا أحمد محمد عزام، مرجع سابق، ص. 24.

[3] - السعيد بن لخضر، صورية شني، " الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة لتحقيق السياحة الرقمية وواقعها في السياحة الجزائرية"، **مجلة آفاق علوم الادارة والاقتصاد**، المجلد 02، العدد الثاني، 2018، ص ص. 244، 245.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

باقتراح على الوكالات السياحية القيام بشراكات عالمية مع هيئات ومؤسسات متطورة في هذا المجال. إلا أن هذه الوكالات لم تتجاوب خوفا من بعض التكاليف لتحسين مواقعها.

3- عدم مواكبة الفاعلين في السياحة للتطورات الحاصلة في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

4- **غياب المقاربة ما بين قطاعي السياحة والبنوك:** تعاني السياحة الإلكترونية في الجزائر كثيرا من جراء غياب المقاربة ما بين قطاعي السياحة والبنوك، الأمر الذي جعل المؤسسات السياحية تخسر الكثير من زبائنها، فالحجز الإلكتروني لوحده ليس كافيا لجعل المستهلك السياحي يبقى وفيا لهذه الوجهة السياحية في ظل المنافسة الشديدة الأجنبية. وتعتبر هذه المقاربة المتمثلة في الدفع الإلكتروني من الحلقات الضرورية التي يجب توفرها في العمل السياحي الإلكتروني، ويتم هذا من خلال ربط أنظمة الدفع الإلكتروني عبر الأنترنت بأنظمة الحجز والتوزيع، التي بواسطتها يمكن استخدام البطاقات الائتمانية والشيكات الإلكترونية في عملية التسوية الإلكترونية بين المتعاملين السياحيين والسياح عبر شبكة الأنترنت بواسطة مؤسسات معالجة البطاقات التي تسمى ببوابات الدفع.كما تساعد المتعاملين السياحيين من توسيع نطاق الأسواق السياحية بشكل عام، من خلال المساهمة في جذب سياح محتملين جدد فبواسطته يمكن التأثير وضبط السلوك المستقبلي للسائح، كما تساعدهم على رفع عائداتهم السياحية من خلال تنشيط المبيعات، وتخفيض التكاليف الثابتة، بالإضافة إلى توفير الراحة للسياح مستخدمي الأنترنت سواء من خلال توفير الوقت والجهد بالإضافة إلى انخفاض التكاليف.

إن غياب الدفع الإلكتروني في الجزائر، يعتبر من بين أهم العوامل الأساسية التي تدفع المستهلك السياحي الإلكتروني إلى إرجاء عملية الشراء الإلكتروني عبر شبكة الأنترنت، وهذا الإرجاء له أثر سلبي مباشر على المؤسسة السياحية الوطنية لأنه ليس لها أي ضمان بأن هذا السائح الذي قام بحجز خدمتها السياحية إلكترونيا لن يقوم بتغيير موقفه الشرائي. لهذا فعملية الحجز الإلكتروني غير كافية للتحكم في السلوك المستقبلي للسائح مستخدم الأنترنت. فمعظم السياح مستخدمي الأنترنت غالباً ما يقومون بتغيير خطط رحلاتهم الأصلية بغية تعظيم فوائدهم بما يحقق رغباتهم ويتناسب مع إمكانياتهم وهذا أثناء مرحلة التخطيط. وهذا بسبب الحرية النسبية المفترضة في تصرفات السياح في ظل غياب الدفع الإلكتروني، وهو يعتبر أيضا من بين أهم الأسباب التي تدفع بالسائح إلى تغيير وجهته السياحية[1].

المحور الثالث: دراسة ميدانية بالهيئات السياحية الوطنية.

I - إجراءات الدراسة الميدانية

قبل التطرق إلى واقع استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال وبيئة السياحة الإلكترونية في الجزائر، يتم أولا تحديد الاجراءات المنهجية للمقابلات التي أجريت على مستوى الهيئات السياحية الوطنية من خلال ابراز الحدود المكانية والزمنية بالإضافة إلى محتوى دليل المقابلة.

[1] - محمد بن ذهبية، محمد البشير مبيروك، "اثر الدفع الإلكتروني على تنمية اقتصاديات السياحة الاجنبية بالجزائر- دراسة بتحليل المزايا والتكاليف-"، **مجلة العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية**، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة جيجل، العدد الثالث عشر، 2015، ص. 67.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

I .1- الإجراءات المنهجية للمقابلات.

تم اختيار المقابلة والتي تعتبر أداة لجمع المعطيات وهي تسمح بالتحقق من الفرضية التي وضعناها في بداية البحث من جهة ومن جهة أخرى تسمح باستكشاف معطيات جديدة للتحليل والفهم من خلال الحرية المتروكة للمبحوث عن طريق الأسئلة المفتوحة وبالتالي ترك المجال للمبحوث في وضع التصريحات حول الموضوع بأقل تدخل من الباحث.

الحدود المكانية والزمنية للمقابلات.

تتمثل الحدود المكانية في الهيئات التي تم إجراء المقابلات فيها، أما الحدود الزمنية فتتمثل في الفترة التي امتدت خلالها هذه المقابلات، والتي يتم تحديدها فيما يلي.

أ- **الحدود المكانية.**

تم إجراء المقابلات في الهيئات الحكومية المكلفة بالسياحة في الجزائر كما يلي:

- وزارة السياحة والصناعات التقليدية: استهدفت المقابلات مسؤولي عدة مديريات ضمن وزارة السياحة:
  - مديرية الاتصال والتعاون.
  - مديرية الأنظمة الإعلامية والإحصائيات.
  - مديرية الاستثمار السياحي.

حيث يتواجد مقر الهيئة على مستوى الجزائر العاصمة.

ب- **الحدود الزمنية.**

متوسط المدة الزمنية لكل مقابلة مع كل مسؤول كانت ساعة واحدة كأقل تقدير.

I .2- تصميم محتوى دليل المقابلة.

تم تصميم مقابلة نصف موجهة من خلال صياغة مجموعة من الأسئلة، حيث يتم طرح الأسئلة على المسؤول المستجوب وترك مساحة من الحرية لتقديم تصريحاته مع تسجيل الاجابات كتابيا أو الاعتماد على تسجيل صوتي بعد الحصول على موافقة المبحوث، مع تدخل الباحث من حين إلى آخر حسب الحاجة من أجل توجيه المبحوث أو لتقديم استفسارات من أجل اقتناص معطيات إضافية قد تخدم الموضوع. وتتمحور أسئلة المقابلة حول استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصال في السياحة، بيئة السياحة الإلكترونية، إضافة إلى المشاريع المستقبلية لإنشاء تطبيقات رقمية.

II - تحليل محتوى المقابلات.

بعد المقابلات التي تمت مع المسؤولين في الهيئات الحكومية السابقة الذكر، تحصلنا على مجموعة من المعلومات والتوضيحات وذلك كالآتي.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

II .1- استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

تعتمد الهيئات على بنية الشبكات الرقمية في تعاملاتها. بالدرجة الأولى الأنترنت بقوة تدفق كبيرة لضمان الفعالية وربح الوقت، إضافة شبكة الأنترانت وهو مشروع قيد الانجاز حيث ذكرت الجهة المعنية أنه تم تجهيز كل الملحقات المادية بانتظار انطلاق تفعيل هذه الشبكة عمليا، أما عن شبكة الاكسترانت فانه مشروع مسجل في سنة 2019 بهدف ربط كامل الولايات والمديريات السياحية وغرف الصناعة التقليدية، ومدارس التكوين التابعة للقطاع (مدرسة الاوراسي، المدرسة العليا للسياحة، مدرسة الفندقة تيزي وزو، معهد الفندقة بوسعادة...). كما توفر الهيئات للموظفين والعاملين بها كافة التسهيلات والمعدات المادية لخزن ونقل وتداول المعلومات، والتي تتضمن الحواسب وكافة ملحقاتها، إضافة إلى البرمجيات التي تساهم في معالجة المعلومات وقواعد البيانات. وغيرها من أدوات ووسائل الاتصالات بعيدة المدى مثل الهاتف، الفاكس، اللوحات الإلكترونية ...وغيرها.

فيما يخص وسائل الاتصال الحديثة التي يتم استخدامها لتبادل المعلومات عن السياحة الجزائرية، فان الهيئات تعمل على تعزيز الاتصال المؤسساتي إضافة إلى العمل على تقريب الادارة من المواطن وفي ظل ذلك فانه تم تفعيل عدة أرضيات ومواقع الكترونية في تعاملاتها سواء مع الهيئات الحكومية، المؤسسات السياحية أو حتى السائح كما يلي:

- **بالنسبة للهيئات الحكومية:** كغرف الصناعة التقليدية والدواوين، مدارس التكوين التابعة لوزارة السياحة، المديريات السياحية وغيرها فإنها تعتمد على التواصل من خلال البريد الإلكتروني (yahoo, outlook, google...) بانتظار البدء في تجسيد شبكة الاكسترانت كما تم التحدث عنه آنفا.

- **بالنسبة للمؤسسات السياحية:** كالفنادق، المركبات السياحية والوكالات السياحية وغيرها، تم تخصيص عدد من المنصات الإلكترونية نذكر منها: (plateforme des agences de voyage) منصة وكالات السفر والسياحة والتي تسهل متابعة ملف واجراءات فتح الوكالات السياحية، (suivi des projets d'investissements plateforme) لمتابعة كافة مراحل انشاء مشروع سياحي كإنشاء فندق، أو حظيرة سياحية. (plateforme collecte des informations) المتابعة الشهرية للنشاطات السياحية والصناعات التقليدية والتي تتم على مستوى المديريات الولائية.

- **بالنسبة للسائح أو المواطن:** فقد تم تخصيص أرضية إلكترونية خاصة للترويج الإلكتروني للسياحة في الجزائر visitalgeria.dz من أجل ترقية الوجهة السياحية للجزائر وهي بوابة تم إطلاقها حديثا في 27 سبتمبر 2018 تعتبر دليلا سياحيا بامتياز يحوي كل المعلومات السياحية التي تخص الولايات الجزائرية بالتفصيل ولتسهيل التصفح تم إدراج ثلاث لغات، العربية، الفرنسية، والانجليزية ومشروع قريب لإضافة اللغة الأمازيغية. تهدف هذه البوابة إلى :

- التعريف بالتنوع السياحي الجزائري وأهم المقاصد المتوفرة من مناطق جغرافية، التنوع المناخي، الثروة المائية والحيوانية، المرافق السياحية، المعالم الأثرية، المتاحف، الأحداث الثقافية والتظاهرات، المشاهير الجزائريون، اضافة الى معلومات حول الطقس.
- الترويج لكل أنواع السياحة إلى جانب ابراز فن الطبخ وثراء الصناعة التقليدية.
- معلومات حول السفارات، البنوك وتحويل العملة.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

- معلومات حول التأشيرة وإجراءات الدخول الى الجزائر.
- إمكانية إجراء البحث عن وكالات السياحة أو الفنادق المصنفة وغير المصنفة أو المطاعم من خلال تحديد الولاية والمدينة في البحث للحصول على القائمة المتوفرة إضافة الى معلومات كأرقام الهواتف والموقع الإلكتروني الرسمي، البريد الإلكتروني إضافة إلى الموقع على الخريطة.
- توفير معلومات حول شركات النقل المتوفرة (النقل الجوي والبحري، النقل بالسكك الحديدية، وشركات سيارات الأجرة) حيث توفر أرقام الهواتف، البريد الإلكتروني، الفاكس، والعناوين.
- الحصول على قائمة بالرحلات والخرجات السياحية الوطنية المنظمة طيلة الأسبوع.
- توفير قائمة بالمراكز الحموية المتوفرة.
- إضافة إلى توفير خدمة الكتيبات والخرائط السياحية.

وبالتالي تعتبر منصة واحدة تجمع كافة المعلومات التي يحتاجها السائح والتي تسهل عليه عناء البحث وتساعده في تنظيم رحلته أو عطلته داخل الوطن.

كما تم ربط هذه البوابة بقناة يوتيوب يمكن الولوج إليها مباشرة من خلال البوابة نفسها تعتبر قناة ترويجية بدورها حيث تعرض فيديوهات حول الأحداث والمستجدات والنشاطات التي تتم على مستوى قطاع السياحة، اضافة إلى فيديوهات ترويجية وتقارير حول المناطق السياحية والسياحة في الجزائر، وغيرها من البرامج الخاصة بالسياحة والتي تروج لها.

تم ربط هذه البوابة أيضا بصفحة تويتر وصفحة فايسبوك تعرف هذه الأخيرة تفاعلا كبيرا حيث سجلت في غضون شهر من فتحها 10000 مشترك، تعرض هذه الصفحة بدورها كل المستجدات حول الأحداث السياحية والنشاطات كتنظيم صالونات داخل الوطن أو المشاركات في الصالونات والمعارض خارج الوطن للترويج للوجهة السياحية، تعرض كذلك صورا عن مناطق ومواقع سياحية اضافة الى التعريف بها وبأهم مميزاتها، تسمح هذه الصفحة بالتفاعل المباشر للمتابعين من خلال طرح تعليقاتهم ومشاركاتهم وتساؤلاتهم واستفسارتهم. توفر هذه الصفحة إضافة إلى ما سبق امكانية التفاعل والتواصل مع الحرفيين وأصحاب الصناعات التقليدية والمصورين الفوتوغرافيين وكذلك أصحاب الفنادق والوكالات بجعلها وسيلة لعرض ابداعاتهم ومنتجاتهم والعروض التي يقدمونها والترويج لها.

- إضافة إلى الأرضيات الرقمية أو المواقع الخاصة بالهيئات السياحية التي خصصت للتعريف بمهامها، آلياتها، المديريات الفرعية لها، نشاطاتها. والتي بدورها تعتبر وسيلة للتواصل والترويج للسياحة مثل: الموقع الرسمي لوزارة السياحة (mta.gov.dz) والذي يحوي بدوره معلومات حول السياحة الجزائرية والمناطق والمواقع، النشاطات والخرجات، الاتفاقيات المبرمة، الاستثمار في مجال السياحة وغيرها وهو موقع يتم تحيينه كل أسبوع. موقع الديوان الوطني للسياحة(ont-dz.org)، الديوان الوطني الجزائري للسياحة(onat.dz)، مجمع فندقة سياحة وحمامات(groupe-htt.com)، الوكالة الوطنية لترقية الصناعة التقليدية (anart.dz)، الغرفة الوطنية للصناعة التقليدية والحرف (cnam.dz). يتم ربط هذه الارضيات بصفحات على شبكات التواصل الاجتماعي لزيادة التفاعل وتقريب المعلومة من المواطن أو السائح. كما تحرص على تحديث هذه الصفحات في الوقت الحقيقي ونشر المستجدات.

ISSN 2311-5181

- **إضافة إلى ما سبق تم الاستعانة بتقنيات الابتكار وتكنولوجيا المعلومات والاتصال من خلال المخطط التوجيهي للتهيئة السياحية**، حيث تم تسجيل ما يلي:

- انجاز البوابة الإلكترونية لوزارة السياحة والصناعات التقليدية.
- رقمنة الادارة.
- تنظيم ورشة التنمية الاحصائية للسياحة بالتعاون مع منظمة السياحة العالمية(فيفري 2016).

كما تم دمج تكنولوجيا المعلومات والاتصال في مختلف الحركيات الخاصة بالمخطط التوجيهي للتهيئة السياحية SDAT[1] 2030 نذكر منها مايلي:

* **تفعيل تصميم استراتيجية التسويق وذلك باستخدام:** أدوات التسويق من قبل غالبية الإدارات السياحية (موقع الويب، صفحات فيسبوك، استخدام النشرات، الأقراص المدمجة...)

* **فيما يتعلق بتنفيذ خطة الترويج والاتصال**، تم تنفيذ ما يلي:

- دراسة، تنفيذ وتجهيز 25 مركز معلومات وتوجيه سياحي (centre d'information et d'orientation touristique CIOT) على مستوى 25 ولاية.

- قيام بعض الولايات بإعداد خطة الاتصال.

- تطوير البنية التحتية لمكاتب السياحة المحلية.

- زيادة عدد وكالات السفر والسياحة التي تصل إلى 220 2 وكالة سياحة وسفر في 31-12-2017

* **من حيث وضع نظام مستدام للمراقبة واليقظة السياحية: SPOET**، تم تجسيد ما يلي:

- إنشاء قاعدة بيانات بواسطة ANDT الوكالة الوطنية لتنمية السياحية (العملية قيد التنفيذ).

- إنشاء نظام معلومات جغرافية (SIG) قيد الإنجاز من طرف ANDT.

* **فيما يتعلق بتطوير مخطط جودة السياحة.**

لتطوير جودة العرض السياحي الوطني من خلال دمج التدريب والتعليم في مجال الاتصالات وتكنولوجيا المعلومات بما يتوافق مع تطور المنتج السياحي في العالم، يتضمن تحقيق الأهداف المستهدفة من خلال هذه الحركية **ثلاث عمليات** أو إجراءات:

- تنفيذ مخطط الجودة.

[1] - SHEMA DIRECTEUR D'AMENAGEMENT TOURISTIQUE.

ISSN 2311-5181

- تنفيذ مخطط تكوين جيد.

- الابتكار واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال.

II .2- بيئة السياحة الإلكترونية.

تعتبر البيئة الحالية مشجعة لتطبيق مبادئ السياحة الإلكترونية نظرا للانتشار الكبير والمتسارع لاستخدامات التكنولوجيا والشبكات الرقمية، حيث أن جل الهيئات والمؤسسات السياحية سواء الحكومية منها أو الخاصة تمتلك أرضيات رقمية ومواقع رسمية تعتمدها في تعاملاتها وفي تبادل المعلومات أو عرض منتجاتها، إضافة أن كل الأفراد في كل بقاع العالم يملكون على الأقل الحد الأدنى من المعارف التي تمكنهم من استخدام هذه التكنولوجيا في حياتهم اليومية، إذ نجد اليوم أن أصغر فرد في العائلة هو من يحدد ويختار الوجهة السياحية من خلال مقارنته للصور ومميزات كل عرض أو مقصد سياحي.

وبالتالي فإن المشكل الذي تطرحه البيئة والذي يعيق التطبيق الفعال لهذا النوع من السياحة هو كيفية ايصال المعلومة للسائح وكيفية جذبه واقناعه لضمان تفاعله، إضافة إلى كيفية تعريفه بهذه الأرضيات الرقمية الخاصة بالهيئات وتحفيزه ليجعل منها مرجعا خلال تنظيمه لرحلته السياحية وبحثه عن المعلومات عن وجهته. كما أن هناك مشكلا آخرا يعيق عملية السياحة الإلكترونية وهو عملية الدفع الإلكتروني والذي لازال يعتبر عائقا في الجزائر لإتمام التعاملات الإلكترونية، وهذا بدوره ينجم عنه عدم إمكانية الحجز الإلكتروني.

II .3- آفاق السياحة الإلكترونية في الجزائر

أ- **المشاريع المستقبلية لإنشاء تطبيقات رقمية أخرى.**

فيما يخص التطبيقات المستقبلية لمواكبة التحول الرقمي في مجال السياحة نذكر:

- انجاز دليل سياحي الكتروني في شكل تطبيق على الهواتف النقالة باشراك مؤسسات ناشئة مسيرة من طرف الشباب من خلال تقديم أفكار مبدعة في الاسفار وفي الترويج للوجهة السياحية الجزائرية.
- انشاء شبكة الانترانت والاكسترانت.
- مشروع البوابة الرقمية الخاصة بتسيير القطاع السياحي والصناعات التقليدية.
- تحديث للأرضيات: الخاصة بالوكالات السياحية، والخاصة بمتابعة المشاريع الاستثمارية.
- انشاء منصة رقمية للمرشدين السياحيين.
- انشاء ثلاثة مواقع الكترونية للتكوين والتعليم عن بعد، وتزويدها بمكتبات الكترونية.
- انشاء نظام معلومات خاص بقطاع الصناعات التقليدية بالتعاون مع وزارة البريد وتكنولوجيات الاعلام والاتصال.
- انشاء تطبيق web-sig وهو نظام معلومات جغرافية يسمح بإظهار نتائج البحث المشار اليها على الخريطة الخاصة بكل ولاية(مثلا بحث حول الوكالات، المراكز الحموية، الفنادق ...وغيرها).

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

ب- استعمال وسائل الدفع الالكتروني في المؤسسات السياحية.

وعيا بأهمية الدفع الإلكتروني باعتباره حلقة ضرورية لإتمام المبادلات الإلكترونية وبالتالي إعطاء دفعة للسياحة الإلكترونية، فإنه تم التوقيع على اتفاق تعميم استعمال وسائل الدفع الالكتروني في المؤسسات السياحية بين قطاعي السياحة والبريد والاتصالات السلكية واللاسلكية بهدف تحسين نوعية الخدمات التي توفرها الفنادق والتقليل من المعاملات النقدية والتقليدية[1].

وتم إبرام هذا الاتفاق بين متعاملي القطاع السياحي وهم مجمع فندقة وسياحة وحمامات معدنية(groupe HTT) والديوان الوطني للسياحة ont وسياحة وأسفار وكذا الفدرالية الوطنية لمستغلي الفندقة FNH والفدرالية الوطنية للجمعيات السياحية FNAT من جهة ومؤسسة بريد الجزائر من جهة أخرى، تحت إشراف وزير السياحة والصناعات التقليدية والعمل العائلي، ووزير البريد والاتصالات السلكية واللاسلكية.

تهدف الاتفاقية إلى تبني تقنيات الدفع الالكتروني التي تتيح لمرتادي هذه المؤسسات إمكانية تسديد قيمة الخدمات المقدمة لهم دونما الحاجة إلى حمل أو تداول السيولة النقدية.

وبموجب هذا الاتفاق، تسهل مؤسسة بريد الجزائر فتح الحسابات البريدية الجارية لصالح متعاملي المؤسسات السياحية، كما توفر مرافقة لهم في تنصيب أجهزة الدفع الالكتروني (TPE) التي تشتغل بواسطة بطاقة "الذهبية."

وللوقوف على مدى فعالية هذه العملية على أرض الواقع، قام كلا الوزيرين بتجريب الإطلاق النموذجي لاستخدام نهائيات الدفع الالكتروني (TPE) ونمط الدفع المستحدث عبر الهاتف النقال باستعمال رمز الاستجابة السريعة (QR code) وتطبيق الدفع "بريدي باي" " Baridi Pay " على مستوى إقامة مارينا "H3" بسيدي فرج.

وتضم هذه الاتفاقية العموميين والخواص.

إلا أنه تم الاشارة من خلال هذه الاتفاقية إلى المشكل الذي قد يعيق تطبيقها بفعالية نظرا لوجود نقص في التغطية الهاتفية، داعيين متعاملي الهاتف النقال إلى احترام دفاتر الشروط لتحسينها، إذ من غير المعقول تشجيع الدفع الإلكتروني في منطقة سياحية ولا توجد تغطية فيها.

خاتمة :

إن التحول إلى السياحة الإلكترونية هو شكل من أشكال تأثيرات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على قطاع السياحة، وهو تحول يوفر العديد من الفرص إذ يقلل من وطأة العقبات الجغرافية وتسمح بقيام علاقات مباشرة بين مختلف شرائح السياح من خلال المواقع الإلكترونية للشركات السياحية، وبظهور منافسين جدد إذ تمكن الشركات السياحية من أن تصبح منافسا ناجحا في الأسواق الدولية، وبالتالي أصبح لزاما عليها توفير المتطلبات اللازمة لتطوير تطبيقات السياحة الإلكترونية وتجاوز العقبات خاصة بالنسبة للدول النامية. خلصت الدراسة إلى جملة من **النتائج**، نذكر أهمها فيما يلي:

[1] - الاتفاقية تمت في يوم الاثنين 07 سبتمبر 2020 بالجزائر العاصمة.

ISSN 2311-5181

- تساعد تكنولوجيا المعلومات والاتصال في القطاع السياحي على تقديم خدمات سياحية متكاملة من خلال ما أتاحته تكنولوجيا الاتصال من تنسيق بين المنتجين والموزعين والوسطاء.

- تسهل تكنولوجيا المعلومات والاتصال عملية التفاوض وعرض خدمات سياحية عالية الجودة تحقق اشباع رغبات السائحين وولائهم، من خلال ورفع كفاءة العنصر البشري، تخفيض التكاليف، وتوليد قيمة مضافة للمنتج السياحي.

- أصبحت السياحة الإلكترونية ضرورة وبديلا منطقيا للسياحة التقليدية تفرضها بيئة الأعمال الإلكترونية،

- تحتاج السياحة الإلكترونية، إلى الإشراف عليها من طرف هيئة وطنية.

- تساهم السياحة الإلكترونية في زيادة القدرة التنافسية للشركات السياحية بما يسهم في زيادة مبيعاتها وإيراداتها وأرباحها، وهو ما ينعكس في النهاية على زيادة القيمة المضافة للقطاع السياحي في الناتج المحلى الإجمالي.

- من أجل تعزيز العمل المؤسساتي وتقريب الإدارة من المواطن عملت الهيئات السياحية على تفعيل عدة أرضيات ومواقع سياحية أهمها، بوابة الترويج للوجهة السياحية للجزائر(vistalgeria.dz) إضافة إلى تسطير مشاريع مستقبلية لإنشاء تطبيقات رقمية أخرى.

- لازالت الجزائر تعاني من نقائص ومشاكل عديدة تعيق التطبيق الفعال للسياحة الإلكترونية، أهمها غياب ثقافة التعامل الإلكتروني بين الهيئات السياحية والمستهلك فيما يخص خدمات السياحة الداخلية، إضافة إلى غياب عملية الدفع الإلكتروني والتي تعتبر حلقة ضرورية لإتمام عملية الحجز والتوزيع وتسوية التعاملات الإلكترونية، رغم المبادرة الايجابية التي سعى إليها الفاعلون في القطاع السياحي حول اتفاق تعميم استعمال وسائل الدفع الالكتروني في المؤسسات السياحية بانتظار نتائج تطبيقها على أرض الواقع خاصة مع وجود مشكل نقص التغطية الهاتفية.

ومن ثمة يتم تأكيد صحة الفرضية التي تم طرحها " **تعتبر الجهود التي تبذلها الهيئات السياحية الوطنية محل الدراسة في تطبيق مبادئ السياحة الإلكترونية غير كافية**".

الاقتراحات والتوصيات:

- ضرورة تفعيل وسائل الدفع الإلكتروني، والتوسع في استخدام بطاقات الائتمان وتعويضها للنقد.

- توفير بيئة قانونية وتشريعية للتجارة الإلكترونية بصفة عامة، والسياحة الإلكترونية بصفة خاصة، وتوفير وسط تعاوني مميز بين المؤسسات السياحية والجهات الحكومية المسؤولة والمعنية بالمجال.

- التركيز على تأمين السلامة والثقة بين المستهلك ومقدم الخدمة من خلال اتخاذ مجموعة من الاجراءات الوقائية لحماية المستهلك عبر الموقع الإلكتروني.

- التوسع في استخدام تطبيقات تكنولوجيا الأنترنت في قطاع السياحة والخدمات الأخرى المصاحبة، مما سيؤدي إلى تشجيع الزبائن على استخدامها، وهذا بدوره سيؤدي إلى حالة من قبول الزبائن للبيئة التكنولوجية الجديدة بكل تفاصيلها.

ISSN 2311-5181

- يجب أن تركز الهيئات السياحية في الجزائر باختلاف نشاطها على إنشاء مواقع إلكترونية فعالة ومتكاملة، من خلال تقديم محتوى متعدد اللغات لاستقطاب أكبر عدد من الجمهور، كما يجب أن يتسم الموقع بسهولة الاستخدام واحتوائه على كافة المعلومات ذات المصداقية التي يحتاجها المستهلك، إضافة إلى ضرورة القيام بجهود تسويقية إبداعية تمكن من انتشار الموقع الإلكتروني وتواجده في جميع محركات البحث العالمية المختلفة، والتركيز على ربط هذه المواقع مع مختلف الشبكات الاجتماعية ومنصات للحجز الإلكتروني.

قائمة المراجع

1- محمد تقرورت، أهمية تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تطوير الخدمات السياحية"، **الملتقى الوطني حول :السياحة والتسويق السياحي في الجزائر- الإمكانيات والتحديات التنافسية**، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، (25-26 اكتوبر 2009).

2- عامر عيساني، عيسى بوراوي، "التسويق الإلكتروني كآلية لتفعيل وترقية خدمات المؤسسات السياحية"، **مجلة الحقوق والعلوم الانسانية**، جامعة زيان عاشور، الجلفة، العدد الثامن عشر، 2014.

3- عامر ابراهيم قنديلجي، **التجارة الإلكترونية وتطبيقاتها**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الاردن، 2015.

4- ابراهيم بختي، محمود فوزي شعوبي، دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تنمية قطاع السياحة والفندقة، **مجلة الباحث**، ورقلة، العدد السابع، 2010.

5- عز الدين سليم، الانترنت كنظام عالمي لدعم السياحة وتطبيقها، أكاديمية الدراسات العليا، **مجلة العلوم المالية**، الأردن، 2010.

6- أحمد حمد الله السمان، التجارة الإلكترونية وتنمية الصادرات ، **سلسلة أوراق اقتصادية** (جامعة القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، العدد 24، فبراير 2005).

7- محمد عبد الحسين الطائي، **التجارة الإلكترونية: المستقبل الواعد للأجيال القادمة**، دار الثقافة، الاردن، 2010.

8- حمزة درادكة وآخرون، **مبادئ السياحة**، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، الاردن، 2014.

9- عمر جوابرة الملكاوي، **التسويق الفندقي**، الوراق للنشر والتوزيع، الاردن، 2012.

10- زكريا أحمد محمد عزام، " أثر استخدام التجارة الإلكترونية كأداة تغيير على أداء صناعة وكلاء السياحة والسفر_حالة الأردن "، **الملتقى الدولي حول الإبداع والتغيير التنظيمي في المنظمات الحديثة**، جامعة سعد دحلب- البليدة، الجزائر، (12-13 ماي 2010).

11- خالد كواش، نوال قمراوي، دور السياحة الإلكترونية في تنمية القطاع السياحي في الجزائر بالرجوع الى تجارب بعض الدول العربية، **مجلة علوم الاقتصاد والتسيير والتجارة**، العدد الثامن والعشرون، 2013.

12- محمد عبد الحسين الطائي، **التجارة الإلكترونية: المستقبل الواعد للأجيال القادمة**، دار الثقافة، الاردن، 2010.

ISSN 2311-5181

13- عبلة بزقراري، دليلة بركان، "المواقع الإلكترونية كأداة لتسويق وترويج الخدمات السياحية دراسة حالة مديرية السياحة لولاية بسكرة"، **الملتقى الدولي حول اقتصاديات السياحة ودورها في التنمية المستدامة**، جامعة محمد خيضر-بسكرة، الجزائر، (09-10 مارس 2010).

14- أحمد عبد الخالق، **المنافسة الدولية وتحرير التجارة العالمية وأسواق العالم الثالث**، دار النهضة العربية، القاهرة، 2004.

15- حدة رايس، جنان عبد الحق، زينب بن التركي، "السياحة الإلكترونية ودروها في تنشيط القطاع السياحي"، **الملتقى الدولي حول اقتصاديات السياحة ودورها في التنمية المستدامة**، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، (9-10 مارس2010).

16- السعيد بن لخضر، صورية شني، " الاعتماد على التكنولوجيا الحديثة لتحقيق السياحة الرقمية وواقعها في السياحة الجزائرية"، **مجلة آفاق علوم الادارة والاقتصاد**، المجلد 02، العدد الثاني، 2018 .

17- محمد بن ذهبية، محمد البشير مبيروك، "اثر الدفع الإلكتروني على تنمية اقتصاديات السياحة الاجنبية بالجزائر-دراسة بتحليل المزايا والتكاليف-"، **مجلة العلوم الاقتصادية والتسيروالعلوم التجارية**، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة جيجل، العدد الثالث عشر، 2015.

ISSN 2311-5181

تبيينُ الحقِ في أجلِ الخلقِ لمحمد فقهي العيني

Explaining the truth for the sake of creation By Muhammad Faqi Al-Aini

تحقيق ودراسة د. محمد أحمد عبد المطلب عزب/جامعة المدينة العالمية ، ماليزيا

Investigation and study: Dr. Mohamed ahmedabd. Elmoteleb azab/Al-Madinah International University/Malaysiya

ملخص :

هذه رسالة تتعلق بمسألة مهمة تتعلق بأحد أركان الإيمان الستة وهو القضاء والقدر، والمسألة مفادها: هل العمر يزيد، وينقص ؟ أم الأجل واحد مقدر لا زيادة فيه ولا نقصان؟ ومسألة زيادة العمر يطول فيها البحث، وتتنازعها أقلام المتكلمين والمحدثين على السواء، فالمحدثون يقفون فيها عند ظواهر النصوص، ويحاولون الترجيح بين ما يبدو متعارضا.

والمتكلمون يتناولونها باعتبار مسألة الكتابة والآجال المحددة سلفا، وما بين تنظير المتكلمين، وترجيحات المحدثين قد لا يجد القارئ شفاء لما في صدره تجاه هذه المسألة، فعني المؤلف هنا بالجمع بين المنهجين وإخراج هذه الرسالة.

الكلمات المفتاحية: العمر- الأجل – القدر- الإيمان- اللوح المحفوظ.

Abstract

This is a manuscript by a Turkish author, aimed at clarifying the point of view of age growth and decrease, and in the aforementioned hadiths there seems to be a contradiction between them.

The author has achieved the saying, and concluded that age is not increased after Allah's appreciation of him.

key words: Age - term - destiny - faith - preserved tablet.

ISSN 2311-5181

تمهيد:

يمثل العطاء الحضاري للأمة المسلمة حالة فريدة على مدار التاريخ كله، فلم يحفل المسلمون بتسجيل وقائعهم أو تشريعاتهم عبر مصورات ينحتونها على الجدران أو في بطون الجبال، ولم يضعوا في المساجد التي يرتادونها خمس مرات كل يوم صورًا أو مجسمات لأنبياء أو لأولياء مزعومين؛ كما هو الحال في كثير من دور العبادة عند غيرهم.

لقد استوعب المسلمون تمامًا ما جاء به الدين من حرمة تجسيم الشخوص، وانقادوا لذلك طواعية بلا ضجر. وانتقل عطاء الأمة من التجسيم والنقش والنحت، إلى التأليف والتدوين، مستلهمين طريقة القرآن، فصارت الأمة بالقرآن، وبما دونته من علوم خادمة له ولأوامره الدينية والدنيوية (أمة اقرأ)

هذه المخطوطة تحوي عدة رسائل، أغلبها للشيخ محمد فقهي العيني، وهو عالم تركي محقق، يكتب ويؤلف بالعربية والتركية، وهو حنفي المذهب، لكن رسالته التي بين أيدينا تنحو ناحية العقيدة أكثر منها لشيء آخر، وتعلقها بمسألة القضاء والقدر واضحة لا تخفى، وحين تصفحتها وجدتها تعالج مسألة تطرأ على الذهن غالبًا؛ هي: هل أعمال البر والصلة تزيد العمر والرزق؟ وإذا كانت تزيد فكيف تُتصور الزيادة مع سبق القلم بما هو كائن؟ وإذا كانت لا تزيد فكيف تُفهم الأحاديث المفيدة للزيادة؟ هذه المسألة شغلت كثيرًا من العلماء، ومعظمهم تحدث فيها عرضًا ضمن فنه الذي ينتمي له، وقد استوعبها المؤلف وجاءت رسالته شاملة لما كُتب قبله، طارحًا ما لا يستقيم ومنهج أهل السنة بدلالة الآيات، أو الأحاديث، أو اللغة، وهو ما دعاني لتحقيقها.

ورغم كون المخطوطة وحيدة لا ثاني لها، إلا أن النسخة التي وقفت عليها واضحة تمامًا، وخطها خط مشرقي جيد، وسقطها يكاد يكون نادرًا لا يخل بمعنى ولا يذهب بحكم، فصار الفؤاد مطمئنا لسلامة النص ووفاءه بغرض المؤلف، ولقد ساعدت نقول المؤلف من بعض المصادر التي أحلت عليها أو رجعت لها، وتحريه الدقة والأمانة على زيادة الاطمئنان والوثوق بالنص

ما من شك في أن مسألة زيادة العمر ونقصانه، والبركة فيه تحتاج إلى بيان وإيضاح، هل البركة والزيادة حسية أم معنوية، وهذا ما عنى به المؤلف ورمى إليه

تطرح هذه الرسالة عدة أسئلة بحثية كالآتي:

1- ما صلة الرسالة بقضايا علم الكلام الإسلامي؟
2- ما هو المنحى الي نحاه مؤلفها في معالجة المسألة التي طرحها؛ هل المنحى النقلي أم العقلي، أم جمعا بينهما؟
3- ما هي صلة هذه الرسالة بالتراث الإسلامي التركي، وعلمائه، الذين كانوا في قلب دولة الخلافة، وكيف كانوا يتعاطون مع أمور الدين؟

منهج البحث:

هذا البحث هو تحقيق لرسالة مخطوطة، والمنهج المتبع لتحقيق المخطوط يأتي في تحقيق نسبتها لصاحبها، ووصف النسخ المعتمد عليها ومنهج التحقيق

فهو منهج خاص بالمخطوطات لا يتعداها غالبا للبحوث المؤلفة

لقد اقتضت طبيعة هذه الدراسة تقسيمها إلى فصلين:

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

الفصل الأول: تناولت المؤلف بالترجمة، وقدمت وصفا للمخطوطة، والمنهج المتبع للتحقيق، وصورة للمخطوط.

الفصل الثاني: الدراسة والنص المحقق.

القسم الأول: الدراسة

ترجمة المؤلف

لعل من نافلة القول أن نذكر أن علماء الدولة العثمانية وشيوخها، لم يكونوا معروفين في المشرق الإسلامي، والخلافة العثمانية في مقرها كان بها فقهاء وعلماء على مستوى كونها دولة خلافة تقوم على شئون المسلمين في العالم كله.

يجمع المؤرخون على أن أول من حمل لقب المفتي الأكبر أو شيخ الإسلام في الدولة العثمانية هو شمس الدين فناري، وقد توفي سنة (843هـ) ولا يعرف أحد في مشرقنا الإسلامي عنه شيئا، لم يشتهر من علماء الدولة العثمانية سوى شيخ الإسلام مصطفى صبري (1373هـ)[1] آخر هؤلاء الكبار، ومحنته ومؤلفاته العربية[2]هي التي جعلته في الصفوة بين علماء المشرق، فضلا عن مجاورته لأعلام عصره في مصر، وربما لو وجد ظروف أسلافه ما عرفه المشرقيون، ولما اشتهر بينهم.

أقول: هذا حال الشيوخ الكبار، فكيف بمن دونهم من التلاميذ، ممن لم يكن رأس وظيفة كالقضاء، أو الإفتاء ؟!

لم يحظ مؤلف الرسالة التي معنا بعناية من المترجمين في المشرق، ومردُّ ذلك -لا شك - إلى كون المؤلف كان نزيل القسطنطينية، خاصة في فترة لم يكن الالتحام بين الحواضر الإسلامية والدولة العلية العثمانية كبيرًا، كما صار فيما بعد، حيث أغرى سلاطين بني عثمان العلماء باللحاق بعاصمة الخلافة، خاصة علماء الحنفية.

يضاف إلى هذا أن المؤلف كانت بعض كتاباته بالتركية القديمة، التي كانت تكتب بالحروف العربية، فوصولها للمشرق، كان صعبًا، من ناحية عدم الحاجة، وحيلولة اللغة، فضلا عن امتلاء المشرق بالعلماء الذين يؤلفون بالعربية الخالصة، ووفائهم بكل ما يحتاجونه في النوازل والقضايا الحادثة، وكونهم يؤلفون في كافة نواحي الفقه، فالحاجة لما هو غير مشرقي ليست ملحّة، إلا فيما هو جديد في بابه.

وقصارى ما وقفت عليه في ترجمته، ما كتبه صاحب معجم المؤلفين بقوله: (محمد فقهي(كان حيًا 1114هـ) (1702م) محمد فقهي العيني، فقيه، أقام القسطنطينية، من آثاره: الفوائد المحصة في أحكام كي الحمصة)(3)

فهذا ما كتبه كاتب عربي كان معنيا بالمؤلفين والمؤلفات عن الشيخ محمد فقهي، لا يصل لسطرين.

مكانته العلمية

إن مكانة الشيخ محمد فقهي، لن تتوقف على ندرة الترجمة أو قلتها، بل تستبين من خلال بعض مؤلفاته الأخرى، فقد دون كتابا في الفتاوى سماه (بهجة الفتاوى) باللغة التركية، كان من حسن الحظ أن كتب مقدمته باللغة العربية، وأفاد في مقدمته أنه كان تلميذًا مباشرًا لأحد فقهاء الدولة العلية المتولين خطة الإفتاء فيها، فقد صرح في كتاب (بهجة الفتاوى) أنه كان تلميذًا للشيخ عبد الله أفندي اليكشهري، واليكشهري كان مفتي السلطنة، فقد قال في صدر التأليف: (. أما بعد فيقول الفقير إلى الله

(1) انظر ترجمته في: الأعلام: للزركلي (7/ 236)

(2) كتب الشيخ كتاب موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، وهو موسوعة في بابه ومناقشاته المتعلقة بالإلهيات، والفكر الإسلامي، وهو كتاب لا يستغني عنه باحث في مجال الفكر أو مناقشة المنحرفين في بعض أبواب العقيدة.

(3)عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين، ط مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي، د.ت (11/ 131).

ISSN 2311-5181

الغني، محمد فقهي العيني، لله در علامة زماننا وفريد أواننا، منبع عيون الرواية....سالك الطريقة المستقيمة، مظهر الأحكام الربانية، مفتي السلطنة العثمانية مولانا: أبو الفضل عبد الله أفندي اليكشهري، فقد بذل عهده في الإفتاء لذوي الحاجات، وفتح أقفال أبواب الفقه الخيرات....) ثم يقول:(وإني لما استسعدت بخدمته العليا... وأخذت حظًا وافرًا من موائد فوائده وزخرًا طمورًا من مطمور عوائده... ومنتهى مقصودي أن أخدم بذلك حضرته العلية، وسدنته السنية، حتى يكون راضيًا عني، لأنه سبغ عليّ إحسانه، أسبغ الله عليه عفوه ورضوانه...)[1]

إن كلمات الشيخ فقهي حدت بي للبحث عن ترجمة لشيخه صاحب هذه المكانة، غير أن شيخه أيضا قد بخلت التراجم العربية بذكره أو إعطاء نبذة عنه، ولم يذكره له (أكرم كيدو) في كتابه فقد حاولت البحث عن ترجمة لليكشهري فلم أجد[2]، فصار حال الشيخ من حال التلميذ عند المترجمين المشارقة.

مؤلفاته

وقفت على مخطوط ضمت عدة كتب ورسائل للشيخ محمد فقهي العيني، جاء في أولها التصريح بأنه مؤلفها[3]،بل ربما كانت بخط يده، فمن محتويات ذلك المجموع:

1. رسالة (مناط النجا في أحكام الاستنجا) ألفه على مذهب السادة الحنفية مبينا كل ما يتعلق به.
2. رسالة بعنوان: حكم النتن والقهوة.
3. رسالة بعنوان: أحكام السقاية.
4. رسالة بعنوان: تجديد الإيمان.
5. رسالة بعنوان: عقيدة الطحاوي.
6. رسالة بعنوان: فيض الحي في أحكام الكي.
7. رسالة بعنوان: (فوائد ممحصة في أحكام كي الحمصة)
8. فضلا عن كتابه الآخر وهو باللغة التركية (بهجة الفتاوى)، وقد وقفت منه على ثلاث نسخ.

أخلاقه

تستبين أخلاق الشيخ فقهي ومكانته من مناقشاته مع علماء عصره، فقد تناول رسالة للشيخ عبد الغني النابلسي (1143ه) في أحكام (كي الحمصة)[4]، وهي رسالة مشهورة عند الحنفية، يقول: إنه ناقش علماء القسطنطينة حول ما ضمته هذه الرسالة وقضاياها، التي رأى أن فيها مجافاة للمستقر عليه في المذهب، ولغتها ركيكة ومسائلها مزخرفة لا غنية فيها[5]، ثم ألف رسالة قال إن غرضه هو: (هو إظهار الحق لا عيب الغالط، كما هو دأب الأسلاف من العلماء ذوي الإنصاف)[6].

(1) اللوحة الأولى من بهجة الفتاوى، مخطوط جامعة الملك سعود، برقم، (8164)

(2) مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية: ترجمة هاشم الأيوبي، منشورات جروس برس، لبنان، 1992

(3) المطلع على المخطوطة يدرك أنها بخط يده. أو أنها روجعت عليه، فإن بصدرها أنه كتبت عام 1114ه، وفي بعض الرسائل أشار لعبد الغني النابلسي قائلا معاصرنا، والنابلسي توفي سنة (1143ه)

(4) حققها الدكتور: سعود الشريم، وطبعتها دار البشائر، 2007.

(5) انظر المخطوطة رقم (4400) اللوحة رقم (51)

(6) لوحة (53) من المجموع

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

المخطوطة وصفها ونسبتها لمؤلفها

أولا: نسخة المخطوطة

تقع هذه المخطوطة كما أسلفت ضمن مجموع بمكتبة تشستربيتي، رقم (4400)، من الصفحة (77): (81) وقد كتبت بخط مشرقي واضح، في الصفحة الواحدة (23)سطرًا، يحوي كل سطر (11)كلمة تقريبًا، ولا يتضح فيها اسم الناسخ، والظاهر أنها بخط المؤلف نفسه.

ثانيا: نسبة المخطوطة

لا شك في نسبة المخطوطة إلى مؤلفها العلامة محمد فقهي العيني، كما صرح هو في بدايتها، وكما جاء في معجم المؤلفين (11/ 131)،وكما جاء في وصفها في فهرس تشستربتي (764/5).

ثالثا: منهج المؤلف

انتهج المؤلف في رسالته تلك منهجا عقديًا جعل الأحاديث منطلقة في التأسيس لما يريد، وتعرض للآيات المتعلقة بالمسألة شارحا وموضحا المراد، وجعل من أحاديث الباب مؤسسة لقضيته التي نحا حولها، وهي أن الأعمار مقدرة سلفًا لا زيادة فيها ولا نقصان، ثم شرح ما يتعلق بهذه المسألة، وتعرض لمسألةخبر الآحاد مغلبا ما يراه فيما يفيده في الاعتقادات.

ولم يخرج المؤلف في رسالته عما هو مقرر عند أهل السنة والجماعة في هذه المسألة إلا أنه فصّلها تفصيلا يرفع عنها كل إبهام.

رابعا: مصادر المؤلف ومنهجه

اعتمد المؤلف على مصادر عديدة، أولها: كتب الحديث، والذي ذكره منها مسند أبي حنيفة، ومعجم الطبراني ومسند ابن النجار، واستدل كثيرا بشرح المقاصد للتفتازاني، وحاشية شرح العقائد للخيالي، وتعديل العلوم لصدر الشريعة، وتفسير أبي السعود.

انتهى بعد عرضه المطول لأحاديث الباب والآيات المتعلقة، إلى ذكر ما تحتمله المسألة من معان، وناقش بعضها وأبطل ما يراه غير صحيح منها، ولم يخرج في مناقشاته عن منهج أهل السنة والجماعة، ناحيًا على المعتزلة مبطلًا ما قال به بعضهم.

منهج التحقيق

في سبيل تحقيق هذه الرسالة اتبعت الخطوات الآتية

أولا: نسخت النص، وحافظت على نص المخطوطة كما هو، حتى لو تيقنت خطأه، وأشرت في الهامش لما هو صواب يقينًا أو تغليبًا بقولي في التغليب (لعل).

ثانيا: نسخت الآيات القرآنية، وعزوتها في الهامش، بذكر السورة ورقم الآية.

ثالثا: خرجت جميع الأحاديث الواردة بذكر أرقامها في الكتب الواردة فيها، ولم أتوسع في مسألة التخريج لغنية القراء في هذه الآونة عن ذاك لسهولة التحقق عبر الوسائل الحديثة.

رابعًا: عزوت كل نقول المؤلف تقريبا لمواضعها التي وردت فيها، وبعضها عزوته لمخطوطات لم تطبع بعد، توفر وجودها عندي حال التحقيق.

خامسا: وضعت عناوين توضيحية وميزتها بين معقوفتين [هكذا] حتى لا تختلط بنص المؤلف وتوهم أنها من وضعه.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

سادسا: وضعت علامات ترقيم وفق الطريقة الحديثة تسهيلا على القارئ.

سابعا: وضعت فهارس للآيات والأحاديث الواردة في التحقيق.

هذا وأحمد الله تعالى أن وفق في إبراز هذا السفر لعالم تركي، لم تطبع له مؤلفات من قبل، عسى أن تكون فاتحة للولوج إلى التراث الذي خلفه علماء السلطنة العثمانية، في نواحي العلم المختلفة ،،،والحمد لله أولا وآخرًا

صورة اللوحة الأولى ، والأخيرة

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

القسم الثاني: النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الكبير المتعال، المنزه عن الشريك والمثال، الذي قدّر الآجال، وخلق الأعمال، تعالى عما أسند إليه القاصرون من القيل والقال، والصلاة والسلام على نبينا محمد أصدق المقال، وعلى آله وأصحابه هم أحسن الفعال، وبعد: فيقول الفقير إلى عفو ربه الغني، محمد فقهي العيني، نزيل قسطنطينة، قد اعتقد كثير من المحدثين، والمشايخ الصوفية أن أعمال البر كالصدقة وصلة الرحم تزيد العمر، وأن الفسق والظلم ينقصه، وحكموا بأن للخلائق أجلين: معلوم ومبرم، متمسكين بالأحاديث المشعرة بتعدد الأجل، وشاع بين الأنام كون ذلك الاعتقاد حقًا، مع أنه بعيد عن مذهب أهل السنة والجماعة، فلما أنعم الله تعالى علّي الوصول إلى الصواب في هذا الباب، ألّفت هذه الرسالة تحديثًا لهذه النعمة الجليلة، وسميتها «**تبيين الحق في أجل الخلق**»، والله المستعان وعليه التكلان، فنقول وبالله التوفيق:

[الأجل محتم لا يتقدم ولا يتأخر]

اعلم أن الأجل وهو آخر مدة الحياة واحد مقدر في الأزل بتقدير الله تعالى لا يزيد ولا ينقص، ولا يتقدم ولا يتأخر، تظاهرت على ذلك جمل من محكمات الآيات / الشريفة القرآنية، والأحاديث الصحاح النبوية وأقاويل العلماء الحنفية، أما الآيات فيقول الله تعالى في سورة آل عمران: **{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا}**[1]، وقوله تعالى في سورة الأعراف: **{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ }**[2]وقوله تعالى في سورة نوح: **{ إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}**[3] وغيرها من الآيات.

وأما الأحاديث فما رواه ابن مسعود رضي الله عنه أن أم حبيبة قالت: (اللهم متعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية. فقال رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم: « قد سألت الله تعالى بآجال[4] مضروبة، وأرزاق مقسومة، ولن يعجل الله شيئًا قبل حِلّهِ[5]، ولا يؤخر عن حِلّهِ، ولو كنت سألت الله تعالى أن يعيذك من عذاب النار أو عذاب في القبر كان خيرًا وأفضل »[6] وما روي أيضا أن النبي عليه السلام، قال: «يدخل الملك على النطفة بعد ما تستقر في الرحم أربعين أو خمس وأربعين ليلة، فيقول: يا ربي[7] أشقي أم سعيد ؟، فيكتبان، فيقولأي ربي: أذكر أم أنثى، فيكتبان ويكتب عمله وأثره وأجله

(1)آل عمران: آية 145.

(2) سورة الأعراف :آية 34

(3)سورة نوح: آية 4.

(4) كذا في المخطوطة بالباء والروايات كلها باللام (لآجال) وهو الصواب.

(5) قال النووي (حله) بفتح الحاء وكسرها. والفتح عند المغاربة، والكسر لغة المشارقة، والمراد: وجوبه وحينه. ينظر: المنهاج: للنووي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1392، 213/15.

(6) أخرجه مسلم بنحوه، برقم (2663)، ولفظه: ((عن عبدالله قال: قالت أم حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم: ((اللهم أمتعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية. قال فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودات، وأرزاق مقسومة، لن يعجل شيئا قبل حله أو يؤخر شيئا عن حله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرا وأفضل))

(7) كذا في المخطوط، بإثبات ياء الإضافة، وإثباتها لغة واردة. ينظر: الأصول في النحو (1/ 340)

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

ورزقه، ثم تطوى الصحف، فلا يزيد ما أمر ولا ينقص»[1]. وفي رواية محمد والحافظ والحارثي[2] عن أبي حنيفة أنه قال: حدثني يزيد بن عبد الرحمن الأودي[3]، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه، عن النبي عليه السلام، قال: «تكون النطفة أربعين ليلة ثم تكون علقة أربعين ليلة / ثم تكون مضغة أربعين ليلة ثم ينشئه الله تعالى خلقا فيقول الملك: أي رب؛ أذكر أم أنثى ؟ أسعيد أم شقي؟ ما أجله ؟ ما رزقه؟ ما أثره ؟ فيكتب ما يريد الله تعالى به» فالسعيد من وعظ بغيره، والشقي من شقى في بطن أمه[4].

هذا الحديث مما يصح الاستدلال به في باب الاعتقاديات؛ حيث رواه عنه عليه الصلاة والسلام سبعة عشر صحابيا، وروى عنهم بأكثر من أربعين طريقًا / كما هو مذكور في كتب الأحاديث[5].

[أقوال العلماء في الأجل]

وأما أقاويل العلماء فإنها متفقة على أن الأجل ليس بمعلق، ولا بمتجزئ ولا بمتعدد، بل هو واحد لا يزيد ولا ينقص، فالإماتة في الوقت الذي علم الله تعالى في الأزل، وقدر بطلان حياة الحيوان فيه بفعله وخلقه وتعيينه، وإليه الإشارة بقوله جلَّ وعلا: {**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ**}[6]، فإنه سبحانه وتعالى أثبت له لوازم الألوهية وخواصها، ونفاها رأسًا عن غيره مؤكدًا بالإنكار بقوله عز وجل: {**هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ**}[7]فمعنى ((يُمِيتُكُمْ)) يخلق الموت أو يقدره فيكم كما عليه أهل التفسير.

---

(1) أخرجه أحمد، برقم (16187) وصححه الأرناؤوط، ونحوه في البخاري برقم (6595)

(2) كذا بالمخطوطة، ولعل الصواب (والحافظ الحارثي) بإسقاط الواو، والحارثي هو: عبد الله بن محمد بن يعقوب بن الحارث بن خليل، توفي (340 هـ). ولم أقف على لفظ الحديث في الجزء المطبوع من مسند أبي حنيفة برواية الحارثي، وهو في مسند أبي حنيفة برواية ابن خسرو برقم (1236)ينظر: مسند أبي حنيفة، للحسين بن محمد بن خسرو، تحقيق: لطيف الرحمن القاسمي، المكتبة الامدادية - مكة المكرمة، الطبعة: الأولى 1431 هـ- 2010م.

(3) في مسند أبي حنيفة لأبي نعيم، ذكر يزيد بن عبد الرحمن، وقال الدولابي، لكنه قال: يقال: إن يزيد هنا هو غير الدولابي، وهو تابعي.

(4) ينظر: محمد بن الحسن الشيباني، الآثار (377/376/1)، واللالكائي، اعتقاد أهل السنة (4/ 704)

(5) هذا الحديث له طرق كثيرة، ومدارها على عبد الله بن مسعود، وحذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنهما

فقد أخرجه البخاري، برقم (3332)، (6594)، (7454) وأخرجه ومسلم، برقم (2037)، وأبو داود، برقم (4708) والترمذي، برقم (2137)، وابن ماجه، برقم (76) وأحمد (382/1، 414، 430) والحميدي، برقم (126) وأبو داود الطيالسي، وأبو يعلى، برقم (5157) وأبو نعيم في حلية الأولياء :387/8، 170/10، والطبراني في الصغير: 74/1، والبغوي في شرح السنة: 133/1.

(6) الروم: آية 40.

(7)الروم: آية 40

ISSN 2311-5181

وعلى كلا المعنيين هو منه تعالى على حسب علمه المتعلق بأحدهما معيّنا، فليس في جلب العمر وصرفه تأثيرًا لأحد، وليس التقدير: أن زيدا إن فعل كذا وإن لم يفعل كذا طال عمره[1]، قال صدر الشريعة[2] في شرح التعديل: لا يقال إنه يمكن أن يقدر الله تعالى أن زيدا إن أعطى الصدقة طال عمره، وإن لم يعط ينقص عمره، فيجوز أن يزيد العمر أو ينقص؛ لأنا نقول: الواقع لا ينح عن أحدهما معينا، فالمقدر عند الله تعالى ذلك الواقع. انتهى.

فثبت من هذا كله أن كل هالك مستوفٍ أجله، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتقدم ولا يتأخر، فمن قواعد الباب: أن المقتول ميّت بأجله[3]، أي موته كائن في الوقت الذي علم الله تعالى في الأزل، وقدرٌ حاصل بإيجاد الله تعالى من غير صنع للعبد مباشرة، ولا توليدا، وأنه لو لم يقتل لجاز أن يموت في ذلك الوقت أو لا يموت من قطع[4] بامتداد العمر ولا بالموت، يدل عليه ما عليه أهل السنة والجماعة، كما في كثير من الكتب الكلامية.

[الأحاديث التي تفيد زيادة العمر وتوجيهها]

هذا، أما الأحاديث الواردة في أن بعض الطاعات تزيد العمر، كقوله عليه الصلاة والسلام: «**لا يزيد في العمر إلا البر**»[5]. وقوله عليه الصلاة والسلام :« **من أحب أن يبسط له في رزقه ويؤخر له في أجله فليصل رحمه**»[6]. وقوله عليه الصلاة والسلام:

(1) ذهب لذلك بعض المفسرين، قال الشوكاني: قيل: المعنى: إن الله كتب عمر الإنسان كذا إن أطاع، ودونه إن عصى، فأيهما بلغ، فهو في كتاب) وهذا قول لابن قتيبة، قال: (إن الله تعالى يكتب أجل عبده عنده مائة سنة، ويجعل بنيته وتركيبه وهيئته لتعمير ثمانين سنة، فإذا وصل رحمه زاد الله تعالى في ذلك التركيب وفي تلك البنية، ووصل ذلك النقص فعاش عشرين أخرى، حتى يبلغ المائة، وهي الأجل الذي لا مستأخر عنه ولا متقدم)ينظر: تأويل مختلف الحديث: لابن قتيبة، تحقيق: محمد زهري النجار،، دار الجيل، بيروت، 1393 – 1972.

(2) هو: صدر الشريعة، عبيد الله بن مسعود بن محمود بن أحمد، المحبوبي، البخاري، الحنفي، ولد وتوفي في بخارى سنة، (747هـ) له كتاب " تعديل العلوم " و " التنقيح، ينظر: محمد بن الحسن اللكنوي، الفوائد البهية، صـ 109، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ، والزركلي، الأعلام (4/ 197).

(3) يشير إلى ما قاله شارح الطحاوية من قوله: (المقتول ميت بأجله، فعلم الله تعالى وقدر وقضى أن هذا يموت بسبب المرض، وهذا بسبب القتل) وجعل في مقابل هذا ما قالته المعتزلة: (المقتول مقطوع عليه أجله، ولو لم يقتل لعاش إلى أجله فكأن له أجلان، وهذا باطل).ينظر: شرح الطحاوية - ط الأوقاف السعودية، صـ 100. ومقالة المعتزلة مشهورة عن العلاف المتوفيسنة 226هـ وقد ناقشهم الأشعري في الإبانة، وبين أن مآلها الإلحاد. ينظر: الإبانة: للأشعري، بتحقيق فوقية حسين محمود، ط دار الأنصار، القاهرة، 1379هـ صـ204، 205.

(4) كذا في المخطوطة (من قطع) والصواب كما في المصدر الذي نقل منه المؤلف رحمه الله (من غير قطع)
انظر: شرح المقاصد في علم الكلام (2/ 160)

(5) أخرجه الترمذي (2139) وابن ماجه، برقم (90)، وأخرجه أحمد(22745)، وابن حبان في صحيحه (872) وحسنه الألباني

(6) متفق عليه، ولفظهما: « من سره أن يبسط له في رزقه أو ينسأ له في أثره فليصل رحمه » البخاري، برقم (1961) ومسلم برقم (2557)

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

((الصدقة والصلة تعمران الديار، وتزيدان الأعمار))[1].. وغيرها مما يشعر بتعدد الأجل وزيادته، كما تمسك بها كثير من المحدثين ممن ذهب إلى تعدده، وأيد طائفة من المعتزلة[2] مذهبهم[3].

[توجيه الأحاديث التي تثبت الزيادة في الأجل]

قد أجاب عنها المحققون من علماء الدين بوجوه:

الأوّل: أن هذه الأحاديث خبر آحاد لا يعارض القطعية، كما في شرح المقاصد[4]، واختاره المولى الخيالي[5] في حاشية شرح العقائد النسفية[6]، فيكون ثبوتها ظنية، مع أنها معارضة بأمثالها من الأدلة، فيكون دلالتها ظنية،[7]فلا يصح الاستدلال بها في

(1) لم أقف علي لفظ المؤلف، وفي المسند من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: ((إنه من أعطي حظه من الرفق، فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم وحسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار، ويزيدان في الأعمار)) قال ابن حجر في الفتح (10/ 415) رواه أحمد بسند رجاله ثقات. وقال الأرناؤوط رجاله ثقات.

(2) المعتزلة: فرقة كلامية من رؤوس الفرق المبتدعة، تعود نشأتها إلى واصل بن عطاء الغزال، قال إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، ولهم أصول خمسة تشكل مجموع مذهبهم، يتفرع عن تلك الأصول مسائل فيها جرأة على الله تعالى، كالقول بجوب الصلاح والأصلح، ووجوب إثابة المطيع وتعذيب العاصي، ولهم في ترتيب الأخذ بالأدلة منهج مخالف لما عليه السلف وأهل السنة. ينظر: مقالات الإسلاميين (ص: 155)،الفرق بين الفرق (ص: 93)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (ص: 38)

(3) المعتزلة في هذا على رأيين، فريق تابع أهل السنة في هذه المسألة، وفريق قال بتعدد الأجل، قال الأشعري حكاية عن بعض المعتزلة (وشذ قوم من جهالهم فزعموا أن الوقت الذى في معلوم الله سبحانه أن الإنسان لو لم يقتل لبقى إليه هو أجله دون الوقت الذى قتل فيه)،ينظر: مقالات الإسلاميين (ص: 256)

(4) يشير المؤلف لقول التفتازاني: (خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط لا يفيد إلا الظن، ولا يعتبر إلا في العمليات دون الاعتقادات) ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني، ط، دار المعارف النعمانية، باكستان ط 1401هـ - 1981م، (198/2)

والمسألة مختلف فيها بين الأصوليين من الفقهاء والمحدثين، قال ابن عبد البر: (واختلف أصحابنا وغيرهم في خبر الواحد العدل هل يوجب العلم والعمل جميعا، أم يوجب العمل دون العلم ؟ والذي عليه أكثر أهل العلم منهم: أنه يوجب العمل دون العلم، وهو قول الشافعي، وجمهور أهل الفقه والنظر، ولا يوجب العلم عندهم إلا ما شهد به على الله، وقطع العذر بمجيئه قطعا ولا خلاف فيه)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى وزميله، الناشر: مؤسسة قرطبة: (1/ 7)

وقال ابن قدامة: (اختلفت الرواية عن إمامنا رحمه الله في حصول العلم بخبر الواحد، فروى أنه لا يحصل به. وهو قول الأكثرين والمتأخرين من أصحابنا؛ لأنا نعلم ضرورة أنا لا نصدق كل خبر نسمعه، ولو كان مفيدا للعلم لما صح ورود خبرين متعارضين لاستحالة اجتماع الضدين، ولجاز نسخ القرآن والأخبار المتواترة به؛ لكونه بمنزلتها في إفادة العلم، ولوجب الحكم بالشاهد الواحد ولاستوى في ذلك العدل والفاسق كما في المتواتر) . روضة الناظر: لابن قدامة المقدسي، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد،، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود – الرياض، الطبعة الثانية، 1399، صـ 99.

(5) هو: شمس الدين، أحمد بن موسى، الشهير بالخيالي، متكلم، فقيه، أصولي. من تصانيفه: حاشية على منتهى السول والامل في علمي الاصول والجدل، حاشية على شرح تجريد الكلام، حاشية على شرح وقاية الرواية في مسائل الهداية، وحاشية على شرح العقائد العضدية. توفي سنة (886هـ)ينظر: ابن العماد، شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط،، الناشر دار بن كثير، دمشق 1406هـ، (7/ 344)، عمر كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت (2/ 187)

(6)ينظر: حاشية الخيالي على العقائد النسفية، صـ 81، مطبوع بهامش العقائد النسفية، سنة 1326هـ درس عادات. قال ما نصه: (تلك الأحاديث آحاد فلا تعارض الآيات القطعية، والمراد الزيادة بحسب الخير والبركة، كما يقال ذكر الفتى عمر الثاني) انتهى بلفظه.

(7) يشير المؤلف إلى أن هذه الأحاديث يتأكد كونها ظنية بأمرين :

الأول: كونها أحاديث آحاد، والآحاد يفيد الظن.

الثاني: كونها معارضة بأحاديث أخرى.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

معارضة القطعي، وما قيل ردًا على الخيالي في اختيار هذا الوجه؛ قلنا: تلك الأحاديث (مشهور)[1]المعنى، بل مجموع عليها، حتى شاع بين الأئمة أن الصدقة ترد البلاء وتزيد العمر، وأن صلاح الرجل يزيد عمره، وفساده ينقص عمره، ليس بشيء، إذ الخبر المشهور ولو لفظًا من أقسام الآحاد، كما عليه مصطلح أهل الأثر[2]، فلا يفيد علم اليقين، لكونه في الأصل من الآحاد على ما قرر في محله، وكلامنا في عدم كون الآحاد معارضًا للقطعي، والخبر الغير متواتر من الحجج المجوّزة لا الموجبة، وإن كان مشهورًا فكيف يعارض الحجة الموجبة، نعم يكتفى بذلك عند عدم مخالفته للقطعي. والله أعلم.

الثاني: أن المراد من هذه الزيادة الخير والبركة بعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع.

الثالث: أن المراد منها بقاء ذكره الجميل، فكأنه لم يمت.

الرابع: أن المراد منها أن يجري عمله الصالح بعد موته.

الخامس: أن المراد منها أن الطاعة تزيد فيما هو المقصود والأهم من العمر، وهو اكتساب الكمال بالأعمال الصالحة، التي بها تستكمل النفوس الإنسانية فيفوز[3] بالسعادتين.

السادس: أن المراد منها بالنسبة إلى ما في اللوح المحفوظ وصحف الملائكة المستنسخة منه، فيظهر لهم في اللوح أن عمره أربعون سنة إن لم يصل رحمه مثلا، فإن وصلها زيد له أربعون[4]، وقد علم الله تعالى ما سيقع له من ذلك علما أزليًا ثم يؤول إلى موجب علم الله تعالى وإليه الإشارة بقوله تعالى: {يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}[5]فنسبت هذه الزيادة إلى تلك الطاعة بناء على علم الله تعالى أنها لولاها لما كانت تلك الزيادة، فيكون المحكوم المعلوم أنه يفعل هذه الطاعة ويعيش إلى هذه المدة لا محالة، مع علمه أنه لو لم يفعل لمات قبل هذه المدة، وأصل هذا أن الله تعالى كما يعلم الموجود الذي يوجد كيف يوجد، يعلم المعدوم الذي لا يوجد لو وجد كيف يوجد[6]، كما أخبر الله تعالى / عن الكفار بقوله عز وجل: {وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا

---

(1) كذا في المخطوطة، ولعل الصواب (مشهورة المعنى، بل مجمع).

(2) قال ابن حجر: (أول أقسام الآحاد-: ما لَهُ طرقٌ محصورةٌ بأكثر مِن اثنين، وهو المشهور عند المحدثين) نزهة النظر: لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، ط1، (1422هـ) صـ49

(3) في المخطوطة: (فيفوذ)، بالذال المعجمة.

(4) هذا الوجه أشار له ابن قتيبة كما مر سابقا.

(5) الرعد: آية 39.

(6) أشار إلى هذا الرازي في تفسيره فقال: (معلومات اللَّه تعالى على أربعة أقسام: أحدها: جملة الموجودات. والثاني: جملة المعدومات. والثالث: أن كل واحد من الموجودات لو كان معدوماً فكيف يكون حاله. الرابع: أن كل واحد من المعدومات لو كان موجوداً كيف يكون حاله) مفاتيح الغيب (15/ 470)

وما يقصده المؤلف هو من القسم الرابع الذي ذكره الرازي، وهو: أن كل واحد من المعدومات لو كان موجوداً كيف يكون حاله. فإن رد الكفار لن يكون، فهو معدوم التحقق، وحالهم لو ردوا هو التكذيب بإخبار الله تعالى.

وأوضح صاحب المنار كيف يتأتى هذا منهم بعد معاينتهم الحقيقة التي لا لبس فيها بقوله: (مثله كمثل ما كان يلوح لهم في الدنيا من البينات والعبر، ألم تر كيف يكابرون فيها أنفسهم ويغالطون عقلهم ووجدانهم، ويمارون مناظريهم وأخدانهم ؟ يشرب الفاسق الخمر فيصدع، أو يلعب القمار فيخسر، ويأكل المريض أو ضعيف البنية الطعام الشهي أو يكثر منه فيتضرر، ويرى غير هؤلاء من المخالفين لشرع الله المنزل بالحق، أو لسننه الثابتة التي أقام بها نظام الخلق، ما حل من الشقاء بغيره ممن سبقه إلى مثل عمله، فيندم كل واحد ممن ذكرنا، ويتوب ويعزم على ألا يعود، وإنما يكون هذا عند فقد داعية العمل، ووجود داعية الترك، فإذا عادت الداعية إلى العمل عاد إليه خضوعا لما اعتاد وألف، وترجيحا لما يلذ على ما ينفع). تفسير المنار (7/ 297)

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
Jil Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

عَنْهُ }[1]، وإن كان يعلم أنهم لا يردون. كذا في كثير من الكتب الكلامية وغيرها. قلت: لا يخفى أن هذا الوجه يعود إلى القول بتعدد الأجل، والمذهب أنه واحد، صرح بذلك في شرح المقاصد[2]، وحاشية شرح العقائد للخيالي[3].

بيانه أن الأحاديث المذكورة بناء على هذا الوجه تفيد التعدد في الأجل، أحدهما الأجل المزيد عليه وهو الأربعون الذي علمه الله تعالى أجلا، بسبب صلة الرحم، ثم لا يخفى أن هذا الوجه مبني على تسليم أمرين: الأول: تسليم صحة الاستدلال بالأحاديث المشعرة بتعليق الأجل، وتعدد[4]، وقد قدمنا أنه لا يصح الاستدلال بها في مقابلة القطعي لكونها ظنية الثبوت والدلالة.

الثاني: تسليم القول بأن الأجل المثبت في اللوح المحفوظ يقبل التغيير، ونحن نقول: إن الأجل والرزق المثبتين في اللوح المحفوظ لا يقبلان التغيير، فهما مخصصان من عموم قوله تعالى: {**يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ**}[5]كما عليه الجمهور من أهل التفسير[6]، فتعين أن هذا الوجه في غاية الضعف ونهاية الوهن، وقد أشار العلامة في شرح المقاصد إلى ضعف هذا الوجه بقوله: وقد يقال إذا تمهد هذا فنقول: قد ثبت بالأدلة القطعية أن الأجل ليس بمتعدد ولا بمتجزئ ولا بمعلق؛ بأن يثبت في اللوح وصحيفة الملائكة مطلقًا، وفي علم الله تعالى معلقًا، بنحو الصلة والصدقة، فليس الأجل المثبت في اللوح وصحيفة الملائكة وصحيفة الإنسان غير / ما في إرادة الله تعالى وعلمه، بل هو واحد في الكل لا يجري فيه المحو والإثبات، فلا يزيد عُمْر شخصٍ واحد ولا ينقص أصلا، وأن كل ما يشعر بتعدد الأجل وزيادته من الأحاديث يؤول بما يرجع إلى المحكمات ومشهورات الروايات، فلا نقول بتعدد الأجل وزيادته عن المقدر بنحو الصلة والصدقة وسائر أعمال البر، فلا يجوز أن تتخذ ذلك مذهبا ومعتقدا، وإليه لوّح الإمام بعد رواية الحديث المذكور فيما سبق في رواية المذكورين عنه بقوله فيخرج ما روي عن ثوبان رضي الله تعالى عنه أن عليه الصلاة والسلام أنه قال: «**لا يزيد في العمر إلا البر، ولا يرد القدر إلا الدعاء، وإن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه**»[7]. انتهى

يعني يؤول ازدياد العمر ببركته وطيب عيشه، فإن البر بطيبه كأنه يزيد فيه وحرمان الرزق يمنع بركته كما يجوز بإرادة اللازم في قولهم: ذكر الفتى عمره الثاني، وكشف عن الغطاء. قوله صلى الله عليه وسلم: ((**لن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها،**

---

(1) الأنعام: آية 28.

(2) لفظ التفتازاني، استدراكًا على قول: (....وهذا يعود إلى القول بتعدد الأجل، والمذهب أنه واحد)ينظر: شرح المقاصد، 161/2

(3)ينظر: حاشية الخيالي على العقائد النسفية، ص 81، مطبوع بهامش العقائد النسفية، سنة 1326هـ

(4) كذا في المخطوطة، ولعل الصواب (وتعدده)

(5) الرعد: آية 39.

(6) قال البغوي (روى عكرمة عن ابن عباس قال: هما كتابان، كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت، وعنده أُمُّ الكتاب لا يغيَّر منه شيء)ينظر: تفسير البغوي (4/ 326)، و قال ابن عادل: (قوله {وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ} أي: أصل الكتاب وهو اللوح المحفوظ الذي لايبدل ولا يغير) ابن عادل: تفسير اللباب، ط دار الكتب العلمية. بيروت، (11/ 321)

وبعض المفسرين يجري الآية على ظاهرها ويجيز النسخ في اللوح المحفوظ ،قال الرازي في أحد الأقوال في تفسيرها: (القول الأول: إنها عامة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ. قالوا: إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه، وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر، وهو مذهب عمر وابن مسعود. والقائلون بهذا القول كانوا يدعون ويتضرعون إلى الله تعالى في أن يجعلهم سعداء لا أشقياء، وهذا التأويل رواه جابر عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم)ينظر: مفاتيح الغيب: للرازي، دار إحياء التراث العربي. بيروت، (19/ 51).

(7) الحديث أخرجه ابن ماجه في سننه برقم (90) بلفظ: ((لا يزيد في العمر إلا البر. ولا يرد القدر إلا الدعاء وإن الرجل ليحرم الرزق بخطيئة يعملها)، قال الشيخ الألباني: حسن دون: ((وإن الرجل...))

ISSN 2311-5181

ولكن زيادة العمر ذرية صالحة يرزقها العبد يدعو له بعد موته فيلحقه دعاؤه في قبره، فتلك الزيادة في العمر)) رواه الحافظان: ابن النجار والطبراني[1] عن أبي الدرداء وأبي مشجعة الجهني[2]عنه عليه الصلاة والسلام، وأما قوله تعالى في سورة الفاطر: **{وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ }**[3]فالجواب: أن الضمير راجع إلى مطلق المعمر لا الشخص المعمر بعينه، كما يقال: لي درهم ونصفه صرح بذلك في شرح المقاصد[4]، وغيره فإن المراد نصف آخر لا نصف ذلك الدرهم المتقدم ذكره، فالمعنى / لا ينقص من عمر أحد وهو على طريقة قولهم: لا يثبت[5] الله عبدا ولا يعاقبه إلا بحق، لا على معنى لا ينقص عمره بعد كونه زائدا، بل على معنى: لا يجعل من الابتداء ناقصًا كما عليه جمهور المفسرين.

وأما تصحيح إرجاع الضمير إلى الشخص المعمر بعينه بناء على أن المقدر لكل شخص، إنما هو الأنفاس المعدودة دون الأزمان المحدودة والأعوام الممدودة، ولا خفاء في أن الأيام قدر فيه الأنفاس يزيد وينقص بالصحة والمرض والحظوظ والتعب كما تفرد بذلك بعض المتأخرين من علماء الروم[6] فليس بصحيح، إذ المقدر لكل شخص إنما هو حد معين من الزمان الواقع الأنفاس، كيف لا وقد فسّر قوله تعالى: **{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَل...}** الآية[7]بأن لكل أمم من الأمم المهلكة أجل أي حدّ معين من الزمان مضروب لمهلكهم فإذا جاء أجلهم أي إذا جاء أجلها الخاص بها، لا يستأخرون على ذلك الأجل ساعة أي شيئا قليلا من الزمان فإنها مثل في غاية القلة منه أي لا يتأخرون أصلا ولا يستقدمون أي ولا يتقدمون عليه كما في تفسير المولى أبي السعود العمادي[8] وغيره[9]، وقال صدر الشريعة في تعديل[10]: التقدير بمعنى التخصيص الذي هو نتيجة الإرادة التابعة للعلم أو نتيجة الحكمة التابعة له. انتهى.

والعلم وإن كان متعاليا عن التغيّر بتغيّر الأزمان لكنه شامل للزمانيات فيشمل الأزمان المحدودة الواقعة فيها الأنفاس المعدودة، هذا وقيل في تأويل الآية المذكورة: إنه يكتب في الصحيفة عمره كذا كذا سنة، ثم يكتب في أسفل / ذلك: ذهب يوم،

---

(1)أخرجه الطبراني في الأوسط (343/3، رقم 3349)، قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه سليمان بن عطاء وهو ضعيف. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. (7/ 116).

2() أبو مشجعة تابعي يروي عن أبي الدرداء.

(3) فاطر: آية 11.

(4)ينظر: شرح المقاصد في علم الكلام (2/ 161)

(5) كذا والصواب (يثيب)، والعبارة بنصها في تفسير النسفي، قال: (الناس يقولون: لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق)

(6) لعله يعني ابن كمال باشا، شمس الدين أحمد بن سليمان الرومي، ابن كمال باشا .المتو في عام (940ه) فإنه قال ذلك في رسالته، الجبر والقدر، وكلام المؤلف هنا هو حاصل ما عنده في رسالته، انظر مخطوطة الجبر والقدر لوحة رقم (6)، جامعة الرياض (248) توحيد

(7) سورة الأعراف: الآية 34.

(8) هو: أبو البركات، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي، نسبته إلى " نسف " ببلاد السند، بين جيحون وسمرقند، من مصنفاته" " مدارك التنزيل " و " كنز الدقائق". توفي سنة (710ه). ينظر: معجم المؤلفين (6/ 32)، الأدنه وي: طبقات المفسرين (ص: 263)

(9) قال في إرشاد العقل السليم: ({وَلاَ يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ} أي من عمرِ أحدٍ، على طريقةِ قولِهم: لا يُثيب الله عبداً ولا يُعاقبه إلا بحقّ؛ لكنْ لا على معنى لا يُنقص عمره بعد كونه زائدا، بل على معنى: لا يُجعل من الابتداءِ ناقصاً، وقيل الزّيادةُ والنَّقصُ في عمرٍ واحدٍ باعتبارِ أسبابٍ مختلفةٍ، أُثبتتْ في اللَّوحِ، مثلِ أنْ يكتبَ فيه: إنْ حجَّ فلانٌ فعمرُه ستُّونَ، وإلا فأربعونَ، وإليه أشارَ صلى الله عليه وسلم بقولِه: ((الصَّدقة والصِّلةُ تُعمِّرانِ الدِّيارَ وتزيدانِ في الأعمارِ)) وقيلَ: المرادُ بالنَّقصِ ما يمرُّ من عمرِه وينقصُ، فإنَّه يكتب في الصَّحيفةِ عمرُه كذا وكذا سنة، ثم يُكتب تحتَ ذلك: ذهبَ يومٌ، ذهبَ يومانِ.. وهكذا، حتَّى يأتي على آخره، وقُرئَ: ((ولا يَنْقص)) عل البناءِ للفاعلِ)ينظر: إرشاد العقل السليم، لأبي السعود العمادي، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت، (146/7).

(10) كذا في المخطوطة، ولعل الصواب: (التعديل) يشير لكتاب صدر الشريعة (شرح التعديل) الأنف.

ISSN 2311-5181

وذهب يومان، حتى يأتي آخره، وذلك نقصان عمره كما في تفسير المدارك[1].وأما قوله تعالى في سورة الأنعام: {ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ}[2]، وقوله تعالى في سورة نوح: {وَيُؤَخِّرْكُمْ....مُسَمًّى}[3]

فالجواب: أن الأجل المقضي محمول على الموت، والأجل المسمى على البعث من القبور كما عليه الجمهور لمحكم قوله تعالى: {وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا}[4]

[حكم الدعاء بزيادة العمر]

فإذا ثبت وحدة الأجل؛ ثبت أن الدعاء بزيادة العمر وطوله ليس من الآداب، وقد عدوا رجاء طول العمر وزيادته من طول الأمل، وهو ممنوع شرعًا، إذ في تطويله الكسل عن الطاعة، والتسويف بالتوبة، والرغبة في الدنيا، والنسيان للآخرة، والقسوة للقلب، كما نصوا عليه. وأما دعاء النجاة من العذاب فهو عبادة[5]، وقد أمر النبي عليه السلام بذلك دون الأول كما مر فيما رواه ابن مسعود ضي الله تعالى عنه من حديث حبيبة[6] رضي الله تعالى عنها.

قائمة المراجع:

1. ابن أبي العز، شرح الطحاوية، تحقيق: أحمد شاكر، ط الأوقاف السعودية.
2. ابن السراج النحوي، الأصول في النحو، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، ط مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثالثة، 1988.
3. ابن العماد، شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، وزميله، الناشر دار بن كثير، دمشق 1406هـ.
4. ابن حجر، نزهة النظر، تحقيق: عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، ط1، مطبعة سفير، الرياض (1422هـ).
5. ابن حجر، فتح الباري دار المعرفة، بيروت، 1379.
6. ابن عادل، تفسير اللباب، دار الكتب العلمية. بيروت.
7. ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوى وزميله، الناشر: مؤسسة قرطبة.

---

(1) هو تفسير النسفي المعروف بـ(مدارك التنزيل وحقائق التأويل) وينظر: النسفي: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط دار الكلم الطيب، بيروت، ط الأولى، 1419 هـ 1998 م، (80/3).

(2) سورة الأنعام: آية 2.

(3) الآية من سورة نوح: 4، وقد كتبها الناسخ في المخطوطة: {وَيُؤَخِّرْكُمْمُسَمًّى} وهو واضح الخطأ.

(4) آل عمران: آية 145.

(5)نبه المؤلف على هذا، لأنه يمكن الاعتراض بالقول: إذا كان العمر مقدرا قد فرُغ منه، وسؤال زيادته من سوء الأدب، فكذا الثواب والعقاب كالعمر، مقدران أيضا، فلما جاز سؤال المثوبة والاستعاذة من العقوبة، ولم يجز السؤال بطول العمر؟. وهو تنبيه قاله القاضي عياض ونصه: (...إن قيل: فما معنى صرفه لها عن الدعاء بالزيادة في الآجال لأنها فرغ منها إلى الدعاء بالعياذة من عذاب النار، وقد فرغ منه كما فرغ من الأجل؟قلنا: صدقت في أنّ الله فرغ من الكل، ولكن هذا الاعتراض من جملة ما قدمناه من قول مَنْ قال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أفلا ندع العمل؟ لما أخبرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن الله قضى بالسعادة والشقاوة، فأجابه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما قدمناه. وقد أمر الله بأعمال بر وطاعات جعلها الله قرباً إليه، ووعد بأنها تنجى من النار، ويسر أهل السعادة لها بالدعاء بالنجاة من النار من جملة العياذات التى ترجى بها النجاة منها، كما يرجى ذلك بالصلاة والصوم، ولا يحسن ترك الصلاة والصوم اتكالاً على القدر السابق، وكذلك هذا. الدعاء ههنا، مع أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما قال لها: " لو سألت الله أن يعيذك من عذاب في النار أو من عذاب في القبر كان خيراً وأفضل "، ولا شك أن السؤال بالعياذة من النار خير وأفضل من الزيادة في العمر مع عذاب النار، نسأل الله السلامة والعياذة من ذلك)ينظر: إكمال المعلم، للقاضي عياض، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1419 هـ - 1998 م، (8/ 156)

(6) كذا في المخطوطة، والصواب (أم حبيبة) وهو حديث الكتاب.

ISSN 2311-5181

8. ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث، تحقيق: محمد زهري النجار،، دار الجيل، بيروت، 1393، 1972.
9. ابن قدامة، روضة الناظر، تحقيق: د. عبد العزيز عبد الرحمن السعيد، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، الطبعة الثانية، 1399.
10. ابن ماجه، سنن ابن ماجه، لابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الفكر، بيروت.
11. أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
12. أبو بكر الحميدي، مسند الحميدي، تحقيق حسن سليم أسد، ط دار السقا، دمشق، سوريا.
13. أبو داود، سنن أبي داود، الناشر: دار الكتاب العربي. بيروت.
14. أبو نعيم، حلية الأولياء، ط دار الكتاب العربي، بيروت.
15. أحمد بن حنبل، المسند ،الناشر: مؤسسة قرطبة، القاهرة.
16. الأدنه وي، طبقات المفسرين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى،1997
17. الأشعري، الإبانة، بتحقيق فوقية حسين محمود، ط دار الأنصار، القاهرة، 1379هـ.
18. الأشعري، مقالات الإسلاميين، نشرة هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)ط3 1400 هـ، 1980 م
19. البخاري، صحيح البخاري، تحقيق: د، مصطفى البغا، ط 3، دار ابن كثير، بيروت، 1407 ه) .
20. البغوي، الحسين بن مسعود، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1420 هـ.
21. البغوي، شرح السنة، المحقق: شعيب الأرناؤوط، وزميله، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط الثانية، 1403هـ، 1983م
22. البهرائجي القاسمي، المكتبة الإمدادية، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى 1431 هـ، 2010م.
23. الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق أحمد شاكر، ط دار إحياء التراث، بيروت.
24. التفتازاني، شرح المقاصد في علم الكلام، ط، دار المعارف النعمانية، باكستان ط 1401هـ، 1981م.
25. حاشية الخيالي على العقائد النسفية، مطبوع بهامش العقائد النسفية، سنة 1326هـ درسعادات.
26. الحسين بن محمد بن خسرو، مسند أبي حنيفة النعمان، تحقيق: لطيف الرحمن .
27. الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربى. بيروت.
28. الرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، تحقيق: د علي سامي النشار، ط دار الكتب العلمية، بيروت،1402.
29. الزركلي، الأعلام، ط، دار العلم للملايين، ط15، 1980.
30. الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله وزميله، ط دار الحرمين، القاهرة.
31. الطبراني، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج، ط المكتب الإسلامي , دار عمار.
32. عمر كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى، بيروت.
33. القاضي عياض، إكمال المعلم، تحقيق: الدكتور يحْيَى إِسْمَاعِيل، ط: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط1، 1419 هـ، 1998 م.
34. اللالكائي، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي.
35. محمد بن الحسن الشيباني، الآثار، تحقيق أبو الوفا الأفغاني، دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
36. محمد بن الحسن اللكنوي، .الفوائد البهية، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ .
37. محمد رشيد رضا، تفسير المنار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1990 م.

ISSN 2311-5181

المخطوطات :

38. مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق:محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ب-ت.
39. مؤسسة شيخ الإسلام في الدولة العثمانية، ترجمة هاشم الأيوبي، منشورات جروس برس، لبنان، 1992.
40. النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بديوي، ط دار الكلم الطيب، بيروت، ط الأولى، 1419 هـ 1998 م.
41. النووي، المنهاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1392 .
42. الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ط دار الفكر، بيروت، ط1412 هـ
43. مخطوط بهجة الفتاوى، مخطوط جامعة الملك سعود، برقم، (8164).

ISSN 2311-5181

واقع إفريقيا جنوب الصحراء في مادة التاريخ بالتعليم الثانوي التأهيلي المغربي

The reality of sub-saharan African in history in Moroccan high schools

عبد الحكيم مصلوح/جامعة ابن طفيل، المغرب

Abdelhakim Masslouh/ University Ibn Tofail-Maroc

ملخص :

تمحورت إشكالية هذه الدراسة حول واقع حضور تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في مادة التاريخ بالتعليم الثانوي التأهيلي، بحيث حاولنا اكتشاف حقيقة تناول درس التاريخ لإفريقيا جنوب الصحراء، واعتمدنا في تحليل المتن المعتمد والمكون من الكتب المدرسية للتعليم الثانوي التأهيلي على تقنية تحليل المضمون للوقوف عند موقع تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في برنامج مادة التاريخ، وقد مكنتنا هذه الدراسة من إبراز حقيقة حضور تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في دروس التاريخ للسلك الثانوي التأهيلي، وتبيان التطور الذي لحق هذا الحضور؛ إذ خلصنا إلى كون فترة الثمانينيات كانت تتميز باهتمام الكتاب المدرسي لمادة التاريخ بقضايا التاريخ الإفريقي مقارنة بفترة التسعينيات التي لم يرد فيها أي درس لإفريقيا جنوب الصحراء، وفي الأخير سلطنا الضوء على البرامج الراهنة، و اتضح لنا حضورا باهتا للتاريخ الإفريقي جنوب الصحراء.

الكلمات المفتاحية: إفريقيا جنوب الصحراء- المنهاج- الكتاب المدرسي- التوجيهات التربوية.

ABSTRACT

The problematic of this study revolved around the presence of sub-Saharan African history in high school History programs. We attempted to discover the truth about this latter tackling the aforementioned topic, and we relied on that in analyzing the content of the textbooks of the three high school levels. Thus, this study enabled us to highlight the presence of sub-Saharan African history in the Moroccan high school program as well as to explain the development of this presence. In this regard, it has been shown that during the eighties, there was a great interest in African history issues, unlike the nineteens when there was no lesson tackling any sub-Saharan African issue. In the end, we highlighted on the current programs. We, therefore, noticed a slight presence for the sub-Saharan African history.

Keywords: Sub-Saharan Africa - Method -Textbook -The Official Educational Guidelines.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

مقدمة :

أصبح البعد الإفريقي في الهوية المغربية يفرض نفسه بقوة في الواقع السياسي المغربي، وفي المؤسسات السياسية، والثقافية، والأكاديمية، إذ عرفت الجامعة المغربية مؤخرا عدد من اللقاءات والبحوث العلمية التي تناولت حضور إفريقيا في المناهج المغربية[1]، ولعل من أهمها الندوة العلمية المقامة من طرف الجمعية المغربية للمعرفة التاريخية في دجنبر 2017 بعنوان "المغرب وإفريقيا رؤى متقاطعة" التي تم تناولت في إحدى محاورها صورة إفريقيا في الكتاب المدرسي المغربي.

كما عقدت لقاءات وندوات عديدة بمدن مغربية مختلفة تُعنى بإفريقيا كوجهة مستقبلية، سبقتها منذ سنوات عملية لإصلاح المنظومة التربوية المغربية في ظل التحولات العالمية والوعي بالتعدد الثقافي للهوية المغربية، وملاءمة النظام التعليمي المغربي مع التحولات السياسية والاجتماعية الداخلية، وأيضا التزاماته الدولية.

وفي هذا السياق نجد أن موضوع افريقيا لم ينل ما يستحقه من عناية ليتناسب مع حجم حضور البعد الإفريقي في الهوية المغربية، لذلك ارتأينا في هذه الدراسة أن نتناول حضور البعد الإفريقي في مادة التاريخ بسلك الثانوي التأهيلي، محاولين مسايرة الديناميكية التي تعرفها الساحة الأكاديمية المغربية في هذا المجال، وتقديم مساهمة بسيطة بهدف إغناء البحث في تاريخ إفريقيا من الزاوية التربوية، والتعرف على حضور تاريخ افريقيا جنوب الصحراء في كتاب التاريخ المدرسي المغربي بما يعنيه حقل التاريخ كمادة تعليمية مهمة للمتعلم والتي يكتشف عبرها تاريخ بلاده وينمي من خلالها إدراكه للعالم المحيط به.

ولتحقيق هدف الدراسة سننطلق من سؤال مركزي وهو: **ما مظاهر حضور تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في درس التاريخ بالسلك الثانوي التأهيلي ؟**

وانطلاقا من هذا السؤال المركزي سنعمل على دراسة حضور إفريقيا جنوب الصحراء في مادة التاريخ الثانوي التأهيلي فترة الثمانينيات، والتسعينيات من القرن الماضي، لكونها شكلت فترة فارقة في علاقة المغرب بإفريقيا. فعملنا على تقديم قراءة وصفية تحليلية لبرامج الفترة بهدف تكوين نظرة عن مدى حضور وحدات تتناول التاريخ الإفريقي تمهيدا لتحليل التوجهات التربوية، ومضامين الكتب المدرسية الحالية، لنكشف عن واقع حضور إفريقيا "جنوب الصحراء" في مادة التاريخ، وفي المواضيع التاريخية المدرسة للتلميذ المغربي في الثانوي التأهيلي.

وللإجابة عن هذه الإشكالية المتمثلة في تحديد واقع تدريس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء سنعتمد على منهجية/تقنية تحليل المضمون التي تعتبر أداة أساسية لتحليل الوحدات والمقاطع، والأنشطة، المبرمجة لمادة التاريخ سلك الثانوي التأهيلي إلى جانب تقديم قراءة وصفية مركزة للتوجهات التربوية من زاوية البعد الإفريقي "جنوب الصحراء".

---

[1]- ندوة منظمة من طرف الجمعية المغربية للمعرفة التاريخية، الدورة 11 من ملتقيات التاريخ، أيام 6-7-8 دجنبر 2017 تحت عنوان " المغرب وافريقيا رؤى متقاطعة" ووزعت المحاضرات بين كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، والمعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. ونوقش في مائدة مستديرة في اليوم الأول من الندوة صورة إفريقيا في الكتب المدرسية.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

مشكلة الدراسة

يعد تناول قضايا التاريخ الإفريقي جنوب الصحراء على وجه التحديد من المواضيع المثيرة للنقاش في الساحة الأكاديمية المغربية، غير أن حضور تاريخ افريقيا جنوب الصحراء في منهاج مادة التاريخ للتعليم الابتدائي والثانوي يظل مثار نقاش لدى المهتمين بالشأن التربوي، إذ لا يمكن الحديث عن الانفتاح على افريقيا جنوب الصحراء سياسيا، واقتصاديا، وثقافيا، مع إهمال الجانب التربوي، وخصوصا أن المغرب جزء لا يتجزأ من إفريقيا وقد ربطت المغرب بدول الجنوب علاقات تاريخية، وهذا ما يجب أن نتلمسه في دروس السلك الثانوي، وخصوصا مادة التاريخ، ومن هنا فإن الإشكالية الأساسية لهذه الدراسة تتمثل فيما يلي: كيف يحضر تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في منهاج مادة التاريخ للتعليم الثانوي التأهيلي المغربي؟

ويمكن أن نفرع هذه الاشكالية إلى عدد من **التساؤلات:**

1- ما هو التطور الذي لحق حضور تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في منهاج مادة التاريخ بالتعليم الثانوي التأهيلي ؟

2- ما مدى حضور البعد الافريقي جنوب الصحراء في منهاج مادة التاريخ للتعليم الثانوي التأهيلي في الفترة الراهنة؟

فرضية الدراسة.

نفترض أن حضور تاريخ افريقيا جنوب الصحراء باهت، مع ربطه بالأجنبي، إلى جانب تراجعه عما كان عليه في برنامج مادة التاريخ في فترة الثمانينات.

وتتفرع هذه الفرضية الى مجموعة من الفرضيات الفرعية وهي:

1- عرفت وحدات تاريخ افريقيا جنوب الصحراء تراجعا في مادة التاريخ مقارنة بفترة الثمانينات.
2- تتسم البرامج الحالية بحضور باهت للحضور الافريقي جنوب الصحراء.

أهمية الدراسة.

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها دراسة علمية مستجدة على الساحة الأكاديمية، إذ من خلالها سنبرز مدى تناول الكتب المدرسية لقضايا تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، وسنحاول إثارة انتباه المشرفين على الشأن التربوي بالمغرب لهذه الإشكالية، التي تعد في رأينا اشكالية مستجدة على الساحة التربوية تستحق الوقوف عليها بهدف بناء منهاج متكامل ومنفتح على مختلف الأقطار، بدل التركيز على مجال محدد (التاريخ الأوربي على سبيل المثال)، وبذلك فإننا من خلال هذه الدراسة، سنبين واقع تاريخ افريقيا جنوب الصحراء في مادة التاريخ، لإعادة الاعتبار إليه انطلاقا من النتائج المتحصل عليها بإدماجه في ثنايا البرامج التعليمية، فنحن نعتقد أنه من اللازم أن تكون افريقيا جنوب الصحراء جزء لا يتجزأ من المنهاج المدرسي ككل، ومنهاج مادة التاريخ بشكل خاص بهدف التسهيل على المتعلم ادراك تاريخ مجاله، وقارته، وتجاوز النظرة النمطية لإفريقيا جنوب الصحراء التي تربط افريقيا بتجارة العبيد والذهب (التجارة الثلاثية)، بدل التركيز على ممالكها وحضاراتها وانجازاتها التاريخية.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

منهجية الدراسة

أ-منهجية التحليل

اعتمدنا في هذه الدراسة على تقنية تحليل المضمون، من خلال تحليل برامج مادة التاريخ للسلك الثانوي التأهيلي كما وكيفيا، لتحديد حقيقة حضور البعد الافريقي جنوب الصحراء في دروس مادة التاريخ.

ب- مصادر البيانات

عملنا على تحويل التحليل الكمي الذي انجزناه على دروس مادة التاريخ، الى جداول وبيانات أعددناها شخصيا لتناسب موضوع الدراسة.

ت- حدود الدراسة

بالنسبة لحدود الدراسة، فقد اعتمدنا بالأساس على عينة من الكتب المدرسية لمادة التاريخ في فترة الثمانينات والتسعينات لتسليط الضوء على افريقيا جنوب الصحراء في هاته الكتب، ثم عملنا في الجانب التطبيقي على تحليل التوجهات التربوية لسلك الثانوي التأهيلي، وكذا الكتب المدرسية لسلك الثانوي التأهيلي، مسلك الآداب والعلوم الانسانية المعتمدة حاليا.

هيكلة الدراسة

عملنا على تقسيم هذه الدراسة الى ثلاثة عناصر أساسية، بحيث عملنا في المرحلة الأولى على الكشف عن حضور افريقيا جنوب الصحراء في مادة التاريخ بالتعليم الثانوي التأهيلي، ثم بعد ذلك تناولنا حضور افريقيا جنوب الصحراء في التوجهات التربوية لسلك الثانوي التأهيلي، وفي مرحلة أخيرة أبرزنا حضور البعد الافريقي في دروس مادة التاريخ لسلك الثانوي التأهيلي كيفا وكما.

1- حضور إفريقيا جنوب الصحراء في مادة التاريخ بالتعليم الثانوي التأهيلي (مرحلة الثمانينات- التسعينات)

يعتبر حضور إفريقيا جنوب الصحراء في مادة التاريخ موضوعا راهنا، بحيث دراسته ستجعلنا نساهم ولو بشكل بسيط في الدراسات والأبحاث المهتمة بإفريقيا جنوب الصحراء، وخاصة أننا في هذه الدراسة نحاول تناول إفريقيا من زاوية تربوية، لإيماننا أن حقل التربية والتكوين سيكون مهما في مجال الانفتاح على إفريقيا جنوب الصحراء، وكذلك الكشف عن كيفية تعامل البرامج المعدة من طرف وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي مع البعد الإفريقي.

ولكل هذا، سنعمل في البداية على التعرف بشكل مركز على الوحدات التي تناولت تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في برامج الثمانينات والتسعينات، وتبيان طريقة تناولها للتاريخ الإفريقي، فمن خلال ذلك سنكشف حقيقة تعامل البرامج التاريخية المغربية السابقة مع البعد الإفريقي كمكون من مكونات الهوية الوطنية، وكرقعة جغرافية منتمية لقارة إفريقيا.

1-1 مرحلة الثمانينات

خلال هذه الفترة تم تداول نموذجين من الكتب المدرسية، الأولى تعود لبداية الثمانينات وهي الخامسة الثانوية المخصصة للعصر الحديث؛ والسادسة الثانوية الخاصة بتاريخ العالم القرن 19؛ والسابعة الثانوية تاريخ العالم في القرن20، وفي أواخر

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

نفس العقد تم إعداد كتب مدرسية بحلة جديدة مع إصلاح 1987 الذي انبثق عنها برنامج يحمل توجها جديدا لتدريس مادة التاريخ الثانوي مع احتفاظها بنفس المضمون تقريبا، خاصة كتابي السنة الأولى والثالثة الثانوية، المقابلين لكتابي الخامسة والسابعة الثانوية في النظام السابق.

وقد قمنا بتحليل الكتب المدرسية الآتية، السنة الخامسة الثانوية: تاريخ العصر الحديث؛ والسنة السادسة الثانوية: تاريخ العالم القرن19؛ والسنة السابعة الثانوية: تاريخ العالم القرن 20.

أ- السنة الخامسة ثانوية، تاريخ العصر الحديث[1]

يحتوي هذا الكتاب المدرسي في ثناياه، 25 درس موزعة على قسمين، القسم الأول معنون بمميزات بداية العصر الحديث في أوروبا والعالم الإسلامي، والقسم الثاني خصص للقرن السابع عشر والقرن الثامن عشر، وباطلاعنا على دروس الكتاب المدرسي، استوقفنا درسان خاصان بإفريقيا جنوب الصحراء، وهما؛ الدرس التاسع عشر المعنون: إفريقيا الغربية- الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتدخل الأوروبي، والدرس العشرين المعنون: إفريقيا الشرقية والوسطى والجنوبية، أي 8% من مجموع دروس الكتاب.

ويلاحظ أنه تم تخصيص درسين مستقلين لإفريقيا جنوب الصحراء، ففي الأول تم التركيز فيه على الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في إفريقيا الغربية مع تبيان ميزات كل مجال على حدة، فمثلا على المستوى السياسي أشار الكتاب المدرسي إلى عدة ممالك أهمها السونغاي التي هي دولة مهمة في غرب إفريقيا، إلا أنه أهمل عددا من الدول التي ذكرها دون التعريف بها منها (الهاوسا – بورنا- يوروبا...)، كما تم عرض بعض المعطيات العامة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية لحوض نهر النيجر، وتقديم الانعكاسات الاقتصادية والسياسة الناتجة عن التدخل الأوربي بإفريقيا الغربية.

وبالنسبة للدرس المعنون بإفريقيا الشرقية والوسطى والجنوبية، فقد بين الحالة العامة لإفريقيا الشرقية وظروف التدخل الأوربي بها، والكيفية التي ساهم بها الرواج التجاري بالشواطئ السواحلية في قيام إمارات مستقلة منها مملكة الكونغو التي أصبحت مملكة كبرى خلال القرن 16-15م، بينما في الجنوب الإفريقي تم الإشارة لمسألة التنافس بين القبائل المحلية حول امتلاك الأراضي، غير أن الملاحظ في هذا الدرس هو التركيز على الأجنبي ودوره بمنطقة إفريقيا جنوب الصحراء على حساب ما هو داخلي.

ب- السنة السادسة الثانوية، تاريخ العالم في القرن التاسع عشر[2]

بالنسبة لهذه السنة برمج درس واحد خاص بإفريقيا جنوب الصحراء، وهو الدرس11 المعنون بالتوسع الأوربي بإفريقيا السوداء: الرحلات الاستكشافية- مراحل الغزو- حركات المقاومة، مع العلم أن مجموع الدروس المبرمجة لهذه السنة 29 درس أي بنسبة 3,44%.

---

[1]- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية، **تاريخ العصر الحديث**، السنة الخامسة ثانوية، مكتبة المعارف، ط1، سنة1983.

[2]- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، السنة السادسة الثانوية، **تاريخ العالم في القرن التاسع عشر**، د. ت.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

حيث أشار الدرس إلى أثر الرحلات الاستكشافية على الوضعية الداخلية لإفريقيا جنوب الصحراء، فقد وضح البرنامج التنافس الاستعماري على جنوب الصحراء، وبين طريقة تسيير المناطق المستعمرة (مباشرة- غير مباشرة)، وأشار في نفس الوقت للمقاومة المحلية المسلحة الرافضة للاحتلال وما ترتب عنها من ردة فعل عنيفة من طرف القوى الأوربية المتوفرة على أسلحة متقدمة التي عملت على استغلال جنوب الصحراء بشريا واقتصاديا.

ج- السنة السابعة الثانوية، تاريخ العالم في القرن العشرين[1]

بالنسبة لتاريخ العالم في القرن العشرين تم إدراج درس واحد في برنامج الكتاب خاص بإفريقيا جنوب الصحراء، معنون بالحركات التحررية في إفريقيا السوداء من أصل 23 درس أي بنسبة 4,34%.

وتم الإشارة في هذا الدرس إلى الاستغلال الاستعماري لإفريقيا جنوب الصحراء الذي نتج عنها ظهور حركات تحررية اعتمدت الكفاح السياسي في البداية لتنتقل إلى الكفاح المسلح بعد ذلك، كما تم تبيان وضعية إفريقيا جنوب الصحراء بعد الاستقلال التي حسب البرنامج عانت من ويلات التبعية الثقافية والاقتصادية لأوروبا.

وبهذا نستنتج أن تناول تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء خلال بداية الثمانينات من قبل منهاج مادة التاريخ قبل إصلاح 1987 كان في عومه مقبولا، فقد تطرق بشكل عام للعصر الحديث، وركز على التنظيم السياسي الذي شهدته المنطقة، والإشارة لبعض إمكانيتها الاقتصادية التي كانت من أسباب التنافس الأوربي عليها. إلا أنه كان من الممكن، وخلال تناول فترة العصر الحديث تجاوز الاقتصار على ربط إفريقيا جنوب الصحراء بالأجنبي ، وذلك بالانفتاح على خصائص دول جنوب الصحراء على المستوى السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي، كما أن خلال الفترة المعاصرة تم إهمال منظمة الوحدة الإفريقية التي تشكل محطة مهمة في تاريخ القارة، كما لاحظنا كذلك توظيف عبارة إفريقيا السوداء لوصف جنوب الصحراء في جل الكتاب المدرسي، الأمر الذي يوحي لنوع من التجزئة والتمييز لإفريقيا بتقسيمها على حسب العرق، إفريقيا شمالية وإفريقيا سوداء.

عموما، فالبرنامج تناول تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء وأشار لبعض محطاته، وما تم تقديمه كان متماشيا مع ما تناولته الإسطغرافيا التاريخية، مع الإشارة إلى الانتقال من درسين في السنة الخامسة إلى درس واحد في السنة السادسة والسابعة، وهذا يجعلنا نتساءل، لماذا هذا التراجع في نفس السلك في تناول قضايا تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء. ألقلة المعطيات التاريخية؟ أم أن تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء كان ثانويا خلال تلك الفترة مقارنة بتاريخ أوربا مثلا؟.

2-1 مرحلة التسعينات

بالنسبة لهذه المرحلة تم تداول منهاج جديد لمادة التاريخ الثانوي التأهيلي الذي جاء بعد إصلاح 1994، حيث برمجت موضوعات مختلفة عن ما سبقها وبتحسينات عديدة، وسنقف عند ثلاثة نماذج، وهي التاريخ السنة الأولى الثانوية؛ والتاريخ السنة الثانية الثانوية؛ التاريخ السنة الثالثة الثانوية.

[1]- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية، **تاريخ العالم في القرن العشرين**، د.ت.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

أ- التاريخ، السنة الأولى الثانوية[1]

بالنسبة لهذه السنة، نلاحظ لاحظ من خلال الاطلاع على محتوياته خلوه من موضوعات تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء. والجديد في برنامج التسعينات هو تناوله في السلك الثانوي التأهيلي لموضوعات العصر القديم والوسيط وهذا ما لا نجده في فترة الثمانينات لنفس السلك، غير أن الملاحظة الأهم من خلال الاطلاع على الكتاب المدرسي هو أن عدد الدروس بلغ 16 درس مع غياب تام لدرس خاص يتناول إفريقيا جنوب الصحراء مقارنة بالفترة السابقة، حيث توزعت الموضوعات حول تاريخ أوروبا، وتاريخ المغرب في العصر الوسيط، وموضوعات عن الحضارة الإسلامية في الفترة الوسيطة، وشمال إفريقيا إبان الفترة القديمة.

ب- التاريخ، السنة الثانية الثانوية[2]

بلغ عدد دروس السنة الثانية الثانوية 15 درسا تناولت موضوعات مختلفة عن سابقتها، وحتى الفترة المتناولة خلال هذه السنة تركزت على العصر الحديث بخلاف السنة الأولى التي تناولت العصر القديم والوسيط.

فأهم ما تم التطرق إليه الاكتشافات الجغرافية، والنهضة الأوروبية، وعصر الأنوار، والثورة الفرنسية، ونشوء الولايات المتحدة الأمريكية بالنسبة للعالم الغربي، بينما تم التطرق للإمبراطورية العثمانية والجزائر وتونس وليبيا في عهد الحكم التركي، وكذا المغرب في عهد السعديين وفي عهد العلويين، والملاحظ غياب تام لدروس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

ج- التاريخ، السنة الثالثة الثانوية[3]

بخصوص السنة الثالثة، بلغ مجموع عدد الدروس 16 درسا، تطرقت لموضوعات متفرقة منها الحركات الليبرالية والقومية في أوربا القرن التاسع عشر، وتطور الرأسمالية ونتائجه، والمد الاستعماري في المشرق العربي وشمال إفريقيا، والضغوط الاستعمارية على المغرب خلال القرن التاسع عشر، ومحاولات الإصلاح، والحرب العالمية الأولى، والثورة الروسية، والحرب العالمية الثانية، وحقوق الإنسان في القرن العشرين، وكذا تناول نشأة الدول العربية في المشرق، والقضية الفلسطينية، والاستغلال الاستعماري للمغرب في عهد الحماية، والمقاومة المغربية، والحركة الوطنية في باقي البلدان المغاربية، مع غياب تام لدرس خاص بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء.

نستنتج من خلال عرض محتويات سلك الثانوي لمرحلة التسعينات تنوع من حيث الفترات التاريخية المتناولة مقارنة بالمرحلة السابقة، حيث تم التطرق للفترة القديمة والوسيطة للسنة الأولى والحديثة للسنة الثانية والمعاصرة للسنة الثالثة، مع غياب تام لوحدات تتناول تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في البرنامج المخصص للفترة.

---

[1]- المملكة المغربية، وزارة ا لتربية الوطنية، **التاريخ**، السنة الأولى الثانوية، مكتبة المعارف- الرباط، طبعة 1999-2000.

[2]- المملكة المغربية،وزارة التربية الوطنية،**التاريخ**، السنة الثانية الثانوية،مطبعة المعارف الجديدة- الرباط،طبعة2004 -2005.

[3]- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية، **التاريخ**، السنة الثالثة الثانوية، دار النشر الحديثة- الدار البيضاء، طبعة 1، سنة 1996.

ISSN 2311-5181

خلاصة

جدول رقم1: نسبة حضوروحدات خاصة بإفريقيا جنوب الصحراء في الكتاب المدرسي لسلك الثانوي(الثمانينات-التسعينات)

المستويات	مرحلة الثمانينات		مرحلة التسعينات		النسبة المئوية	
	مجموع الدروس	عدد الدروس الخاصة بإفريقيا جنوب الصحراء	مجموع الدروس	عدد الدروس الخاصة بإفريقيا جنوب الصحراء	النسبة المئوية الخاصة بمرحلة الثمانينات	النسبة المئوية الخاصة بمرحلة التسعينات
1	25	2	16	-	8%	-
2	29	1	15	-	3,44%	-
3	23	1	16	-	4,34%	-
المجموع	**77**	**4**	**45**	-	**5,19%**	-

يلاحظ من خلال اطلاعنا على تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في برنامج مادة التاريخ (مرحلة الثمانينات- التسعينات)، تراجعا مهما في دراسة هذا التاريخ بالإضافة إلى أن الدروس الموزعة في مرحلة الثمانينيات على السلك الثانوي أخذت مساحة ضيقة من الكتاب المدرسي مقارنة بتاريخ أوربا والمشرق بحيث تم الاقتصار على درسين في السنة الخامسة ودرس واحد في السنة السادسة والسابعة.

كما أن ما تم تناوله يغلب عليه عموما طابع الربط بالأجنبي دون إبراز معالم التاريخ الإفريقي المحلي المستقل عن ما هو دخيل وتأثيراته، وخصوصا أن الفترة الحديثة والمعاصرة التي هي الفترة المخصصة لمنهاج الثانوي التأهيلي غنية بأحداث تاريخية وخاصة فيما يتعلق بقيام دول وإمبراطوريات مستقلة بإفريقيا جنوب الصحراء إلى جانب الحركية الاقتصادية، والاجتماعية، والثقافية التي عرفتها جنوب الصحراء ما بين القرن (16م- 19م)، وأيضا الفترة المعاصرة وما عرفته المنطقة من قيام حركات سياسية متعددة غطت ربوع القارة مدافعة عن استقلالها وراسمة لدولة إفريقية حديثة.

اذن فمن خلال ما ذكر يمكن أن نطرح **الأسئلة** الآتية :

هل استمرتراجع وحدات تخص تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في البرامج الحالية؟ وكيف تم تناول تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في برنامج التعليم الثانوي التأهيلي؟

وسنجيب على السؤالين في المحاور الموالية.

ISSN 2311-5181

2- تحليل مضمون التوجهات التربوية من زاوية البعد الإفريقي

سنحاول في هذا المحور تحليل مضمون التوجهات التربوية للسلك الثانوي التأهيلي "التاريخ والجغرافيا" نونبر2007، للوقوف على حضور البعد الإفريقي "جنوب الصحراء". وهذه الوثيقة أصدرتها مديرية المناهج التابعة لوزارة التربية الوطنية، ومكونة من 48 صفحة، تحوي عددا من المحاور موزعة على صفحات الوثيقة، فبعد التقديم العام، نجد أسس بناء منهاج مادتي التاريخ والجغرافيا؛ كفايات وقدرات مادتي التاريخ والجغرافيا؛ المضامين وتوزيعها الدوري (الجذع المشترك- السنة أولى باكالوريا- السنة الثانية باكالوريا)؛ منهجية العمل الديداكتيكي؛ الدعامات الديداكتيكية؛ التقويم التربوي؛ التنظيم التربوي. ونحن سنقوم بتحليل التوجهات التربوية من زاوية حضور البعد الإفريقي.

2-1حضور إفريقيا جنوب الصحراء في التوجهات التربوية[1]

سنركز في تحليلنا للتوجهات التربوية على مادة التاريخ، لكونها المادة المتناولة في موضوع دراستنا، والهدف من هذه المحطة هو رصد كيفية حضور البعد الإفريقي " جنوب الصحراء" في مضامين التوجهات من خلال الوقوف عند طبيعة ونوعية المفاهيم والعبارات، والمؤشرات والجمل الموظفة فيه، والتي تحيل إلى إفريقيا وتحديدا جنوب الصحراء.

يندرج منهاج مادة التاريخ والجغرافيا في سياق المقاربة الجديدة التي اعتمدها إصلاح نظام التربية والتكوين، والتي تم بمقتضاها إعادة تحديد مهام المدرسة ومكانة المتعلم ووظيفة المواد اجتماعيا وتربويا، باعتبارها تلعب دورا في تكوين فكري ومدني للمتعلمين[2].

ويتضح من خلال قراءة وتصفح التوجهات التربوية، أن خضور إفريقيا جنوب الصحراء شبه غائب، بحيث لم تحضر إلا في مناسبتين:

ففي ما يخص الحضور الأول لإفريقيا، فهو مرتبط بالقدرات والكفايات المراد تحقيقها من مادة التاريخ، حيث حضرت إفريقيا من خلال ترسيخ قدرة، قياس الأثر الاستعماري على مناطق مختلفة وتشخيصه من خلال نموذج إفريقيا[3].

وفي برنامج السنة الأولى من سلك الباكالوريا: - مسلك الآداب والعلوم الإنسانية- مسلك التعليم الأصيل- اللغة العربية، حضرت إفريقيا مرة ثانية في المجزوءة الأولى، تطور النظام الرأسمالي بأوروبا وخارجها، والاتجاه نحو الهيمنة على العالم، وتحديدا في المحور الثاني، سيطرة القوى الرأسمالية على العالم ونتائجها، من خلال وحدة رقم 7، الاستغلال الإمبريالي للمستعمرات وانعكاساته الاقتصادية والاجتماعية (إفريقيا نموذجا[4]).

2-2نتائج تحليل التوجهات التربوية من زاوية البعد الإفريقي

من خلال هذه القراءة التحليلية للتوجهات التربوية نخلص إلى ما يلي:

---

[1]- التوجهات التربوية و البرامج الخاصة بتدريس مادتي التاريخ والجغرافيا بسلك التعليم الثانوي التأهيلي، الصادرة عن مديرية المناهج 2007.

[2]- التوجهات التربوية، مرجع سابق، ص3.

[3] - التوجهات التربوية، مرجع سابق، جدول رقم 4 ص 10.

[4] - نفسه، ص22.

ISSN 2311-5181

أ-ذكر إفريقيا في برنامج التوجهات في مناسبتين، وبشكل باهت، وذلك في جدول رقم 4 صفحة 10 الخاص بكفايات وقدرات المراد ترسيخها لدى المتعلم في السنة أولى باكالوريا، وفي برنامج السنة أولى باكالوريا، مسلك الآداب والعلوم الإنسانية- مسلك التعليم الأصيل- اللغة العربية، صفحة 22.

ب- إفريقيا جنوب الصحراء شبه غائبة، فيما يخص القدرات المراد ترسيخها لدى المتعلم، في الجذع المشترك والسنة الثانية باكالوريا، حيث غالب البرنامج منصب على أوروبا والعالم الإسلامي.

ج- إفريقيا جنوب الصحراء غائبة، في البرنامج الخاص بمادة التاريخ الخاص بالجذع متشترك- السنة الثانية باكالوريا.

د-الوحدة الخاصة بإفريقيا في برنامج السنة الأولى للآداب والإنسانيات لم تحدد المجال المدروس، وبذلك نتساءل، هل الوحدة تدرس إفريقيا جنوب الصحراء؟ أم أنها تتناول إفريقيا بشكل عام؟.

هـ-الوحدة التي حضرت فيها إفريقيا في برنامج السنة أولى آداب وإنسانيات، تم اتخاذها كنموذج لدراسة الاستغلال الإمبريالي.

و- لم يتم تناول وحدة خاصة بتاريخ افريقيا جنوب الصحراء في البرنامج.

فالفترة الزمنية (من أواخر القرن 15 إلى بداية القرن العشرين) المحددة من طرف التوجهات التربوية لتكون هي الفترة المدرسة للمتعلم المغربي في سلك الثانوي التأهيلي، وإكسابه كفايات وقدرات متنوعة على الفترة، فقد أغفلت إفريقيا جنوب الصحراء التي هي رافد من روافد الهوية الوطنية، وامتداد جغرافي للمغرب، ونحن من خلال هذه البرمجة نكرس النظرة السلبية عن تاريخ إفريقيا وبأنها قارة بدون تاريخ، وتاريخها مرتبط بالأجنبي.

خلاصة :

يلاحظ من خلال استقراء وتحليل وثيقة التوجهات التربوية غياب شبه تام لإفريقيا، فمن خلال تتبعنا لمحاور الوثيقة، لم نلمس حضور إفريقيا إلا في برنامج السنة أولى باكالوريا آداب وعلوم إنسانية، وذلك في الوحدة السابعة من برنامج السنة الثانية باكالوريا مسلك الآداب والعلوم الإنسانية- مسلك التعليم الأصيل- اللغة العربية، بعنوان الاستغلال الامبريالي للمستعمرات وانعكاساته الاقتصادية والاجتماعية "إفريقيا نموذجا "؛ وهذا يبين بشكل واضح أن الوحدة الخاصة بإفريقيا تم وضعها في سياق تناول تاريخ أوروبا وانعكاس تفوقها الرأسمالي على العالم، وتم اتخاذ إفريقيا كنموذج لتبيان ذلك، وكأن إفريقيا هي الوحيدة المتأثرة سلبا بالاستعمار، مع العلم أنه لم يتم برمجة وحدات تعالج تاريخ إفريقيا في بقية البرامج المخصص للمسالك المختلفة سواء في الجذع المسترك والسنة الأولى والسنة الثانية باكالوريا.

ISSN 2311-5181

جدول رقم2: عرض الوحدات المبرمجة لمادة التاريخ لسلك الثانوي التأهيلي لجميع المسالك

	تقديم	أوربا	قضايا العالم	المغرب	العالم الاسلامي: المغرب الكبير "تونس- ليبيا- الجزائر"- الدولة العثمانية- المشرق العربي	إفريقيا	أمريكا- اليابان	خلاصة	المجموع
عدد الوحدات	6	25	10	12	27	1	1	2	84
النسبة المئوية	%7	%30	%12	%14	%32	%1	%1	%2	%100

تعليق على معطيات الجدول رقم 2

إن موقع إفريقيا من خلال هذا الجدول باهت، حيث لم تنل إفريقيا الحضور الذي كان يجب أن تحصل عليه من داخل التوجيهات التربوية، باستثناء بروزها في وحدة في السنة الأولى باكالوريا، بنسبة 1% من برنامج مادة التاريخ الثانوي التأهيلي لجميع المسالك، بما يعني وحدة من أصل 84 وحدة، وتم اتخاذها كنموذج لدراسة انعكاس الاستغلال الاستعماري للمستعمرات .

3- و اقع تدريس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء من خلال الكتاب المدرسي

يعتبر الكتاب المدرسي إلى جانب المنهاج حاملا معرفيا موجها للمتعلمين والذي يتضمن جملة من العناصر الأساسية بالنسبة للمادة الدراسية المعنية في حلة تركيبية انسجاما مع الخصوصيات النفسية والعمودية للمتعلمين، كما يعد عنصرا محوريا من عناصر العملية التعليمية التعلمية، إذ هو أداة في متناول المدرس كما في متناول المتعلم على حد سواء، ويعكس بذلك تلك الوسيلة التواصلية فيما بينها ودعامة مفيدة وأداة بيداغوجية ينطلق منها المدرس لينشط وينسق أنشطته الديداكتيكية[1].

[1]- علي موريف، **تدريس التاريخ وبناء الهوية الوطنية مساهمة في التحليل السوسيوتربوي للخطاب التاريخي المدرسي بالمغرب- السلك الثانوي الاعدادي نموذجا-**،أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية، جامعة محمد الخامس، كلية علوم التربية، الرباط، 2015، ص، ص334.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
Jil Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

مع العلم أن الرغبة في الابتكار من قبل مصممي منهاج التاريخ لعام 2002 أكثر وضوحا، بالاهتمام بممارسة المتعلمين للفكر التاريخي أكثر من الاهتمام بإعادة هيكلة برامج التاريخ والانتقال من كيف نعلم؟ الى التركيز الكبير على ماذا نعلم؟[1].

وليس المقصود من التدريس إخفاء جوانب تاريخ أضحى اليوم موضعا للسؤال على نطاق واسع في مجتمعنا وفي مجتمعات أخرى من حولنا، بل العكس من ذلك فإن جهود تدريس التاريخ يكون عبثا إذا كانت طبيعة التاريخ " الدرس التاريخي" لا يستجيب أو لا يجيب أبدا، على أسئلة مجتمعنا[2]، وهنا نستحضر إشكالية الدراسة، فإن كان الدرس التاريخي قد غيب إفريقيا وتاريخها لما يمثله من أهمية للمغرب كرقعة جغرافية وكمجتمع؛ فما الحاجة لنا للدرس التاريخي الذي غلب عليه الانتقائية؟

فالكتاب المدرسي هي القناة التي تنتقل بواسطتها المواد الدراسية من حقلها الأكاديمي إلى الحقل المدرسي اعتماد على عملية النقل الديداكتيكي، وهذا ما يطبق على مادة التاريخ على غرار باقي المواد، وسنعمل في هذه المرحلة على تحليل مضمون الكتاب المدرسي المخصص للمرحلة الثانوية التأهيلي لنقف على كيفية حضور البعد الإفريقي فيها، وسنركز على التحليل الكيفي من خلال بيانات تبين لنا موقع افريقيا جنوب الصحراء في الكتب المدرسية، سواء على مستوى الابعاد، والدعامات الموظفة.

3-1 تقديم الكتب المدرسية المعتمدة في التحليل

- "في رحاب التاريخ" للجذع المشترك (الآداب والعلوم الإنسانية)، والسنة أولى باكالوريا (الآداب والعلوم الإنسانية-مسلك اللغة العربية والتعليم الأصيل)، والسنة الثانية باكالوريا (مسالك الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الشرعية واللغة العربية بالتعليم الأصيل والعلوم الزراعية- العلوم الاقتصادية وعلوم التدبير المحاسباتي والعلوم الزراعية)؛
- "الجديد في التاريخ" للجذع المشترك (الآداب والعلوم الإنسانية)، والسنة أولى باكالوريا (الآداب والعلوم الإنسانية، مسلك اللغة العربية بالتعليم الأصيل)، والسنة الثانية باكالوريا (الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الشرعية واللغة العربية بالتعليم الأصيل- العلوم الاقتصادية وعلوم التدبير المحاسباتي والعلوم الزراعية)*.

3-2نتائج تحليل الكتب المدرسية الراهنة

بعد اطلاعنا على وحدات الكتب المدرسية، تبين لنا غياب كبير لوحدات تتناول افريقيا جنوب الصحراء، في جميع الكتب المدرسية التي عملنا على تحليلها، وهي ستة كتب مدرسية (في رحاب التاريخ، للجذع المشترك، والأولى باكالوريا، والثانية باكالوريا)، و (الجديد في التاريخ، للجذع المشترك، والأولى باكالوريا، والثانية باكالوريا)، باستثناء درس واحد معنون بالاستغلال الامبريالي للمستعمرات وانعكاساته الاقتصادية والاجتماعية (افريقيا نموذجا)، وهذا الدرس اقتصر على ربط افريقيا بالأجنبي، وتوصلنا كذلك الى كون افريقيا جنوب الصحراء تحضر فقط في 175 دعامة من داخل الكتب المدرسية الستة، وغالبية هذه الدعامات تربط افريقيا بالأجنبي، أو يتم الاشارة لإفريقيا جنوب الصحراء في خضم تناول قضايا تاريخية (سياسية- عسكرية- اجتماعية...) تخص الأجنبي، وخصوصا الدول الاستعمارية.

---

[1]- Mostapha hassani idrissi, Pour une autre réforme de l'enseignement de l'histoir au maroc, Inattadris, n°4, 2008, p. 80.

[2]- Ibid. p. 80.

* هذه الكتب المدرسية، هي الموظفة حاليا في المغرب، وقد ارتكز تحليلنا على الكتب المعتمدة في مسلك الآداب والعلوم الانسانية، وسأشير في لائحة المراجع اليها .

ISSN 2311-5181

ومن خلال هذه البيانات أسفله، سنوضح كيفية تناول افريقيا جنوب الصحراء في مجموع الدعامات التي توصلنا اليها، والتي تحضر فيها افريقيا، سواء في وثائق نصية، أو في خرائط، أو جداول...

مبيان رقم 1: الأبعاد التي تم الإشارة فيها لإفريقيا جنوب الصحراء

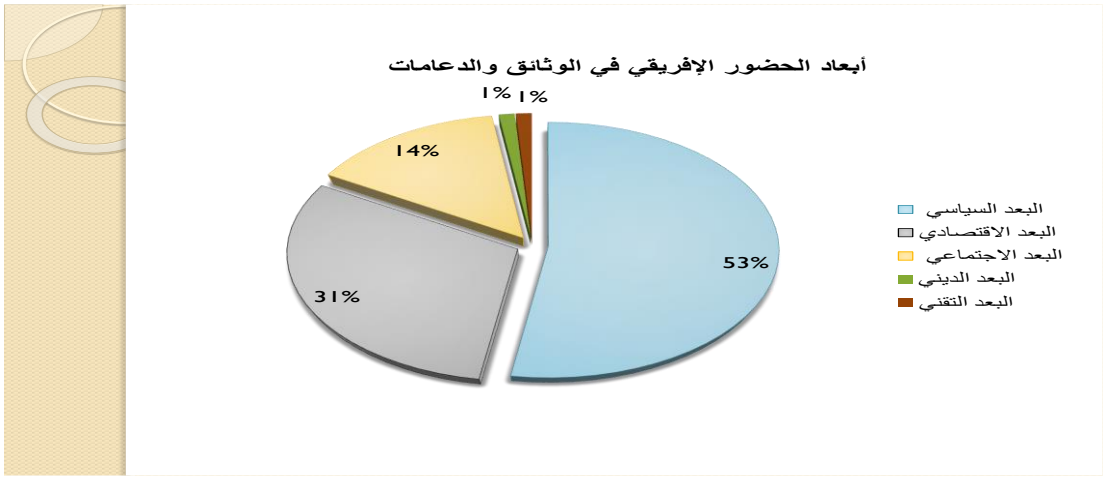

تعليق على المبيان رقم 1

يلاحظ من خلال البيان غلبة البعد السياسي، في كتابي " في رحاب التاريخ" و" الجديد في التاريخ" بما يصل 92 دعامة من أصل 175 بنسبة 53%، ويليه البعد الاقتصادي بـ 54 دعامة بنسبة 31%، والاجتماعي بـ 25 دعامة بنسبة 14%، بينما البعد الديني والتقني بدعامتين لكل بعد بنسبة 1%.

ويظهر أيضا سيطرة النظرة التقليدية في تناول تاريخ إفريقيا المتمثلة في التاريخ الحدثي (السياسي، العسكري)، وضعف من حيث مسايرة التطورات الذي لحقت الكتابة التاريخية بجعل التاريخ منفتح على قضايا مختلفة (ثقافية، اجتماعية، اقتصادية...).

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

مبيان رقم2: الدعامات التي حضرفيها البعد الإفريقي"جنوب الصحراء"

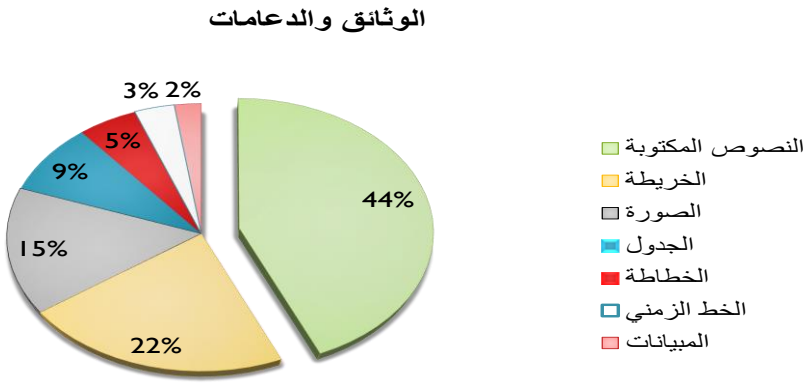

تعليق على المبيان رقم 2

يظهر لنا من خلال هذا البيان أن النصوص المكتوبة شكلت النسبة الأكبر بالنسبة للدعامات التي حضرت من خلالها إفريقيا بـ76 دعامة أي بنسبة 44%، وتليه الخريطة بنسبة 22%، أي 38 دعامة من أصل 175، وفي الرتبة الثالثة الصورة بنسبة 15% بما يعني 27 من أصل 175، ويليه الجدول بـ15 دعامة بنسبة 9%، والخطاطة ب 9 دعامات بنسبة 5%، والخط الزمني بـ6 دعامات بنسبة 3%، والبيان في الرتبة الأخيرة بـ4 دعامات بنسبة 2%، ويجب العمل على تنويع الدعامات التي يتم الإشارة فيها إلى إفريقيا، وبشكل متوازن داخل الكتاب المدرسي من أجل التسهيل على المتعلم عملية التعرف على تاريخ القارة، وخاصة عند المتعلمين الذين يجدون صعوبة في فهم النصوص ويميلون للصورة والخرائط.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

مبيان رقم3 : نوعية الوثائق المشار فيها لإفريقيا جنوب الصحراء

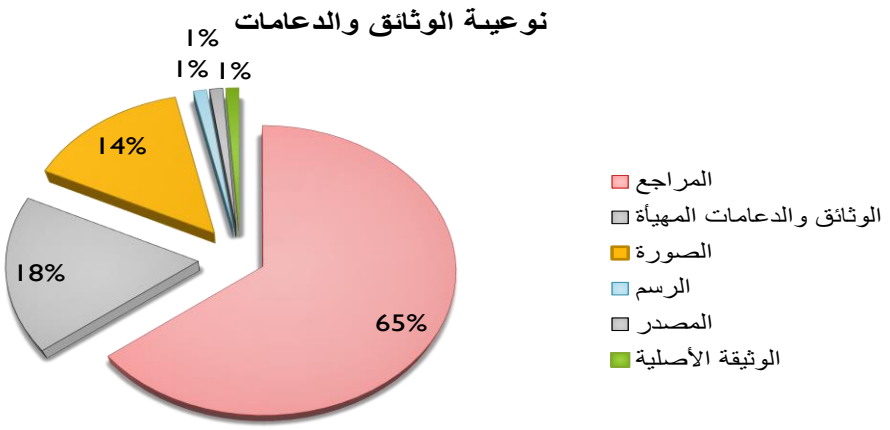

تعليق على المبيان رقم3

يظهر لنا من خلال البيان أن نوعية الوثائق التي حوت إشارة لإفريقيا جنوب الصحراء، نجد المراجع (نصوص مكتوبة؛ خرائط؛ جداول...) هي المهيمنة ب 113 دعامة من أصل 175 دعامة بنسبة 65%، وتليه الوثائق والدعامات المهيأة ب 31 دعامة بنسبة 18%، والصورة ثالثا ب25 دعامة بنسبة 14%، بينما الرسم والمصدر والوثيقة الأصلية توزعت بين دعامتين لكل واحدة 1% غير أن هذا التنوع ليكون أكثر اكتمالا يجب الانفتاح على المصادر والوثائق الأصلية، وما جد من البحوث العلمية حول القارة، وهنا نستذكر المجهود الذي بذلته اليونسكو في إصدار كتاب تاريخ إفريقيا العام، وذلك بالقيام بأبحاث ميدانية وكذا قراءة وجمع المخطوطات الغير المنشورة بالعربية والعجمية (اللغات الإفريقية المكتوبة بالعربية) ، فيمكن اتخاذ هذا الإصدار كمرجع للتعرف على المصادر التاريخية للقارة، والاعتماد عليها في وضع البرامج.

النتائج وبعض المقترحات

نخلص بعد تحليلنا لمضمون الكتاب المدرسي من زاوية حضور البعد الإفريقي –جنوب الصحراء- إلى أن هذا الحضور باهت، ويقتصر على الربط بالأجنبي، حيث أن الوحدات التي تحضر فيها إفريقيا تتناول موضوعات مختلفة أوروبية، مشرقية، ومغاربية، ولم يتم ملامسة وحدات تعنى بتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء كما كان عليه في مرحلة الثمانينات، بل عرفت تراجعا حيث تحضر وحدة وحيدة في السنة أولى باكالوريا، وغياب تام في الجذع المشترك والسنة الثانية باكالوريا، مع الإشارة أن حضور إفريقيا عامة في البرنامج مقتصر على تأريخ لأحداث تاريخية أجنبية، وهذا يتوافق مع الفرضية المركزية للبحث.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

وهذا ما يدعونا لإعادة النظر في منهاج مادة التاريخ بتسليط الضوء على تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء بميزاته وسلبياته، وأن لا نجعل تاريخ جنوب الصحراء مرتبط فقط بدروس الاكتشافات الجغرافية وتجارة الرقيق في العالم بل علينا أن نحاول مسايرة العصر إلى نهايته، وأن نبين كل مرحلة على حدة.

ولتجاوز هذا الضعف، ومحاولة إدماج تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء ضمن مقررات التاريخ بالمرحلة الثانوية التأهيلية، نقترح ما يلي:

- برمجة محاور ووحدات تتناول تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، من أجل إكساب المتعلم كفاية ثقافية ومعرفية عامة وشاملة عن تاريخ العالم.
- ضرورة إيلاء الاهتمام بالتاريخ الإفريقي، واستغلاله في المقررات الدراسية.
- تجاوز الكتابات التقليدية التي تركز على الجوانب السياسية قدر الإمكان، وفسح المجال أمام جوانب متنوعة من التاريخ الإفريقي (ثقافية- اجتماعية).
- ضرورة الاهتمام بالمستجدات التاريخية المكتوبة عن تاريخ إفريقيا، وتوظيفها في الكتب المدرسية قصد الاستفادة منها.
- الربط بين ما يتم تأليفه من كتب مدرسية خاصة بمادة التاريخ، وما يتم التوصل إليه من أبحاث جديدة وذات مصداقية علمية على مستوى الساحة العلمية، والتي تهم قضايا التاريخ الإفريقي.
- تنظيم لقاءات وملتقيات تجمع مؤلفي الكتب المدرسية بالمهتمين بتاريخ إفريقيا، وذلك للقيام بقراءات في المراجع التي تتناول تاريخ إفريقيا، وعلى رأسها "تاريخ أفريقيا العام"، للتعرف على تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، وأهم الأحداث التاريخية التي عاشتها.

خاتمة:

من خلال معالجتنا لموضوع الدراسة الذي انطلقنا فيها من الإشكالية الآتية: **كيف يحضر البعد الإفريقي في مادة التاريخ للثانوي التأهيلي**؟ وبعد معالجتنا لتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في برنامج مادة التاريخ للثانوي خلال مرحلة الثمانينات والتسعينات، وعملنا على تحليل مضمون التوجيهات التربوية والكتب المدرسية "في رحاب التاريخ" و"الجديد في التاريخ" الخاصة (جذع المشترك، أولى باكالوريا، ثانية باكالوريا)، وبرجوعنا لنتائج الدراسة، نستنتج أن حضور تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء عرف تراجعا في برنامج مادة التاريخ انطلاقا من فترة الثمانينات، حيث يظهر أن في نفس المرحلة تراجع حضور وحدات تهم تاريخ إفريقيا، فبعدما كانت في السنة الخامسة الثانوية درسين، تراجعت لدرس واحد في كل من السنة السادسة والسابعة، وغياب تام لتاريخ إفريقيا جنوب الصحراء من برنامج مرحلة التسعينات، في حين أنه في البرنامج الحالي الخاص بمادة التاريخ، فحضور تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء باهت، ويتسم بربطه بالأجنبي.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

وهذا ما لا يتوافق مع مضامين الميثاق الوطني للتربية والتكوين، الذي من مبادئه جعل النظام التربوي يتوافق مع التراث الحضاري والثقافي للبلاد، بتنوع روافده الجهوية المتفاعلة والمتكاملة؛ وجعل المجتمع المغربي يتفاعل مع مقومات هويته في انسجام وتكامل[1]، وهنا نستحضر إفريقيا باعتبارها رافدا من روافد الهوية الوطنية.

هذا إضافة إلى أن المستوى الأكاديمي، يهتم بتاريخ إفريقيا، و بالعلاقات المغربية الإفريقية بعقد عدد من اللقاءات والندوات، والتي لعب فيها المعهد الإفريقي للدراسات والأبحاث دورا مهما، وبإصدار عدد من المقالات والكتابات تعنى بتاريخ إفريقيا، ومنها إصدار مجلة الأمل لسنة 2017، وتحديدا العدد 49 معنون " من تاريخ العمق الإفريقي للمغرب"، وبتخصيص وحدات في سلك الإجازة لتدريس تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء. وبهذا نتساءل، لما تم إهمال تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء في مقررات التاريخ؟ فالكتاب المدرسي للتاريخ ومنه الثانوي التأهيلي على وجه التحديد يفتقد في ثنايا دروسه نمطا تاريخيا مختلفا ومتميزا عن غيره من الأنماط سواء المشرقية أو الأوربية، فإدراجه في الكتب المدرسية سيكون مساعدا للتلميذ المغربي من أجل الانفتاح على قارته، والتعرف على دولها، وتجاوز فكرة ربط إفريقيا جنوب الصحراء بالاكتشافات الجغرافية والبعثات التبشيرية، والاهتمام بجوانب من تاريخ القارة (ثقافية، اجتماعية، اقتصادية...) من أجل تكوين نظرة إيجابية وتجاوز التمثلات والمسلمات السلبية عن إفريقيا جنوب الصحراء وتاريخها.

فيمكن اتخاذ كتاب "تاريخ إفريقيا العام" الذي هو من إصدار اليونسكو، ويضم ثمانية أجزاء عبارة عن مجلدات، كمرجع أساسي لوضع وحدات، وأنشطة تتطرق لإفريقيا جنوب الصحراء، نظرا لكون المرجع تم تأليفه ليزيل الغموض عن إفريقيا جنوب الصحراء، وكما جاء في مقدمة المجلدات الثمانية، ومنها مقدمة المجلد السابع " ستعمل اليونسكو أن ينشر هذا التاريخ العام لإفريقيا على نطاق واسع وبلغات عديدة، وعلى أن يكون أساسا لإعداد كتب الأطفال وكتب مدرسية وبرامج إذاعية أو تلفزيونية. وبذلك يمكن للنشء والتلاميذ والطلاب والكبار في إفريقيا وغيرها أن يكونوا صورة أفضل عن ماضي القارة الإفريقية وعن العوامل التي تفسر هذا الماضي، وأن يتوصلوا إلى فهم أصدق لتراثها الثقافي ولإسهامها في التقدم العام للإنسانية"[2].

قائمة المراجع:

1- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية، تاريخ العصر الحديث، السنة الخامسة ثانوية، مكتبة المعارف، ط1، سنة1983.

2- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، السنة السادسة الثانوية، تاريخ العالم في القرن التاسع عشر، د. ت.

3- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية، تاريخ العالم في القرن العشرين، د.ت.

4- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية، التاريخ، السنة الأولى الثانوية، مكتبة المعارف- الرباط، طبعة 1999-2000.

[1]- الميثاق الوطني للتربية والتكوين، مرجع سابق، ص 7.

[2]- أحمد مختارأمبو، تمهيد، تحت إشراف (ادو بواهن)، اليونسكو(ت.إ: أدو بواهن)، **تاريخ افريقيا العام**، المجلد السابع: افريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية (1880-1935)، 1990. ،ص 15.

ISSN 2311-5181

5- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية، التاريخ، السنة الثانية الثانوية، مطبعة المعارف الجديدة- الرباط، طبعة 2004-2005.

6- المملكة المغربية، وزارة التربية الوطنية، التاريخ، السنة الثالثة الثانوية، دار النشر الحديثة- الدار البيضاء، طبعة 1، سنة 1996.

7- وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي- قطاع التربية الوطنية، في رحاب التاريخ، الجذع المشترك للتعليم الثانوي التأهيلي- جذع الآداب والعلوم الإنسانية، مكتبة السلام الجديدة-الدار البيضاء، طبعة 2008

8- وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي- قطاع التربية الوطنية، الجديد في التاريخ، سلك التعليم الثانوي التأهيلي- الجذع المشترك للآداب والعلوم الإنسانية، دار نشر المعرفة- الرباط، طبعة 1، سنة 2005

9- وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي- قطاع التربية والتكوين، في رحاب التاريخ، السنة الأولى منسلك الباكالوريا- مسلك الآداب والعلوم الإنسانية- مسلك اللغة العربية والتعليم الأصيل، مكتبة السلام الجديدة- الدار البيضاء، طبعة 2012.

10- وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي وتكوين الأطر والبحث العلمي- قطاع التربية الوطنية، الجديد في التاريخ، السنة الأولى من سلك الباكالوريا- مسلك الآداب والعلوم الإنسانية، مسلك اللغة العربية بالتعليم الأصيل، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، طبعة 2011.

11- وزارة التربية الوطنية وتكوينا لأطر ، في رحاب التاريخ، السنة الثانية من سلك الباكالوريا، مسالك الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الشرعية واللغة العربية بالتعليم الأصيل والعلوم الزراعية- العلوم الاقتصادية وعلوم التدبير المحاسباتي والعلوم الزراعية، مكتبة السلام الجديدة –الدار البيضاء، طبعة 2014.

12- وزارة التربية الوطنية وتكوين الأطر، الجديد في التاريخ، السنة الثانية من سلك الباكالوريا- الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الشرعية واللغة العربية بالتعليم الأصيل- العلوم الاقتصادية وعلوم التدبير المحاسباتي والعلوم الزراعية، ن شر المعرفة، طبعة 2011.

13- التوجيهات التربوية والبرامج الخاصة بتدريس مادتي التاريخ والجغرافيا بالسلك التعليم الثانوي التأهيلي، الصادرة عن مديرية المناهج 2007.

14- اليونسكو(ت.إ: أدو بواهن)، تاريخ افريقيا العام، المجلد السابع: افريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية (1880-1935)، 1990.

15- علي موريف، تدريس التاريخ وبناء الهوية الوطنية مساهمة في التحليل السوسيوتربوي للخطاب التاريخي المدرسي بالمغرب- السلك الثانوي الاعدادي نموذجا-،أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية، جامعة محمد الخامس، كلية علوم التربية، الرباط، 2015.

16- Mostapha Hassani Idrissi, Pour une autre réforme de l'enseignement de l'histoire au Maroc, In attadris, n°4, 2008.

ISSN 2311-5181

المدارس العتيقة بالجنوب المغربي بين الأدوار المجتمعية والإشعاع العلمي: حالة مدرسة تنكرت بإفران الأطلس الصغير

Ancient schools in southern Morocco between societal roles and scientific radiation: The case of a school Tankert in Ifrane Atlas Al Saghir

د. رشيد صديق/جامعة محمد الخامس، المغرب طالبة باحثة. إجو بلمسيل/جامعة ابن زهر، المغرب

SADIK RACHID/ University of Med 5 Rabat Morocco

IJOU BOULMSAIL/ University of Ibn Zohr Agadir Morocco

ملخص:

تميزت منطقة إفران الأطلس الصغير كغيرها من قرى وواحات بغنى تراثها المادي وغير المادي. ولقد تطرقنا خلال هذا المقال العلمي إلى دراسة بعض الجوانب التاريخية والجغرافية للمنطقة، وانصب اهتمامنا حول الحديث عن أهم المدارس العلمية العتيقة الموجودة بأرض إفران وهي "تنكرت" المشهورة في أرض سوس الأقصى والمغرب عموما، حيث ساهمت في تنشيط الحركة العلمية والثقافية بسوس جنوب المغرب، ولا ننسى أدورها المهمة لعلمائها وإسهامهم الكبير في تأسيسها وبعثها وإحيائها من جديد.

الكلمات المفتاحية: المدارس العتيقة، التراث الثقافي، الجنوب المغربي، إفران الأطلس الصغير.

: Abstract

The region of Ifrane Atlas al-Saghir, like other villages and oases, is distinguished by its rich tangible and intangible heritage. During this scientific article we have dealt with the study of some historical and geographical aspects of the region, and our attention focused on talking about the most important ancient scientific schools in the land of Ifrane, which is the famous " Tankert" in the land of Sous Al-Aqsa and Morocco in general, as it contributed to the revitalization of the scientific and cultural movement in Souss southern Morocco, and not We forget its important roles for its scholars and their great contribution to its establishment, resurrection and revival.

key words: -Ancient schools -cultural heritage -southern Morocco -Ifrane Atlas Saghir.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
Jil Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

تقديم :

لقد بدأت مسيرة البناء الحضاري والاجتماعي بالمغرب مع دخول الإسلام مع الفاتحين الأوائل، حيث برزت فيه مظاهر العبقرية المغربية في الخلق والإبداع، وكان أساس هذه النهضة الحضارية نظام تعليمي ناجح أسس على العقيدة الإسلامية التي آمن بها المغاربة واعتنقوها عن قناعة ورغبة، وقد وفدت تقاليد هذا النظام التقليدي مع الفاتحين الأوائل حينما اتخذوا المساجد أماكن للتعليم والتكوين والتربية.

لقد تعددت المؤسسات التي اضطلعت بهذه المهمة في تاريخ المغرب؛ وحملت المساجد راية ريادتها في بداية الإسلام، ثم شاركتها الرباطات في مرحلة لاحقة حينما أصبحت مقاومة للأفكار الضالة وناشرة للعقيدة الصحيحة، ثم اختفت أدوار الرباطات لتحل محلها المدارس العلمية التي كان من مهامها الوعظ والإرشاد والحفاظ على التوازن؛ وبعد ذلك ظهرت الزوايا التي جمعت بين الوظيفتين: التعليمية التكوينية والتربوية الصوفية، مع بقاء المدارس نشيطة في عملها.

كما نتج عن هذا النشاط العلمي التعليمي بمختلف جهات المغرب لما يزيد على ثلاثة عشر قرنا بروز طائفة كبيرة من العلماء والفقهاء والوعاظ والمقرئين، وظهور آلاف المؤلفات في العلوم المختلفة العقلية النظرية والتجريبية، ولا يخفى ما كان لهذه النخب العالمية من جهود في خدمة الوطن والحفاظ على كيانه والدفاع عن وحدته.

إذن، إن منطقة سوس لها إسهام كبير في هذه الحركة التعليمية المغربية، وذلك لكثرة المدارس العتيقة المنتشرة في مناطقها، حيث بلغ عدد المدارس العلمية بسوس ما يفوق المائتين[1]، واستمرت في العطاء التربوي والعلمي منذ أول مدرسة علمية وهي مدرسة وكاك بن زلو بأكلو، التي استمرت في إمداد المنطقة خاصة والمغرب عامة بالعلماء المبرزين والفقهاء النوازليين والقراء الماهرين والحفاظ المستظهرين، وتشهد كتب التاريخ والتراجم والفهارس على مقدار عطائهم وتفوقهم وإسهامهم في تنوير مجتمعهم وفتح آفاقه المعرفية والفكرية.

وتعتبر إفران الأطلس الصغير منطقة مأهولة بالسكان منذ العصور التاريخية القديمة نظرا لما تزخر به من مؤهلات ثقافية وطبيعية تشجع على الاستقرار، إذ تعد مجالا خصبا غنيا يكتنز إرثا حضاريا وثقافيا؛ ويختزل ذاكرة حية تتحدث لغة التاريخ والحضارة والتراث.

وتتميز المنطقة كذلك بغناها الثقافي والحضاري الذي يختلف من حيث زمان البناء ومكانه وتقنياته. فهذه المباني الشاهدة على قدم التعمير وتطوره في المنطقة، ومن أهم هذه المآثر التاريخية: "المدارس العلمية العتيقة" التي عرفتها منطقة إفران، شأنها شأن مناطق سوس. ومن أهم هذه المدارس التي تهدف بالأساس إلى التنشئة السليمة على الدين القيم والتخلق بالآداب وتعلم اللغة العربية والعلوم الشرعية المختلفة؛ "مدرسة تَنْكَرْتْ" نموذجا.

1- عمر المتوكل الساحلي، **المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس**، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1990، الجزء 3، ص.33.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

أولا: المدارس العلمية العتيقة بسوس: المفهوم والتاريخ

1- الإطار المفاهيمي "المدرسة العتيقة نموذجا"

يقصد بالمدارس العتيقة، تلك المدارس الدينية التقليدية الأصيلة التي انتشرت في المغرب الأقصى منذ الفتوحات الإسلامية، وهي تمتاز بأصالة التعليم، وتلقين العلوم الشرعية، وشرح مبادئ العقيدة الربانية، لذلك تسمى بمدارس الدين الإسلامي، أو مدارس التعليم الأصيل، أو مدارس التعليم التقليدي أو التعليم القديم أو المدارس الدينية أو المدارس القرآنية أو المدارس الشرعية[1].

يعد المؤرخ محمد المختار السوسي أول من أطلق مصطلح المدارس العتيقة في كتابيه: "مدارس سوس العتيقة" و"سوس العالمة" الموجودة بكثرة في منطقة سوس بالجنوب المغربي، ولم يقصد رحمة الله عليه بهذا الوصف القدح والتنقيص وإنما قصد التمييز، لذا تلقاه الباحثون الذين جاؤوا بعده بالاستحسان ولم تنتقده إلا القلة القليلة[2]، وتعرف الدكتورة رشيدة برادة المدرسة العتيقة بأنها: "بناية كانت تحبس لمزاولة التعليم وإيواء الطلبة الذين كانوا يفدون عليها قصد التعلم من مختلف أنحاء البلاد" ومصطلح التحبيس يعني هنا أن هذه البناية لا تمول من بيت المال وإنما يحبس عليها من أملاك الرعية أو الحكام"[3].

إن المدارس العتيقة أيضا تعني الكتاتيب القرآنية (المكتب، الكتاب، والمسيد[4]، دار الفقهية)، والمساجد والجوامع، والروابط والزوايا والمدارس الحضرية التي كان قد شيدها السلاطين المغاربة بفاس ومراكش ومكناس وسبتة وسوس ... [5].

ومن وصف المدرسة التقليدية بالعتاقة، أخذ وصف التعليم الذي يمارس فيها الوصف نفسه، فقيل التعليم العتيق هو ذلك التعليم الذي يمارس في مدارس المغرب القديمة، ومقابله التعليم العصري أو الرسمي النظامي[6]، والمدرسة العتيقة مؤسسة حضرية تعليمية سنية صريحة أو رباط جهادي وزاوية صوفية[7]؛ تتميز باستقلال بناياتها، واعتمادها على الأحباس،

1- جميل حمداوي، **المدارس العتيقة بالمغرب**، سلسلة المعارف الأدبية، مطبعة العارف الجديدة، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، الرباط، سنة 2010، ص 7.

2- **نفسه**.

3- عبد السلام الأحمر، **حوار الدكتور اليزيد الراضي، الفقيه الشاعر حول و اقع التعليم العتيق**"، مجلة تربيتنا، المغرب، عدد 5، ربيع الثاني 1426هـ، ماي 2005م، ص: 38 - 43.

4-كان المغاربة يتلقون عادة تعليمهم الابتدائي في المدارس القرآنية المسماة بالمكتب أو الكتاب في اللغة العربية الفصحى ،غير أن المصطلح المستعمل غالبا للدلالة على المدارس القرآنية في المغرب هو لفظة "المسيد" و تستعمل هذه الكلمة في اللغة العربية المكتوبة في كل أنحاء المغرب ومصطلح "المسيد" تهجية عامة لكلمة "المسجد" التي يستعملها المغاربة كمرادف "للمدرسة القرآنية" و بخصوص الانتقال من فكرة "المدرسة القرآنية" الملحقة بالمسجد ،قارن المصطلح المغربي " الجامع " الذي يفيد المعنيين معا ، وبالرغم من أن "المسيد" كلمة عامية ،فقد أدرجت في اللغة العربية المكتوبة بالمغرب، مأخوذ من : جون جيمس (ديمس): "حركة المدارس الحرة بالمغرب (1919 – 1970)"، ترجمة السعيد المعتصم، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء،، درا النشر تانسيفت، الطبعة الأولى، 1991، ص. 16.

5- جميل حمداوي، **المدارس العتيقة بالمغرب**، مرجع سابق، ص 8.

6- محمد (تيفاوين)، **قراءة في التعليم العتيق رقم 01-13**"، مجلة تربيتنا، المغرب، عدد 5، ربيع الثاني 1426 هـ، ماي2005م، ص 48-51.

7- التهامي الراجي (الهاشمي)، **دور المدارس القر آنية في التربية**، مجلة دعوة الحق، الرباط، المغرب، العدد 330، السنة 38، غشت – شتنبر 1997 م، ص 64 – 70.

ISSN 2311-5181

وصدقات المحسنين في دفع أجرة المدرسين، وتكاليف المبيت، ومصاريف الأكل، والشرب، واللباس، وشراء الكتب الدراسية، وكرائها لنسخها؛ ويكون ضمن أحباسها أحيانا مقبرة لدفن من يتوفى من طلابها كما هو الشأن بأقدم مدرسة بسبتة [1].

وقبل الحديث عن المدارس العلمية العتيقة بـ"سوس" وجب الوقوف عند الحركة العلمية بسوس منذ دخول الإسلام إليه في القرن الأول الهجري، ثم إلى ظهور المدارس العلمية العتيقة التي حملت مشعل الثقافة الإسلامية ولواء العروبة والإسلام قرونا من الزمان كل هذا بفضل جهاد علمائها الأجلاء الذين وهبوا حياتهم لخدمة الدين والثقافة الإسلامية.

2- تاريخ المدارس العلمية العتيقة بسوس

قبل الحديث عن ظهور المدارس العتيقة بسوس ارتأينا أن نقدم أولا بداية الحركة العلمية بسوس منذ الفتح الإسلامي هذا الأمر الذي سيساعدنا على إبراز وإظهار القيمة الحقيقية التاريخية لحركة سوس العلمية وجهاد علمائها في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بادية سوس والتي عرفت بالشجاعة والكرم والجود ومحبة العلم وأهله. ففي بداية النصف الأخير من القرن الأول الهجري شاءت إرادة الله تعالى أن يصل نور الإسلام إلى ربوع سوس ليخرج أهله من ظلمات الجهل والوثنية إلى نور المعرفة والعلم و التوحيد.

تذكر كتب التاريخ أن كل الذين كتبوا عن تاريخ المغرب بصفة عامة وسوس بصفة خاصة، اتفقوا على أن التابعي الجليل عقبة بن نافع[2] الفهري الذي يرجع له الفضل في إيصال الإسلام إلى سوس خاصة والشمال الإفريقي عامة، وكان أول من فتح المغرب الأقصى عام 62 هجرية لما بعثه الخليفة يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأموي[3]. وفي ظل هذا الفتح العظيم خطا عقبة خطوات كبيرة بسرعة وذلك لشجاعته النادرة في مصارعة الوثنية والشرك قبل مجيء الإسلام[4]. زاد الإسلام ينتشر عاما بعد عام بفضل جهاد العلماء والوعاظ وبفضل اختلاط المغاربة في حياتهم العامة بعدد كبير من الصحابة والتابعين الذين دخلوا المغرب.

وفي عهد مولاي إدريس[5] وصل إلى بلاد سوس كثير من العلماء من جميع التخصصات ونشروا بين أبنائه الإسلام الحنيف واللغة العربية والعلوم الإسلامية كلها في جميع الميادين وجميع الأماكن وكان ذلك حوالي 172 هجري، فأتم رحمه الله ما كان مؤسسا على يد عقبة بن نافع و ابن نصير، فبث التعليم ونشر العلم العربي والثقافة الإسلامية[6].

قال المختار السوسي لما تحدث عن هذه الحقبة: "لم يمر إلا زمن يسير حتى صار المغرب يكتسي حلة عربية إسلامية،

1- رشيدة برادة، **التعليم العتيق والبنية التقليدية في المغرب**، مجلة علوم التربية ، الرباط، المغرب، العدد الثالث والثلاثون ، مارس 2007، ص 121 -143.

2- هم ابن عمروا بن العاص ولد على عهد رسول الله و استشهد سنة 63هـ، وللتفصيل أكثر آنظر كتاب "أسد الغابة في معرفة الصحابة "، 556/3.

3- أيت بومهاوت أمحمد (الوسخيني): "**منار السعود عن تفراوت الملود و مدرستها العتيقة** "، (مرجع سابق)، ص24.

4- أيت بومهاوت أمحمد (الوسخيني): "منار السعود عن تفراوت الملود و مدرستها العتيقة "، (مرجع سابق)، ص25.

5- هو ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب، قدم الى المغرب من مكة 170 للهجرة حيث قام دولة الأدارسة، اغتيل 175هجرية.

6- أيت بومهاوت أمحمد (الوسخيني): "منار السعود عن تفراوت الملود و مدرستها العتيقة"، (مرجع سابق)، ص28.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
Jil Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

وتأصلت فيه جميع العلوم العربية الإسلامية، وتأسست لها معاهد ومدارس في كل مكان وشهدت سوس بالخصوص نهضة علمية كبيرة ومتى أراد الله شيئا هيأ له الأسباب"[1]. وقال: "ولما جاء القرن التاسع الهجري بفاتحة خير حيث ازدهرت النهضة العلمية العجيبة التي رأينا ثمارها في التدريس والتأليف وكثرة تداول الفنون". وقد شاركت "سملالة" و"رسموكة" و"أيت أحمد" و"أقا" و"الهشتوكيون" و"الراسلواديون"[2] وغيرهم في النهضة السوسية[3].

وخلال القرن العاشر، فشهد بدوره حركة علمية أوسع وأكثر مما قبلها فقد خرج العلماء إلى الميادين الحيوية ودخلوا المعترك السياسي فشاركوا في الأمور العامة، وفي سياسة البلاد وتسيير أمور المواطنين، فاستحوذوا بذلك على قيادة الشعب، فقد كانوا حسب المؤرخين سببا في توطيد الدولة السعدية[4].

وأشار المختار السوسي في سوس العالمة إلى أن: "سوس كلها زخرت بالدراسة والتأليف والبعثات العلمية تتوالى إلى فاس وإلى مراكش وحتى الأزهر حتى أصبح كل ما يدرس في فاس من العلوم والفنون يدرس في سوس أيضا سواء بسواء"[5].

وهكذا إلى أن جاء القرن الحادي عشر بخيرة من فطاحل العلماء الكبار، وأصبحت فتواهم قوية بفضل الأجلاء الذين برزوا في جميع الميادين مثل "عيسى السكتاني"[6] و"عبد الله بن يعقوب السملالي"[7] و"على بن أحمد الرسموكي"[8] و"سعيد

1- نفسه.

2- نفسه، ص 20.

3- نفسه، ص 29.

4- محمد المختار(السوسي): "سوس العالمة"، ص 20.

5- محمد المختار(السوسي): "سوس العالمة"، ص 20.

6- عيسى بن عبد الرحمن السكتاني أبو مهدي قاضي قاضي تارودانت ثم قاضي مراكش، هو ركراكي النسبة فيما اشتهر عنه صاحب الفتاوى الشهيرة وصاحب القضية المعلومة بينه وبين يحيا بن عبد الله بن سعيد الحاحي... و عيسى السكتاني أشهر من نار على علم ، توفي وهو عالى قضاء الحمراء 7 – 2 – 1061 هجرية، مأخوذ بتصرف من محمد (المختار السوسي): المعسول، 15/5.

7- عبد الله بن يعقوب السملالي: هو الفقيه العالم العامل المحقق نسبه :هو عبد الله بن يعقوب بن عبد الله بن يعقوب – مكررا– بن سليمان بن محمد بن تامورة ابن عبد العزيز بن يونس – هكذا مكررا أيضا- بن علي بن عمر بن موسى ابن أحمد بن محمد بن العربي بن عيسى بن عبد الله بن كندوز بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حسان بن اسماعيل بن جعفر بن عبد الله بم الحسن بن علي بن أبي طالب. وقال عنه تلميذه الرسموكي: شيخنا الفقيه العالم المتفنن الصالح سيدي عبد الله بن يعقوب السملالي خاتمة المدرسين المحققين بجزولة، واظب على التدريس رحمه الله.

8- محمد(المختار السوسي):"المعسول"، مطبعة الشمال الافريقي، مطبعة النجاح، الرباط، 1962 – 1963 ميلادية،202/11.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

الهوزالي"[1] و"محمد بن سعيد المرغيتي"[2] و"محمد بن محمد التامانارتي"[3].

بعد ذلك هيأ الله للمغرب المجاهد زهير بن قيس البلوي[4]، فقتل كسيلة وجاء بعد ذلك حسان ابن نعمان الأزدي، فاستأنف الجهاد الذي بدأه عقبة، ودون الدواوين باللغة العربية وجعلها اللغة الرسمية للبلاد، واتخذ الفقهاء للصلاة والوعاظ للإرشاد والفتوى في مسائل الدين وأقام الكتاتيب بجانب كل مسجد لتعليم أبناء المسلمين دين الإسلام وتحفيظهم القرآن الكريم وتعليمهم اللغة العربية، ويعد أول من أقام الدولة الإسلامية بالمغرب بجميع تنظيماتها المعروفة[5].

وبعد ذلك جاء موسى ابن نصير[6] ليتبع طريق من سبقوه وقد جاء معه بسبعة وعشرين ألفا من العرب المسلمين وأمرهم أن يعلموا المغاربة القرآن والفقه وكان موسى ابن نصير ثالث أمير عربي وصل إلى المغرب ودفع عجلة الحركة الإسلامية إلى الأمام، أما في عهد عمر ابن عبد العزيز[7]، فقد أسلم بقية المغاربة على يد اسماعيل[8] بن عبد الله بن أبي المهاجر سنة مائة وواحد للهجرة.

كان بناء المساجد[9] أول شيء اهتم به الفاتحون الأولون، وذكر المؤرخون[10] أن عقبة بن نافع وحسان بن النعمان وغيرهما من الفاتحين المذكورين قاموا بإنشاء سلسلة من المساجد في مختلف المدن والقرى لكي يستقر الإسلام في قلوب الذين يرتدون

1- سعيد الهوزالي: ولد سنة 913 هجرية وقد قال عنه تلميذه عبد الرحمن التامانارتي في (الفوائد الجمة): شيخنا الفقيه العالم العلامة الصدر القضاة سيدي سعيد بن علي بن مسعود ابن علي السوسي الهوزالي ،طود من أطواد الأناة و السكينة وركن من أركان المهابة و العزة، ولى قضاة الجماعة بسوس الأقصى نيفا وثلاثين سنة، فأحسن السيرة و جمع كلمة الهدى، توفي رحمه الله ليلة الإثنين لثمان عشرة خلت من صفر سنة 1001 هجرية . آنظر بقية ترجمته في المعسول، 48/7.

2- انظر ترجمته في "المعسول"، 158/10.

3- محمد بن محمد بن ابراهيم التامانارتي: هو محمد بن محمد بن ابراهيم بن عمرو بن طلحة بن محمد بن سليمان بن عبد الجبار التامانارتي هو العالم الجليل قام بوظيفة التعليم و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بعد أبيه، أحسن قيام في أحسن سيرة. آنظر تتمة الترجمة في المعسول ج 10، ص 47.آنظر ترجمته في "المعسول" 7/ 47.

4- توفي سنة 76 هجرية في غزوة ببلاد الروم "قادة فتح المغرب"، 205/1.

5- أيت بومهاوت أمحمد(الوسخيني): "منار السعود عن تفراوت الملود و مدرستها العتيقة"، (مرجع سابق)، ص26.

6- توفي بوادي القرى بالحجاز سنة97 هجرية، آنظر "قادة فتح المغرب" ص277.

7- ولد أوائل الستينات الأولى من الهجرة وتوفي "بدير سمعان "قرب حمص في رجب سنة 101 هجرية انظر تاريخ الخلفاء للسيوطي ص 212.

8- توفي بالقيروان سنة 132 هجرية.

9- كلمة "مسجد": عبارة عن مجموعة من البيوت التي يرتفق بها سكان القرية من محل الصلاة ويسمى المقصورة، والميضأة، ومسخن الماء وبيت الطالب(امام الصلاة ومعلم الصبيان)وكتاب القرآن، ودهليز يستريح فيه الناس للأحاديث والأقاصيص وعرصة ومخزن للحبوب والحطب، فالمساجد عموما هي بيوت الله تتلى فيها آياته و حكمه فبهذا نالت المنزلة العالية والمقام الكريم(مأخود من :"المدرسة الأولى"، م.س، ص 14-15 /وأبوالوفاء يحيى أحمد بن علي(التجاجتي): "مآثر السلف و مفاخر الخلف"، منشورات جمعية إيليغ للتنمية و التعاون ، 1991، ص 13.

10- عبد الله (الحجاجي): "الإرتجال في مناقب سبعة رجال"، مخطوط بالمكتبة الملكية، الرباط، ص 194.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

من المغاربة كمسجد "القيروان"[1] ومسجد "نفيس"[2] برباط شاكر ومسجد "أغمات"[3] ومسجد "رباط ماسة"[4] وغيرها.

إن مسجد القيروان[5] الذي يعد أقدم جامعة إسلامية في إفريقيا كلها تقريبا وأسس في أواسط القرن الثالث الهجري وجامع بن يوسف بمراكش يعدان ثمرة ونتيجة لتلك المساجد. والجدير بالذكر هنا، أن هذه المساجد المذكورة وغيرها كانت بداية المدارس العتيقة بسوس، ولاشك أن المدارس والمساجد شاركت في نشر الثقافة والحضارة بسوس خاصة والمغرب بصفة عامة[6].

فإلى هؤلاء وفتاويهم، يرجع عند الاختلاف وفي فض النزاعات والنوازل[7] ثم جاءت الدولة العلوية فكانت سعد السعود، كما يقول المختار السوسي فقد تكاثرت في عهدها المدارس العتيقة حتى بلغت أكثر من مائتين وزخرت بالطلبة[8]. يظهر إذن، أن فترة الفتوحات الإسلامية ومرحلة دخول الإسلام إلى سوس -بكل مراحلها وعلمائها- لها الفضل الكبير في بداية انتشار المدارس العلمية واهتمام الأمة بأمور التدريس لمختلف العلوم الشرعية وإعطاء المكانة للدين الحنيف والعبادة.

ثانيا: إفران الأطلس الصغير: الموقع الجغرافي والمعطيات

1- الموقع الجغرافي

تقع منطقة إفران الأطلس الصغير على الساحل الأطلسي بسوس جنوب المملكة، وتمتد حدودها الساحلية إلى مصب واد إفران الأطلس الكبير، الذي يصب في منطقة "آسْكْ نْدْعْلِي أُعُمَرْ" في المحيط الأطلسي. وتحديدا ما بين خطي طول°9 و °10وخطي عرض °29 و30، وتقدر مساحتها الإجمالية ب 129.49كيلومتر مربع[9] . تحد منطقة إفران شمالا جماعة تيغيرت إقليم تزنيت غربا، وجماعة أيت ارخا إقليم تزنيت شرقا، وجماعة أداي أيت حربيل، وجنوبا جماعة تيمولاي قيادة إفران.

وتبعا للإطار القانوني الإداري، تنقسم المنطقة إلى أربع مشيخات وهي: تَنْكَرْتْ، أمسرا، ربع الوسط، إداوشقرا، وربما هذا التقسيم يؤكد مع ما جاء به "مارمول كربخال" من خلال قوله "إفران عبارة عن مجموعة عمرانية تتألف من أربع مدن

1- "القيروان" أسسه عقبة بن نافع سنة 50 هجرية، "شجرة النور"، ص 96.

2- "نفيس": تقع على ضفة نهر يحمل الإسم ويتلقى مياهه من جبال الأطلس الكبير عند "تينمل "ويصب في بحيرة جنوب مراكش قال عنها البكري:إنها مدينة محصنة قديمة افتتحها عقبة بن نافع و ذكر أنها كثيرة السكان في زمانه أما اليوم فلا يعرف لها أثر "خالدون " ص87 .

3- "أغمات" تقع على نهر يحمل اسمها وهي قاعدة دولة "المرابطين " قبل تأسيس مراكش أما اليوم فهو مركز تقام فيه سوق اسبوعية .

4- "ماسة" تقع على شاطئ المحيط الأطلسي بين اكادير وتزنيت ويذكر أن مبدأ تأسيس هذا المسجد كان على يد عقبة بن نافع الفهري."خلال جزولة "،ج4 ص44.

5- أسسته فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري سنة 245 هجرية.

6- أيت بومهاوت امحمد (الوسخيني): "منار السعود عن تفراوت الملود و مدرستها العتيقة" ،م.س. ص .30 .

7- محمد المختار(السوسي): "**سوس العالمة**"، ص .21.

8- نفسه ص 22.

9- **منوغر افية جماعة إفران الأطلس الصغير**، لسنة 2011- 2016، ص 5.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

مسورة"[1] وكما قال ليون الإفريقي: "إفران تتكون من نحو أربعة قصور"[2]. وتقدر مساحة منطقة إفران دون مساحة الجماعة الثانية تيمولاي بحوالي 129كلم²، أما عدد سكانها فيبلغ 15.800نسمة[3]. (أنظر الخريطة رقم 1).

خريطة رقم 1:

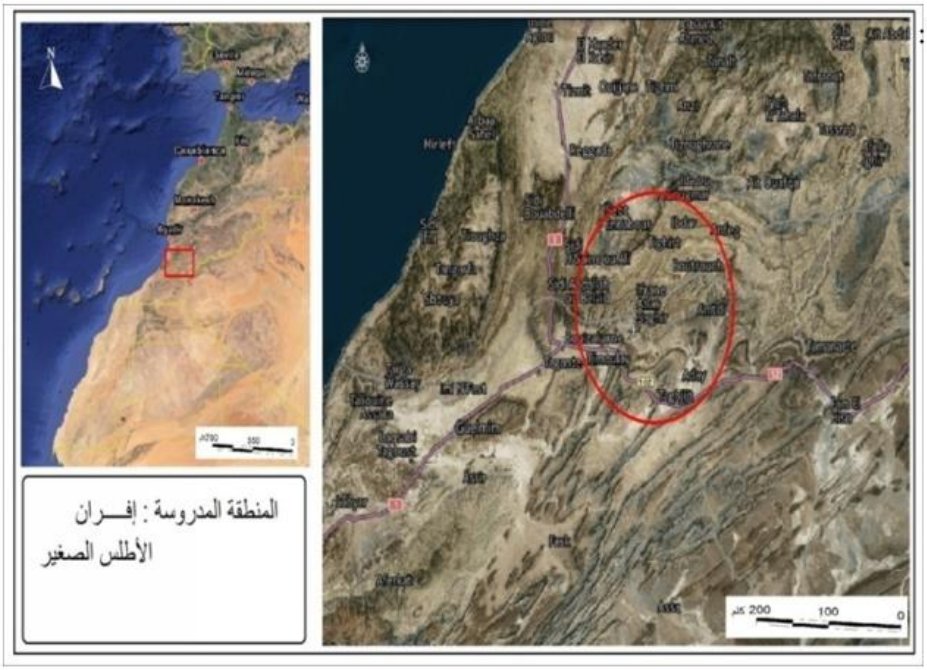

توطين ` **google earth بتصرف- عمل شخصي 2019**

2- المعطيات العامة

تتميز منطقة إفران بمناخ شبه جاف، يتأثر بالمؤثرات الصحراوية، خاصة الشركي الذي يهب في فصل الصيف، تتراوح فيه درجة الحرارة ما بين °38 و°42 كمعدل سنوي، وما بين°10 و°12 في فصل الشتاء. أما الفصل المطير فلا يستغرق وقتا طويلا؛ إذ أن ثلث أرباع الأمطار المتساقطة تكون في مدة وجيزة، ترتبط أساسا بالرياح الغربية والجنوبية بمعدل 15 يوما في السنة، مع وجود تفاوتات من سنة إلى أخرى لتتراوح بذلك كمية التساقطات ما بين 90 و 110 ملم في السنة[4].

تعتبر منطقة إفران الأطلس الصغير منطقة محاطة بالجبال من كل الجهات، كما أن معظم أراضيها عبارة عن تلال وهضاب، تتخللها وديان من منخفضات؛ وهي صالحة للزراعة المسقية أو البورية، كما أنها صالحة للرعي كذلك.

تظهر المعطيات السابقة -التضاريسية منها والمناخية- ضعف الغطاء النباتي، وارتباط نموه بالفصل المطير، فلا تتكيف مع هذا النوع من المناخ إلا النباتات الشوكية وأشجار أركان التي تنتشر في المرتفعات والأراضي البورية. إضافة إلى طبيعة التربة

1- مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي، دار النشر المعرفة مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، سنة 1989، 143/3.
2- الحسن بن محمد (الوزان)، **وصف إفريقيا**، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1983، 115/2.
3- **منوغر افية جماعة إفران الأطلس الصغير**، (مرجع سابق) 2011- 2016، ص 6.
4- **منوغر افية جماعة افران الأطلس الصغير**، سنة 2011-2016، ص6.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

المتميزة بضعف مكوناتها وندرة المياه أثناء سنوات الجفاف إلا تربة الواحات، تلك التي تسمح بإقامة أنشطة زراعية لامتدادها على ضفاف الأودية، والتي يعتمد فيها الفلاحون على نظام الري التقليدي بالاعتماد على العيون الموجودة بالمنطقة، والتي يعتمد فيها على نظام النوبة مع الاستعانة بمياه الآبار باستعمال المضخات الكهربائية.

من الناحية التاريخية، فقد شكلت إفران منذ القدم منطقة استقطاب لعدد من الجماعات البشرية: أمازيغ ويهود وعرب وأفارقة، فقد توالت على المنطقة منذ القرن الخامس قبل الميلاد قادمة من إفريقيا وفلسطين وشبه الجزيرة العربية، نظرا لما توفره واحة إفران من ظروف مواتية ومشجعة على الاستقرار حيث وفرة الماء والكلإ وكذا وجود سلاسل جبلية، إضافة إلى كون المنطقة محطة استراحة القوافل الصحراوية التي عرفت أوجها في عهد أحمد المنصور الذهبي، ناهيك عن كونها منطلقا لعدد من الدول التي توالت على حكم المغرب (المرابطين، الموحدين)؛ هذا ما جعل المنطقة تتميز عن غيرها من المناطق بتنوعها الطبيعي والبشري والعمراني وغناها التاريخي[1].

وعلى المستوى الطوبونومي، تتخذ لفظة إفران أبعادا أسطورية تاريخية ولغوية، كما تداولتها الروايات الشفوية وبعض الكتابات المهتمة بالمنطقة، التي أعطتها تفسيرات مختلفة، وأكثرها تداولا: الأصل الاشتقاقي والتاريخي لكلمة إفران: مفرد هذه الكلمة هو إِفْرِي وتصغيرها تِيفْرَاتِينْ باللغة الامازيغية وتقابلها في اللغة العربية غار، ولا يستبعد أن يكون هذا التفسير هو الأصح والأقرب للحقيقة نسبة إلى مظاهر العمران البشري بالمنطقة؛ حيث النواة الأولى القديمة للتعمير بقبيلة تَنْكَرْتْ شيدت على طول جنبات واد إفران وتتخلله مجموعة من المغارات[2].

أما بالنسبة لجانب الاقتصادي، فقد شكلت منطقة إفران فيما مضى ممرا تجاريا هاما تسلكه القوافل التجارية القادمة من الجنوب نحو الشمال أو العكس، وكما أن الحركة التجارية بين المغرب والسودان والتي تنطلق من إفران أو تمر به متاجرة في النحاس و الذهب والثمر...، وأهم مركز تجاري في المنطقة والذي يوجد بالمركز وتقصده القبائل المجاورة الموجودة بشمال إفران إداوسملال وتلك الموجودة بجنوب وادي نون[3].

ثالثا: الإشعاع الديني والأدبي والثقافي للمدرسة تنكرت العتيقة

1- الإشعاع الديني:

يتجلى في كون هذه المدرسة تعمل على ترسيخ العلوم الشرعية الإسلامية ونشرها، والدعوة إلى الكتاب والسنة وربط الناس بدينهم[4]. كما يظهر الإشعاع الديني في كون المدرسة لها علاقات وطيدة وكثيرة مع المدارس السوسية المشهورة أهمها مدرسة إعشان ومدرسة إمجاط ولا ننسى المدرسة الإلغية...، حيث يتبادل فقهاء وطلبة هذه المدارس مع فقهاء وطلبة مدرسة

1 - "**منوغر افية جماعة إفران الأطلس الصغير**"، لسنة 2011 – 2016، ' نبدة عن إفران الأطلس الصغير'، ص.7 .

2- "**منوغر افية جماعة إفران الأطلس الصغير**"، لسنة 2011 – 2016، ' نبدة عن إفران الأطلس الصغير'، ص.7.

3- من "**موسوعة المغرب**"، الباب (إفران)، ص 549.

4- المهدي بن محمد (السعيدي)، "**المدارس العتيقة وإشعاعها الأدبي والعلمي بالمغرب، المدرسة الالغية بسوس نموذجا**"، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية المغربية، ط1 1427 هجرية/2006 ميلادية مطبعة فضالة ، المحمدية، ص 536.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

تَنْكَرْتْ مجموعة من المراسلات الشعرية والنثرية التي تناقش مواضيع دينية واجتماعية وأخلاقية...[1]، سنقدم نماذج منها:

- منظومة زكاة الفطر التي أفتى فيها الشاعر الحاج الحسين بن موسى بن حمو البكري بوجوب الزكاة حبوبا وليس نقدا وذكر أصناف التي تخرج منها الزكاة معززا بأمثلة في الكتاب و السنة ومعارضا رأي الذين أفنوا بإخراجها نقدا خلافا للأصل الشرعي [2]:

فَفِي زَكَاةِ ٱلفِطْرِ نَصٌّ وَاضِحٌ صَارَعَهُ فِي ٱلْعَصْرِ جَهْلٌ فَاضِحِ

وَالنَّصُّ إِنْ وَرَدَ فِي ٱلقُرْآنِ أَوْ فِي ٱلحَدِيثِ المُصْطَفَى ٱلْعَدْنَانِي

يَجِبُ أَنْ نَتْبَعَهُ كَمَا وَرَدَ وَوَيْحَ مَنْ بَدَّلَهُ بِلاَ سَنَدِ[3]

ولما ورد هذه الأرجوزة على عبد الله التتكي، رد عليها بقصيدة عنوانها: "أَخْرِجْ زَكَاةَ الفِطْرِ بِالنُّقُودِ"، في 23 فبراير الموافق ل 24 شوال 1418 هجرية:

فَقُلْتُ مُخْتَارًا لِبَحْرِ ٱلرَّجَزِ مَا صُغْتُ فِي هَذَا ٱلنَّظْمِ ٱلْمُوجَزِ

أَخْرِجْ زَكَاةَ ٱلْفِطْرِ بِٱلنُّقُودِ تَنَلْ بِذَلِكَ رِضَى ٱلْمَعْبُودِ [4]

أما الفقيه سيدي محمد عدي[5] فهناك قضايا إنفرد بمعالجتها من بينها نقد التقليد وما يؤدي إليه من الجمود والتخلف، وما يشجع عليه من شعودة وخرافات وبدع لا حد لها، ولم ينسى ما يتخبط فيه المجتمع الإسلامي المعاصر من تقليد للغرب، لنستمع إليه في قصيدة طويلة (49 بيتا):

رَاحَةُ ٱلْمَوْتِ لاَحَيَاةُ ٱلْجُمُودِ طَالَ حُلْمِي سَئِمْتُ نَوْمَ ٱلْفُهُودِ

لَيْتَ شِعْرِي مَتَى يَحِينُ انْتِبَاهِي ضَاعَ عُمْرِي فَأَيْنَ سِرُّ وُجُودِي

لَيْتَ شِعْرِي إِلَى مَتَى هَذِي ٱلغَفْلَةِ وَالرَّتْعِ فِي مَرَاعِي ٱلقُرُودِ

أَيْنَ فِكْرِي وَأَيْنَ هَوْمَةُ نُبْلِي أَيْنَ عِلْمِي وَكَيْفَ ضَاعَتْ جُهُودِي[6]

1- رواية شفوية: الفقيه "سيدي مولود السريري"، 53 سنة، إفران الأطلس الصغير، يوم 12 - 03 - 2016.

2- رواية شفوية : الفقيه سيدي"الحسين بن موسى البكري"، 83 سنة، مسجد لبنان بتالبرجت، يوم 16 - 03 - 2016.

3- بيت به كسر عروضي.

4- القصيدة مأخودة من أزجوزة "أخرج زكاة الفطر بالنقود" لعبد الله التتكي، وقد عقب عليها شاعرنا سيدي الحاج الحسين البكري، بقصيدة طويلة في 375 بيتا سماها "نكس اللواء المعقود " وبظرا لطولها اقتصرنا فقط على أبيات من قصيدته الأولى. وهي أيضا بها كسر عروضي.

5- محمد بن أحمد عدي المسراوي ولد 1948 وتلقى معظم معارفه على يد الحاج الحسين البكري الافراني، ثم تقلب مشارطا في عدة مدارس الى أن استمر أماما وخطيبا بمسجد بدر بتيزنيت، وظل مجاهدا و باحثا مبدعا وواسع الأفق يرغب في التجديد و الاجتهاد ويعارض الجمود . هذا ما أخبرنا به الفقيه سيدي" الحسين بن موسى البكري"، يوم 16 - 03 - 2016.

6- بيت به كسر عروضي.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

2 الإشعاع الأدبي

يظهر ذلك جليا في أن المدرسة تخرج فيها علماء مبرزون وخاصة في المجال الأدبي، لكون أغلب الفقهاء مدرسة تَنْكَرْتْ الشعراء أدباء. وفترة تواجد الفقيه سيدي الطاهر الإفراني بالمدرسة الذي طار صيته واشتهر بعد صحبته للشيخ أحمد الهيبة، كان له في ذلك إنتاج أدبي في مدحه وفي حضه على الجهاد، كما أقيم للأستاذ عند زيارته بمراكش سنة 1354هـ/1935م، حفل تكريم أنشدت فيه قصائد لايزال صداها يتردد. وكما نجد الفقيه محمد أَبَرَاغْ أول فقهاء المدرسة والأستاذ سيدي مولود السريري الفقيه الحالي بالمدرسة كانا من المبدعين في كتابة الكتب ونسخها. ونجد أغلب كتبهم مشهورة ويحتدى بها في المدارس العلمية العتيقة بسوس ويستفيد منها طلبة العلم، وهذا الأمر يعد اشعاعا أدبيا، كما نجد الشاعر سيدي الحسين البكري الناصري الإفراني والمؤرخ محمد المختار السوسي وغيرهم من الطلبة الخرجين بالمدرسة لهم مؤلفات عديدة ودواوين من الشعر تتغير موضوعاتها من فرح أو حزن أو تهنئة أو تعزية وقد يتداولون مواضيع العصر كالجهاد والجفاف أو غيرها... ونذكر مايلي :

- محمد بن البشير الناصري:

من الأدباء الذين يزخر بهم "وادي الأدباء" وقد نظم شعره على منوال من سبقوه ومن عاصروه وجاءت موضوعات شعره في شتى المواضيع.

منها التهنئة وذلك بمناسبة استقلال الجزائر يقول في مطلعها:

هَاتِفَاتُ ٱلْمُنَى تَزُفُّ ٱلبَشَائِرْ بِانْهِزَامِ العَدَا وَنَصْرُ الجَزَائِرِ
فَانْبَرَتْ أَلْسُنُ ٱلْمَحَطَّاتِ تَشْدُو مُطْرِيَاتٍ جَيْشًا عَلَى ٱلْبَغْيِ ثَائِرِ
صَاحَ فَانْظِمْ إِنْ كَانَ فِكْرُكَ صَوَّا غًا نِظَامُ ٱلْعُلاَ أَوْ إِنْ كُنْتَ نَاثِرُ[1]

وكما يملك سيدي محمد بن البشير قصيدة يرثي فيها الفقيه العلامة سيدي محمد المختار السوسي، حيث تربطه بهذا الأخير علاقة وطيدة يقول فيها:

عَظُمَ ٱلْمُصَابُ وَفَاقَ مَا يُتَصَوَّرُ عَقْلُ ٱللِّسَانُ فَنُطْقُهُ مُتَعَذِّرُ
رَحَلَ ٱلْتَّصَبُّرُ وَٱسْتَقَرَّ خِلاَفُهُ وَجْدٌ يُذِيبُ وَمَدْمَعٌ يَتَحَدَّرُ
فَاشْدُدْ يَدَيْكَ عَلَى ٱلْفُؤَادِ فَإِنَّهُ قَدْ كَادَ مِنْ كَمَدٍ بِهِ يَتَفَطَّرُ[2]

- سيدي الطاهر الإفراني:

كان يمارس التدريس في مدرسة تَنْكَرْتْ ويمارس الجهاد ضد الاحتلال الأجنبي، بحث حارب الاستعمار الفرنسي للمغرب

1- رواية شفوية: الفقيه"سيدي البشير بن الطاهر الإفراني"، 76 سنة ، تيمولاي، يوم 16 - 03 - 2016.
2- بيت به كسر عروضي.

ISSN 2311-5181

بلسانه وبيده، وأصبح أحد العلماء الكبار الذين قادوا الجهاد طيلة عشرين سنة من 1330هـ إلى 1352هـ[1].

ووجه قصيدة إلى شيخه سيدي أحمد بن عبد الرحمان الجشتيمي[2] يستنهضه للجهاد، ودعوة الناس إليه، لمناهضة الاحتلال الأجنبي الذي يستشعر بخطورته مطلعها:

أَبَرْقٌ بَدَا أَمْ لَمْعُ ثَغْرٍ مُنَضَّدِ وَغَيْثٌ هَمَى أَمْ قَطْرُ دَمْعٍ مُبَدَّدِ

وَوَجْهُكَ أَمْ بَدْرٌ عَلَى غُصْنِ بَانَةٍ وَلَحْظُكَ أَمْ حَدُّ ٱلْحُسَامِ ٱلْمُهَنَّدِ

إلى أن يقول:

فَقُمْ يَا لِسَانَ ٱلدِّينِ وَادْعُ إِلَى سَبِي لِ رَبِّكَ بِٱلْحُكْمِ ٱلصَّرِيحِ ٱلْمُؤَبَّدِ

وَنَادَ عِبَادَ اللهِ مُسْتَصْرِخًا وَسِرْ بِسِيرَتِكَ الَّتِي تُعِنُّ وَتُسدِّدُ

صدرت عن مدرسة تَنْكَرْتْ قصائد أندلسية ورسائل مسجعة، ومساجلات رائقة، إذ استطاع الطاهر الإفراني أن يكون خلفا لأساتذته الإلغيين في تَنْكَرْتْ وكانت إفران منبع الأدب ومركزه الذي استقطب معظم الطلبة الذين يقرون بفضل هذه المدرسة عليهم، يقول المختار السوسي في حقها:

هَيِ ٱلجِنَانُ وَهَذِهِ آثَارُها أَيْنَ ٱلنُّفُوسُ ٱلْمُؤمِنَاتِ الصَّادِقَةِ

لاَ غَرْوَ إِنْ كَانَ «ابْنُ إِبْرَاهِيمُ» مِنْ هَذِي ٱلرُّبُوعِ ذَكَاءُ عِلْمٍ شَارِقِهِ

فَٱلْعِلْمُ لاَ يَزْكُو سِوَى أَنْ كَانَ فِي بَلَدٍ يَرَى طِيبَ ٱلْهَوَاءِ سَرَادِقُهُ[3]

- سيدي الحاج الحسين ابن موسى الإفراني :

وغيرهم كثير ممن أدلوا بدلوهم في بحر الأدب، ونالوا من درره ما به يزينون جيد الشعر والأدب وتباهي بهم سوس أقطارا طالما فخرت بأدبائها وشعرائها حتى اليوم، فحق بهم لسوس الفخر، وحق لهم عندنا أطيب الذكر والعناية ما عاشوا بعد موتهم وذلك بدراسة فكرهم وإخراجه إلى الوجود كي يستفيد منهم الخلف وعن هؤلاء الرجال (سيدي الطاهر ومحمد بن الطاهر والمختار السوسي والحسين الحاج الحسين بن موسى الإفراني والبشير بن الطاهر و محمد عدي...) قال البشير بن الطاهر:

فَمَا زِينَةُ ٱلدُّنْيَا سِوَاهُمْ فَإِنْ مَضَوْا فَلَيْسَ لَهَا قَدْرٌ يَقْدِرُ

1- عمر(الساحلي): "المدارس العلمية العتيقة بسوس"،(مرجع سابق)،ج3، ص. 229.

2- وجه الفقيه الطاهر الإفراني هذه القصيدة إلى الفقيه أحمد بن عبد الرحمان الجشتيمي قبل توقيع معاهدة الحماية، لأن وفاته كانت عام 1327 هجرية الموافق 1909 ميلادية. وعدد أبيات القصيدة يقارب مائة وعشرون بيتا، آنظر عمر(الساحلي):"المدارس العلمية العتيقة بسوس"، (مرجع سابق)، 234/3.

3- عمر(الساحلي): "المدارس العلمية العتيقة بسوس"، (مرجع سابق)، 24/3.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

وَمَفْخَرَةُ ٱلأَقْطَارِ هُمْ وَحْدَهُمْ فَإِنْ هُمْ ذَهَبُوا لَمْ يَبْقَ لِلْقُطْرِ مَفْخَرُ [1]

3- الإشعاع الثقافي:

ويتجلى هذا الإشعاع في تلك المناسبات الدينية التي تنظم داخل المدرسة، أو ما يحتفل به بالقرب منها. ونذكر: تنظيم ندوات وجلسات علمية، إما داخل المدرسة التَنْكَرْتِية حيث يحضر الطلبة والفقهاء والأصدقاء والأحباب والساكنة، أو خارج المدرسة التَنْكَرْتِية في المعاهد والجامعات المغربية (تناقش فيها أوضاع المدرسة أو مميزاتها أو تتمحور الندوات حول أشعار الفقهاء ومؤلفاتهم)، كما تقام بالمدرسة مواسيم عدة منذ القديم إلا أن أهمها الموسم السنوي الذي أخبرنا به سيدي البشير بن الطاهر الإفراني قال لنا عن هذا الموسم: هو موسم سنوي يقام مرة في كل عام يسمونه بموسم البخاري وكانت كل مداشر تَنْكَرْتْ تشارك في هذا اليوم السعيد (من مدشر أَرْزْ إلى مدشر تَاوْرِيرْتْ إِزْكَارْنْ)، يحيث يجهز لهذا اليوم قبل بلوغه، والساكنة تقوم بتجميع أموال من الأسر لشراء أربعة مواشي يقومون بذبحها جماعة ثم توزيع لحمها على الأسر في حين اقتراب ذلك الموسم، ليتم طبخها مع الكسكس وإحضارها يوم الموسم قرب المدرسة التَنْكَرْتِية، هذا الموسم الذي يكون مليئا بالزوار-يجتمع فيه كل من هو صغير وكبير- ويحضرفيه طلبة المدرسة والفقهاء والساكنة وفيها يقام التسامح بين الناس والتآزر ومناقشة أمور الدين والتقاء مع الأحباب وتبادل الأشعار والأقوال وغير ذلك، فهو موسم مزج بين الدور الاجتماعي والديني والعلمي، وكانت له حمولته و سمعته آنذاك، إلا أنه مع الآسف هذا الموسم لم يحافظ عليه أصحابه -أهل تَنْكَرْتْ- فانقطع منذ أزيد من أربعين سنة[2].

- "الاحتفال بليلة القدر" في 27 من كل شهر رمضان، بحيث يجتمع الساكنة بالمدرسة مع الطلبة والفقهاء لاحياء تلك الليلة المباركة بترتيلهم للقرآن والذكر في جو ديني. ويجتمعوا على الطعام الذي يقوم بعض المحسنين من الساكنة بإعداده وجلبه إلى المدرسة، وتبقى العبادة في تلك الليلة حتى أداة صلاة الصبح والدعاء في الأخير بينهم بالخير والأمن ثم يفترق الجميع كل إلى مسكنه.
- "الاحتفال بعيد المولد النبوي" ثم "الاحتفال بيوم عرفة" كما ذكرنا سابقا، كما كانت تحتفل بهما أيضا المدرسة الأمسراوية.
- "الاحتفال بختم القرآن الكريم" حيث أخبرنا سيدي البشير يوم زيارتنا له بمسجد تيمولاي "إِزْدَارْ"[3] عن هذا الاحتفال كيف يقام.

بدأ الفقيه سيدي البشير بن الطاهر بحفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، -خمس سنوات من عمره-، وأخذ القرآن عن الأستاذ المتقدم وعمدته (يعني سيدي الحسين بن محمد الأساكي الإفراني) حتى وصل إلى (سورة الأنبياء)، ثم بعد ذلك أخذ عن سيدي إبراهيم المنقوش السملالي القرآن يوم شارط في مسجد تَاوْرِيرْتْ نْدْعْلِي مْجُوضْ، وبدأ عنده من (سورة الأنبياء) إلى ختم القرآن الختمة الأولى وهو ابن 13 سنة في عام 1369 هجرية، واحتفلت أسرة سيدي البشير بهذه المناسبة وأعدت الطعام هذه الوليمة تدعى لدى الساكنة "تَانْغْرِيفْتْ"، وتوجهوا بها إلى مسجد تَاوْرِيرْتْ نْدْعْلِي مْجُوضْ، حيث اجتمع الفقهاء والطلبة

1- رواية شفوية: الفقيه سيدي "البشير بن الطاهر الإفراني"، 76 سنة، تيمولاي، يوم 16- 03- 2016.
2- رواية شفوية: الفقيه سيدي "البشير بن الطاهر الإفراني"،76 سنة، تيمولاي، يوم 16 - 03 - 2016.
3- " إِزْدَارْ كلمة أمازيغية تعني السفلى.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

والطالب الذي يلبسونه الجلباب الأبيض والبلغة الصفراء، ويخصصون له مقاما خاصا به يكون متقابلا مع أشياخه ومع الحضور، ويقوم الفقهاء بقراءة آيات من القرآن الكريم (السلكة)، ثم تقدم لهم الوليمة في الأخير، ويختتم الحفل الديني بدعاء جماعي. بعد هذا انتقل الفقيه سيدي البشير من هذا المسجد إلى مدرسة تَنْكَرْتْ عند المقرئ سيدي الحسين بمحمد الأساكي ليعاود حفظ القرآن وختمه للمرة الثانية وهذه المرة تقوم عائلته باستدعاء الفقهاء إلى المنزل حيث تقدم لهم مأدبة عشاء يكرم فيها الطالب وكذا الفقيه، هذا الأخير الذي تسلم له هدية تشجيعا له على اهتمامه بإبنهم وكذا الطلبة الأخرين، أما في ختمه القرآن الكريم للمرة الثالثة فيقام له احتفالا باستدعاء فقهاء وطلبة المساجد بتَنْكَرْتْ وكذا فقهاء المدارس السوسية الأخرى المجاورة الذين يحضرون إلى هذا الحفل الديني العظيم، وكانت أسرة الطالب من تتكلف بإعداد الطعام بتعاون من بعض المحسنين أما الفقيه سيدي الحسين بن محمد الإفراني الساكي الافراني البشير فتكلف بكتابة الختم في اللوحة [1] المخصصة بهذا اليوم والتي سيحملها المتخرج أمام حضور كبير من الفقهاء والطلبة (تنظر الصورة رقم 4، التي تمثل لوحة ختم القرآن الكريم) وبالمناسبة تقدم للفقيه هدية قد تكون عينية أو نقدية، كما يقوم الأب بشراء بذلة بيضاء لابنه وأخرى للفقيه، وغالبا ما تكون جلبابا أبيض ثم بلغة وعمامة بيضاء، هذا يدل على مكانته العظيمة بين الناس، وبعد هذا الاستعداد يبدأ الحفل بالمدرسة حيث يستظهر الطالب لوحته على الشيخ أمام الملأ ثم قراءة الفقهاء آيات من القرآن الكريم (سورة ياسين وسورة الملك)، ثم يقدم لهم الطعام. عند الفراغ من الأكل يبدأ الطلبة بتهنئة الطالب ويختتم الحفل بدعاء جماعي يدعو فيه الشيخ للطالب بالصلاح والعافية والمجيد من الجد والمواصلة في العلم ويدعو لجميع المسلمين بالخير وإلى كل من ساهم بقليل أو كثير في إنجاح وإتمام هذا الحفل[2]. هكذا إذن يتم الاحتفال بختم القرآن الكريم بهذه المدرسة وحتى بمدرسة تَازْرُوتْ الأمسراوية. لينتقل بعد ذلك سيدي البشير إلى تلقين العلوم الشرعية[3].

هذه الاحتفالات هي التي تعرفها المدرسة التَنْكَرْتْية، أما إحتفالات الطلبة التي نسمع بها داخل المدارس السوسية مثل:

1- اللوحة كما ستجدون في الصورة تتضمن آيات من الذكر الحكيم وبعض الأدعية.

2- رواية شفوية: الفقيه سيدي"البشير بن الطاهر الإفراني"،76 سنة، تيمولاي، يوم 16 - 03 - 2016.

3- هذه العلوم أخذها الفقيه سيدي البشير الناصري عند الفقيه سيدي "محمد بن الطاهر" وسيدي" المدني بن محمد بن الطاهر" .

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

"بِيضَا بِيضَا"[1] و"الجْمْعِيَة"[2] و"التِويزَة"[3] فلا تقام بهذه المدرستين الإفرانيتين "تَنْكَرْتْ" و"تَازْرُوتْ"[4].

إن احتفالات الطلبة داخل مدرسة تَنْكَرْتْ من بينها احتفال بيوم الأربعاء حيث يحضر الطلبة للفقيه المقرئ إما بيضة أو درهما، وقد يأتي بعد المحسنين في ذلك اليوم بطعام إلى المدرسة.

رابعا: الأدوار المجتمعية لمدرسة تنكرت

لعبت مدرسة تَنْكَرْتْ الإفرانية بالجنوب المغربي وما زالت تلعب أدوار مهمة شأنها شأن المدارس العتيقة الأخرى الموجودة بسوس، ويمكننا حصر هذه الأدوار فيما يلي:

6-1 الدور الديني المذهبي: يتمثل في نشر علوم الشريعة الإسلامية والدعوة إلى الكتاب والسنة، وذلك لتعزيز مكانة السنة النبوية في كل أرجاء المنطقة وخارجها، وكما عمل فقهاء المدرسة على تحفيظ الطلبة الوافدين إليها القرآن والحديث النبوي الصحيح والعمل على مشر العلم والحث على الأخلاق ومحاربة الأمية و الجهل، كما عملت المدرسة على صيانة السنة النبوية وحماية المذهب المالكي والحفاظ عليه ليس فقط داخل المدرسة بل في جميع مدارس سوس العتيقة.

6-2 الدور الاجتماعي: تقوم المدرسة بخدمة أهل العلم من العلماء والفقهاء والطلبة، هؤلاء الفقهاء الذين كان لهم الدور الكبير في إصلاح الخلافات في السابق والقضاء والساكنة تشاورهم في أمور عدة لدى نجدها كذلك تقدرهم وتحترمهم وتشجعهم بدعم وإعطاء نفقات خاصة منهم المحسنين داخل المنطقة و خارجها.

1- "بيضا بيضا ": ينطلق الموكب الذي يجمع "بيضا" من باب المدرسة في انجاه أحياء القرية أو الدوار ومنازله، منزل بمنزل واللوح المكسو بأزهى الألوان يعلو رؤوس الجميع، ويرددون بشكل جماعي مايلي:

بيضا بيضا لايلاه ما سانكلا تيلواح
تيلواح ن طالبي طالب ايحوجاني
إيحوجان إيحوجاني مولانا مولانا

هو احتفال ونشاط تربوي يقوم به الطلبة الصغار (الذين يحفظون القرآن الكريم بالمدرسة) بحيث يرتدون أبهى ما يملكون من الثياب، ويحملون لوحا "تاللوحت" من طرف أحدهم المختار مسبقا من طرف الفقيه، وزخرفته ببعض الآيات والأدعية، وذلك بعد لفه في قماش جميل و إثباته في طرف قضيب من القصب أو الخشب، يمسكونه به. ويرددون عبارات أخرى:

يات تكلايت تيسنات بيضة أو إثنتين
إزران ن تاربيعت أحجار (الربيعية) أي السكر
إيزان نتزنبيلت دباب (الزنبيلة) أي حبات الشاي
تيزكيين أوجبير شقوف المحفظة أي قطع النقود أو الدراهم .

2- "الجمعية": يطلق على الاحتفال الذي يقوم به طلبة بعض المدارس العلمية العتيقة بسوس، ويتمثل في قيام الطلبة بجمع القليل من الزبدة عند الساكنة وحين الانتهاء في تجميعها، تقدم لفقيه المدرسة العتيقة، ليعد بها السمن الخاص بتموين المدرسة سابقا وهذه العادة لم تكن تقام بمدارس إفران الأطلس الصغير كما أخبرنا بها فقهاء هذه المدارس.

3- "التويزة نطالب" هو ضمن نظام المشارطة، يقوم خلالها أهل المدشر بالتعاون على إنجاز الأشغال الفلاحية الخاصة بالإمام كالحرث والحصاد، وهذا التقليد العرفي المسمى"تيويزي"يشارك فيها جميع الأهالي رجالا ونساءا وكل من هو مؤهل للقيام به، وذلك بأدواتهم وسواعدهم.

4- رواية شفوية: "الفقيه سيدي الحسين البكري الناصري"، 83 سنة، تالبرجت الذي أمدنا بها يوم زيارته، يوم 16 - 03 – 2016 ثم رواية شفوية: "عبد الله أبهام"، خريج مدرسة تازروت، 40 سنة، إفران الأطلس الصغير، يوم 18 - 03 - 2016.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

6-3 **الدور التربوي التعليمي:** يظهر ذلك من خلال تعليم الناشئة محو الأمية وتحلي الطلبة بالأخلاق اللازمة وتطهير النفوس الضالة وتعليم الطلبة لمبادئ الشريعة الإسلامية وتهذيب السلوك.

6-4 **الدور الوطني الجهادي:** حيث قام مجموعة من العلماء بالمدارس العلمية العتيقة منها النتكرتية كما ذكرنا سابقا (خاصة سيدي الطاهر الإفراني) بمجاهدة الغزاة المحتلين ومحاربة الاستعمار الأوروبي ابان القرن التاسع عشر.

6-5 **الدور القومي:** علاوة على الأدوار الأولى المذكورة فقد تشبع طلبة المدارس وعلمائها بالشعور القومي من التعاطف مع الأمة العربية الإسلامية التي تعرضت عبر تاريخها العريض لعدة هزائم ومصائب وكروب من بينها المد الاستعماري في ربوع العالم العربي الإسلامي واحتلال الصهاينة لفلسطين...

6-6 **الدور السياسي:** كونت المدارس كثيرا من العلماء الذين ساهموا في ترشيد سياسة الحكومة وبناء مقوماتها الدستورية وتنظيم مرافقها التشريعية والتنفيذية وقدموا خدمات جلى للدولة والسلطان على مستوى الاستشارة السياسية والدينية والتعلمية.

6-7 **الدور التأطيري التنموي:** تكوين الوعاظ والمرشدين والفقهاء والعلماء والمدرسين والأساتذة لتحمل مسؤولية التوعية والوعظ والتكوين والتأطير، ومساعدة السلطان والحكومة على أداء أدوارها الطبيعية. وقد تخرج من هذه المدرسة كثير من العلماء والأطر الكفئة لمزاولة المهام المنوطة بهم كممارسة الإمامة والخطابة والفتيا والتوثيق والعدالة والقضاء والتدريس وممارسة المهام الإدارية في كل المدن المغربية...

6-8 **الدور الثقافي:** يتجلى هذا الدور في تلك الاحتفالات والمناسبات الدينية التي تنظمها المدرسة ويحضرها الطلبة والضيوف من داخل المنطقة وخارجها ومن مدارس السوسية المجاورة لها، وهذه الاحتفالات لها دور وفضل كبير في تبادل الخبرات والآراء بين الفقهاء وتبادل الأفكار والأشعار والإبداعات الأدبية التي ينتجها الفقهاء والطلبة من أجل اكتساب التجارب والمعارف.

خاتمة :

لقد وقفنا خلال هذا المقال العلمي على الغنى الثقافي والأدبي لمنطقة إفران الأطلس الصغير، من خلال جوانب مختلفة تهم تاريخ المنطقة ومجالها الجغرافي. كما تناولنا فيها الحديث عن المدارس العلمية العتيقة الموجودة بأرض إفران الأطلس الصغير وهي مدرستا "تَنْكَرْتْ" و"تَازْرُوتْ" اللتان أسهمتا في تنشيط الحركة العلمية، ولا ننسى الدور المهم لعلمائها وإسهامهم الكبير في تأسيسها وبعثها وإحيائها من جديد.

إجمالا، إن مدرسة تنكرت في تاريخها أعرق، وفي موقعها الجغرافي على الجبل، كما أن فقهائها مشهورين، وهي أكثر إشعاعا وانفتاحا، هذا ما جعلها أكثر شهرة من الأخرى. ولكن ما يهمنا ذكره أنه تعمل المدرسة التنكرتية على احتضان مدرسة تازروت وأن تمد لها يد المساعدة من أجل أن تتغير إلى الأحسن. وتتميز المنطقة كذلك بغناها الثقافي والحضاري الذي يختلف من حيث زمان البناء ومكانه وتقنياته. هذه المباني التاريخية الشاهدة على قدم التعمير وتطوره في المنطقة، تعد أكبر مؤشر على انفتاح المنطقة على مناطق الشمال والصحراء. ومن أهم هذه المآثر التاريخية نجد "المدارس العلمية العتيقة" التي عرفتها منطقة إفران

ISSN 2311-5181

منذ القدم، شأنها شأن مناطق سوس وهوامش الصحراء، والهادفة بالأساس إلى التنشئة السليمة على الدين والقيم الاجتماعية والتخلق بالآداب وتعلم اللغة العربية والعلوم الشرعية المختلفة؛ ك "مدرسة تَازْرُوتْ"و"مدرسة تَنْكَرْتْ".

قائمة المراجع:

1. التهامي الراجي الهاشمي، **دور المدارس القرآنية في التربية**، مجلة دعوة الحق، الرباط، المغرب، العدد 330، السنة 38، غشت – شتنبر 1997م.
2. الحسن بن محمد (الوزان)، **وصف إفريقيا**، ترجمة عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، سنة 1983م.
3. المهدي بن محمد السعيدي، "**المدارس العتيقة وإشعاعها الأدبي والعلمي بالمغرب، المدرسة الالغية بسوس نموذجا**"، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية، ط1 مطبعة فضالة، المحمدية، 1427 هجرية/2006 ميلادية.
4. أبو الوفاء يحي أحمد بن علي التجاجتي ، **مآثر السلف و مفاخر الخلف**، منشورات جمعية إيليغ للتنمية و التعاون ،الرباط، 1991م.
5. أيت بومهاوت أمحمد (الوسخيني)، **منار السعود عن تفراوت الملود و مدرستها العتيقة**، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الأولى- 1414 /1994 م.
6. جميل حمداوي، **المدارس العتيقة بالمغرب**، سلسلة المعارف الأدبية، مطبعة العارف الجديدة، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، الرباط، سنة 2010م.
7. جون جيمس ديمس، **حركة المدارس الحرة بالمغرب (1919 – 1970** ، ترجمة السعيد المعتصم، مطبعة النجاح الجديدة، الدارالبيضاء، درا النشر تانسيفت، الطبعة الأولى، 1991م.
8. رشيدة برادة، **التعليم العتيق والبنية التقليدية في المغرب**، مجلة علوم التربية، الرباط، المغرب، العدد الثالث والثلاثون ، مارس 2007م.
9. عبد الله الحجاجي، "**الارتجال في مناقب سبعة رجال**"، مخطوط بالمكتبة الملكية، الرباط.
10. عبد السلام الأحمر، **حوار الدكتور اليزيد الراضي، الفقيه الشاعر حول و اقع التعليم العتيق**، مجلة تربيتنا، المغرب، عدد 5، ربيع الثاني 1426هـ، ماي 2005م.
11. عمر المتوكل الساحلي، **المعهد الإسلامي بتارودانت والمدارس العلمية العتيقة بسوس**، مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، الجزء3، 1990م.
12. مارمول كربخال، **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي، دار النشر المعرفة مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، سنة 1989م.
13. محمد المختار السوسي،

–**سوس العالمة**، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، مطبعة فضالة –المحمدية- المغرب الأقصى الدار البيضاء الطبعة الثانية، عام 1380 هـ/1960م.

–**المعسول**"، مطبعة الشمال الافريقي، ومطبعة النجاح، الرباط، 1962– 1963م.

14. محمد تيفاوين، **قراءة في التعليم العتيق رقم 01-13**، مجلة تربيتنا، المغرب، عدد 5، ربيع الثاني 1426 هـ، ماي2005م.

ISSN 2311-5181

لائحة الصور:

مدرسة تَنْكَرْتْ لتعليم العتيق - الجناح القديم

مدرسة تَازْرُوتْ

الجناح العلوي لمدرسة تَنْكَرْتْ

بيوت الطلبة داخل مدرسة تازورت

الخز انة العلمية لمدرسة تَنْكَرْتْ

خز انة مدرسة تَازْرُوتْ

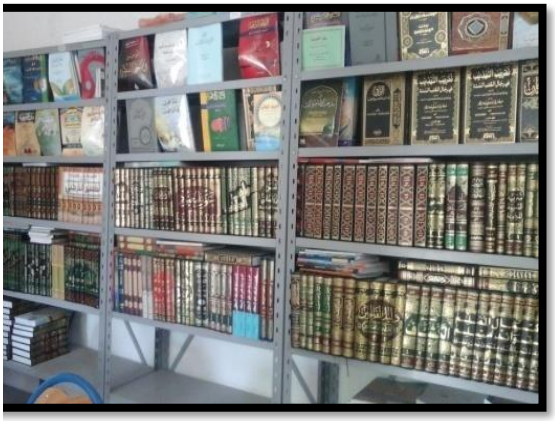

ISSN 2311-5181

بوادر التحول في قيم الشباب بالمغرب: نموذج قيم الزواج عند شباب مدينة الجديدة

Signs of a shift in youth values in morocco: a model of marriage values for the youth of the city of Eljadida

محمد خيدون♦الوالي كوبي/ جامعة شعيب الدكالي، الجديدة، المغرب

Mohamed khaidon♦El wali koubi/ ChouaibDoukkali University, Morocco

ملخص:

تتناول هذه الدراسة موضوع قيم الزواج عند الشباب المغربي، وتهدف إلى استكناه طبيعة القيم التي توجه مواقف وأفكار الشباب في العلاقات الزوجية، مع رصد أثرها على الرابط الأسري. فالمواقف التي أعلنها الشباب فيما يخص أهمية الإنجاب وتعدد الزوجات والطاعة، تفيد حدوث تحولات مهمة في قيم الزواج، كما توصلنا أيضا من خلال مقارنة نتائج الدراسة مع دراسات سابقة، إلى أن هذه المواقف ليست خاصة بعينتنا فقط وإنما يتشاركها معظم الشباب، لكن ذلك لا ينفي وجود اختلافات ملحوظة بين النتائج التي توصلنا إليها والتي توصلت إليها تلك الدراسات. تستند هذه الدراسة إلى مجموعة من المعطيات الميدانية التي تم استقاؤها عبر تقنية الاستمارة بغرض كشف وتحليل قيم الزواج عند الشباب وتحديد بعض أوجه الثابت والمتغير.

الكلمات المفتاحية: القيم، الشباب، العلاقات الزوجية، الرابط الأسري.

Abstract :

This research addresses the subject of Moroccan youth marriage values. It aims to discover the nature of values that guide youths' attitudes and ideas concerning relations of marriage, and their effects on the family tie. The attitudes expressed by the youths concerning the importance of having children, polygamy and obedience in marriage can be a sign of some important changes in values. We also found after comparing the results of our study with other previous researches that these attitudes are not specific to our sample, but they are shared by the majority of Moroccan youth. However, this does not eliminate the existence of some clear differences between the results we found and those found by previous researches. This research relay on data collected in the field using the questionnaire technique, for the purpose of discovering and analysing the values of marriage and identifying its changing and stable dimensions.

Keywords: values, youth, relations of marriage, family link.

ISSN 2311-5181

تقديم:

تسعى هذه الدراسة إلى كشف وتحليل القيم التي تؤطر مواقف وأفكار الشباب تجاه مؤسسة الزواج، واختلافها حسب متغيرات الجنس والسن والمستوى الدراسي، إضافة إلى تأثيرها على الرابط الأسري. وقد ركزنا بحثنا على ثلاث مستويات أسياسية؛ يتعلق المستوى الأول بأهم قيم الزواج التي يحملها الشباب، وفي مستوى ثانٍ حددنا تأثير المتغيرات في اختلاف أهمية هذه القيم وسط فئة الشباب، أما المستوى الثالث، والأخير، سينكبّ على تأثير القيم على رابط الزواج بشكل خاص والرابط الأسري بشكل عام. وبناء على ذلك، سيكون **السؤال المركزي** في هذا السياق هو: **إلى أي حد تعد قيم الزواج عند الشباب مؤشرا ومظهرا من مظاهر التغير القيمي في قيم الأسرة بالمغرب؟**

إن انجاز هذه الدراسة لم تخلو من صعوبات منهجية، ولاسيما في ما يتصل بحصر مجتمع الدراسة. إذ أننا لم ندرس كل شباب المغرب وإنما ركزنا البحث على شباب مدينة الجديدة، وهي مدينة تقع في الوسط الغربي للبلاد، حيث يصل عدد سكانها إلى حوالي 194934 نسمة حسب إحصاء2014[(1)]. وتشكل فيها الفئة العمرية التي سنتناولها حوالي 39,9 % من مجموع الساكنة، أي حوالي 77778,666 شخص من فئة الشباب. ومن ثم، فإن الفئة التي نهدف إلى دراستها بشكل عام هي الفئة العمرية ما بين 18 و 45 سنة، حيث حاولنا انتقاء أفراد العينة ضمنها بشكل تلقائي اعتمادا على إحدى أصناف العينة الاحتمالية (Probabiliste)، وهي "العينة العشوائية الطبقية" (stratifié)، التي بموجبها يتم تقسيم مجتمع الدراسة إلى مجموعة من الفئات أو الطبقات وفقا لخاصية أو مجموعة من الخصائص التي تجعلها متجانسة فيما بينها[(2)]، وهي الطريقة التي اعتمدناها في هذه الدراسة.

فرضت الضرورة المنهجية إجراء بحث كمي يتّكيء على تقنية الاستمارة كأداة لجمع المعلومات والبيانات، ويقترن هذا الاختيار أساسا بحدود الدراسة وأهدافها، ذلك أن هذه الأهداف التي نسعى إليها كباحثين، هي التي تحدد تقنية البحث التي ينبغي اعتمادها[3]، كما أن هذه الأداة تساعد على تكميم الظاهرة المدروسة وتحويلها إلى أرقام تمكننا من تحليل المعطيات الميدانية وفق منطق سوسيولوجي صِرف.

1- قيم الشباب المرتبطة بمؤسسة الزواج

تكمن أهمية الزواج، بالنسبة للشباب موضوع البحث، بالدرجة الأولى في كونه يشكل أساسا لبداية حياة جديدة ولتولي مسؤوليات جديدة، ولا يحتل الإنجاب والجنس أهمية كبرى داخله، وإذا أردنا ترتيب بعض الأشياء المهمة في الزواج حسب أولويتها بالنسبة إلى الشباب بالجديدة، وكما تم ترتيبها من قبل أغلب المبحوثين، فإنه أولا هو طريق نحو إنشاء حياة جديدة، وثاني هذه الأشياء هي أنه يتضمن مسؤولية، وثالثها هو الإنجاب وتربية الأبناء، ويأتي الجنس في المرتبة الأخيرة.

---

(1)Haut-Commissaire-au-Plan (hcp): Quartiers CU El Jadida RGPH, (2014), voir : www.hcp.ma

(2)Serge Paugam, « L'enquête sociologique », collection quadrige, (presses universitaires de France, 2012), PP. 78-79

)3(Luc Van Campenhoudt, Raymond Quivy, « manuel de recherche en sciences sociales», (Dunad, Paris, 2007), P. 171.

ISSN 2311-5181

يحمل الزواج قيمة كبيرة لدى الشباب بالمغرب، حيث أشار أغلبهم إلى أنه مهم في حياته، كما أشار البعض إلى أنه مهم جدا، لكن تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن هناك نسبة مهمة أفادت بأنه ليس مهما في حياتها (23%)، ومع أن هذه النسبة ضعيفة قياسا إلى النسب الأخرى، إلا أنها تبقى مهمة وكبيرة قياسا إلى النسبة التي توصل إليها البحث الوطني حول القيم سنة 2004، حيث أفاد بأن حوالي 95% يرون أن الزواج مهم[1].والواقع أنه يصعب الجزم بأن ما توصلنا إليه يعد مؤشرا على تغير في القيم في هذا الصدد، وذلك نظرا لاختلاف عينتنا (الشباب) عن تلك التي تناولها البحث الوطني، لكن ذلك لا يمنعنا من القول أن هذا الأمر لا يلغي حقيقة وجود اختلاف بين موقف الشباب الجديدي اليوم من الزواج، والشباب الذي تناوله البحث الوطني، وأن هذا الاختلاف يسير في اتجاه تراجع أهمية مؤسسة الزواج.

يحظى الجنس بأدنى درجات الأهمية داخل الزواج، وذلك رغم أنه يعتبر غير مشروع وغير مقبول من طرف معظم الشباب خارج مؤسسة الزواج، ففي البحث العالمي حول القيم سنة 2011، أشار أكثر من 64% من الفئة العمرية الأقل من 29 سنة إلى أنه فعل غير مبرر أبدا، وأفاد أكثر من 73% ضمن الفئة ما بين 30-49 سنة بالأمر نفسه[2]، وتجدر الإشارة أيضا إلى أن أكثر من 90% من العينة التي تناولنا يرون أن الزواج شرط ضروري للقيام بعلاقة جنسية، وهو الأمر الذي يثير التساؤل حول المكانة الحقيقة للجنس في قيم الشباب في المغرب، فإذا كان يأتي في المرتبة الأخيرة ضمن أسس الزواج، ويعد غير مشروع خارجه، فهل يمكن القول أن الشباب لا يمنح أهمية للجنس في الجديدة، أو في المغرب بشكل عام؟

الواقع أنه لا يمكن تأكيد هذا الافتراض، وذلك لأن معرفة مكانة الجنس في المغرب أمر صعب، ويستوجب طرقا خاصة لفحصه، وذلك نظرا للخصوصيات الثقافية التي ينتمي إليها والتي تهمش الجنس وتحيطه بالمحرمات[3]، فرغم أن الممارسات الجنسية خارج إطار الزواج موجودة في المغرب، وتتزايد أهميتها مع تراجع سن الزواج وتزايد نسبة التحضر وتحرر المرأة وخروجها إلى العمل، إلا أن المؤسسات والمعايير والقيم لا تزال متأخرة، الأمر الذي يعده البعض شكلا من أشكال الاختلال بين الخطاب والممارسة[4]، والواقع أن ما يفيد به بحثنا يؤكد هذا التأخر إلى حد كبير، فما أفاد به معظم المبحوثين، سواء في السؤال الذي يخص شرط القيام بعلاقة جنسية، أو ذلك الذي يخص مكانة الجنس داخل الزواج، يشير إلى أن الجنس ليس مقبولا من طرف المعايير الاجتماعية، ويحظى بمكانة صغيرة في القيم الاجتماعية.

من ضمن القيم الخاصة بمجال الأسرة نجد تلك التي تتعلق بالعدد المناسب للأبناء، حيث طلبنا من المبحوثين في هذا الصدد إبداء رأيهم في فكرة مفادها أن العدد المثالي للأبناء يجب أن يكون متوافقا مع قدرة الآباء على تزويدهم بكل ما يحتاجونه،

---

[1]Hassan Rachik, Rahma Bourqia, Abedellatif Bencherifa...[et al.], « Rapport de synthèse de l'enquête nationale sur les valeurs » Cinquantenaire de l'indépendance du Royaume du Maroc (Rabat : 2005),P. 15

[2]World values Survey (Morocco), WV6_Results: Morocco 2011_v20180912 (Mai 2011) P. 108

[3]HCP : « Santé de reproduction au Maroc facteurs démographiques et socioculturels Partie 2 Aspects anthropologiques et sociologiques», (Centre d'etudes et de recherche demographiques 1998).P. 2

[4]Cheikh Mériam. « L'amour, le sexe et l'argent au Maroc : une sexualité dans tous ses états In : Chic, chèque, choc : Transactions autour des corps et stratégies amoureuses contemporaines »[enligne]. (Genève: Graduate Institute Publications, 2012) , (généré le 30 avril 2019). PP. 95-96

ISSN 2311-5181

وقد أفاد معظمهم بأنها صحيحة جدا (60%)، في حين أشار 32% إلى أنها صحيحة، أي ما مجموعه 92% من مجموع الإجابات. وقد تطرق البحث الوطني حول القيم أيضا لهذا السؤال فاعتبر أن هناك توجهين في القيم يتحكمان في عدد الأبناء، أحدهما تقليدي يصور الأبناء على أنهم مصدر للتأمين، وبالتالي يحرص على أن يكون عدد الأبناء كبيرا حتى تتزايد معه موارد التأمين في المستقبل، أما التوجه الثاني والذي يمكن وصفه على أنه حديث، فيصور الأبناء على أنهم مصدر للإنفاق والإعالة، وبالتالي يحرص على أن يكون عددهم قليلا لأن ذلك ينقص من حجم النفقات الخاصة بهم[1]. ويمكن أن نقول في هذا السياق أن الشباب بمدينة الجديدة يحملون التصور الثاني، فمع أننا لم نقم بطرح هذا السؤال، إلا أن تأكيد معظمهم على ضرورة توافق عدد الأبناء مع قدرات الآباء هو مؤشر قوي على أن الشباب يعتبرون الأطفال بمثابة عبء وليس مصدر تأمين.

من ضمن القيم المرتبطة بمؤسسة الزواج والعلاقات الزوجية هناك أيضا السن المناسب للزواج، حيث يحدد معظم الشباب في بحثنا، هذا السن بالنسبة للإناث بين 23 سنة و27 سنة، في حين يتوزع السن المناسب بالنسبة للذكور بين فئتين عمريتين هما 23 -27 سنة و27 -31 سنة، وهو ما يشير إلى أن معظم الشباب لازال يرى أنه يستحسن للإناث الزواج في سن مبكرة قياسا إلى الذكور، وقد أشار إلى ذلك البحث الوطني حول القيم سنة 2004، حيث أفاد بأن 70% يرون أن الزواج في سن مبكر مهم للإناث، وذلك في مقابل 40% من الأشخاص الذين يرون أنه مهم للذكور[2]، والواقع أن هذا لا يتوافق تماما مع نتائج بحثنا، وذلك لأنه رغم استمرار اختلاف السن المثالي للزواج حسب الجنسين، إلا أنه يمكن القول أن هذا السن يتغير ويسير نحو التقدم، ففي الوقت الذي يحدد 70% من عينة البحث الوطني السن المناسب لزواج الإناث بين 17 سنة و 24 سنة[3]، يحدد 31% فقط من عينة بحثنا هذا السن بين 18 و 25 سنة، في مقابل 56% يحددونه بين 23 و 37 سنة، و 13% يحددونه بين 27 و 31 سنة.

تحدد القيم المرتبطة بالزواج أيضا صفات الشريك المثالي، حيث نجد أن هناك مجموعة من الخصال والخصائص التي تشكل الزوجة المثالية أو الزوج المثالي داخل كل مجتمع وتختلف من شخص لآخر حتى داخل المجتمع الواحد نفسه. وفي سياق بحثنا، وضعنا سبع اختيارات أمام المبحوثين وهي : الأخلاق، الجمال، "الحداكة"، الدخل القار، التدين، "المعقول"، مستوى التعليم. بحيث طُلب منهم ترتيبها حسب درجة أهميتها وأوليتها في شريكهم المثالي، وقد احتلت الأخلاق أكبر قدر من الأهمية عند كل من الجنسين، يليها التدين، ثم "المعقول".

تجدر الإشارة إلى أن ما يلاحظ في هذه الصفات الثلاث التي تتصدر معظم الإجابات أنها ليست أداتية خلافا لما أشار إليه البحث الوطني حول القيم، حيث توصل هذا الأخير إلى أن الصفات التي تتصدر اختيارات الشريك داخله هي "المعقول" والدخل القار والتدينثم "الحداكة"[4]، والواقع أن هذه الصفات كلها مهمة بالنسبة إلى الشباب موضوع بحثنا، لكن درجة أهميتها مختلفة عما أشار إليه البحث الوطني، حيث أن الحداكة والدخل القار وردِا في المراتب الأخيرة في معظم الإجابات، وحظيا بقدر ضئيل من الأهمية من طرف أغلب المبحوثين، فقد وضع الدخل القار ضمن المراتب الثلاث الأولى من طرف 23% فقط من الإناث في بحثنا

---

[1] Hassan Rachik, Rahma Bourqia, AbedellatifBencherifa...[et al.],Ibid., PP18.-19

[2] Hassan Rachik, RahmaBourqia,AbedellatifBencherifa...[et al.], Ibid., P. 15

[3] Ibid., P. 15

[4] Ibid., PP. 16-17

ISSN 2311-5181

مقابل 69% في البحث الوطني حول القيم[1]، وجاءت "الحداكة" في المراتب الثلاث الأولى من قبل 22% فقط من الذكور في بحثنا مقابل 48% في البحث السابق الذكر[2]، وهو ما يفيد بأن هناك اختلافا واضحا في قيم الزواج الخاصة باختيار الشريك حسب كل من البحثين، الأمر الذي يمكن أن يكون إشارة على حصول تغير في القيم خلال الفترة التي مضت، كما يمكن أن يكون إشارة على تأثير متغير السن في النتائج لكون بنية العينتين العمرية ليست متشابهة. لكن في كلا الحالتين يمكن القول أنه لا يمكن إنكار اختلاف قيم الزواج الخاصة بمبحوثينا عن تلك التي تخص أولئك الذين تناولهم البحث الوطني.

هناك مجموعة من القيم التي تؤطر العلاقات الزوجية والتفاعلات بين الزوجين، وقد طلب من المبحوثين في هذا الإطار ترتيب خمس قيم أساسية حسب أهميتها في الزواج بالنسبة إليهم وهي: الحب، الصبر، الثقة المتبادلة، الاحترام المتبادل، التضامن. وقد حظيت الثقة المتبادلة والحب بأكبر قدر من الأهمية، حيث وضعت الثقة المتبادلة في المرتبتين الأولى والثانية من قبل 54% من العينة، ووضع الحب في نفس المرتبتين من قبل نفس النسبة من العينة، ما يشير إلى أنهما يحملان نفس القدر من الأهمية، ويلي هاتين القيمتين الصبر، حيث جاء ضمن المرتبتين الأولى والثانية من قبل 41% من المبحوثين، ويليه الاحترام المتبادل ثم التضامن. والواقع أن هذه الأهمية والأولوية الممنوحة للثقة المتبادلة تعود إلى القيم التي يحملها معظم الأشخاص- ليس من العينة فقط ولكن من مجتمعات أخرى أيضا- حول الزواج، والتي تشترط في هذا الأخير، كما أشار إلى ذلك فرانسوا دوسانجلي، التنازل عن قدر كبير من الحرية الفردية، لصالح إنشاء علاقة ثنائية تقوم على الاخلاص المتبادل من الطرفين[3]،وهكذا فإن حرص الشباب موضوع دراستنا على توفر الثقة المتبادلة، هو تأكيد على ضرورة استعداد كل من الزوجين على استمرار الاخلاص والوفاء لما تستوجبه هذه العلاقة بالنسبة إليهم.

من ضمن الأسئلة التي طرحنا في البحث والتي تخص طبيعة العلاقة بين الزوجين، كما تخص أيضا تصور الشباب لمعنى الزواج والعلاقة الزوجية، هنالك سؤال يتعلق موقف الشباب بمدينة الجديدة من تعدد الزوجات، وقد أجاب 60% بأنهم غير متفقين أبدا، في حين أجاب 13% بأنهم غير متفقين، وتشير هذه الإجابات إلى موقف قوي نوعا ماتجاه هذا الفعل، والواقع أن هذا الموقف ليس خصوصية عينة بحثنا، كما ليس وليد تغير حديث في القيم، وإنما نتيجة سيرورة تدريجية تعود بدايتها إلى سنوات مضت، ففي سنة 1980 كان معدل الرجال الذين لديهم أكثر من زوجة في المغرب هو 6,6%[4]، وقد استمرت هذه النسبة في التراجع إلى أن وصلت إلى3,6 %حالة فقط سنة 2008، أي ما يعادل 0,27%[5]، الأمر الذي يعد بحد ذاته إشارة على حصول تحول في القيم، وتغير تدريجي في موقف المغاربة من هذا الفعل.

---

[1]Ibid.,p.17

[2]Ibid.,p.16-17

[3]François de Singly, «Libres ensembles», Armand Colin, 2e édition (2016), PP. 246-247

[4]HCP : « Santé de reproduction au Maroc facteurs démographiques et socioculturels Partie 2 Aspects anthropologiques et sociologiques», Ibid., P. 54

[5]Céline Lemale Ettonia, « Vers une compréhension du phénomène“ prostitutionnel ”féminin, entant que “Pratiques Sexuelles Récompensées” au Maroc, à travers une clinique du sujet et du lien social »: “De celles qui sortent à Marrakech…”, (Université Européenne de Bretagne, 2010), P. 37

ISSN 2311-5181

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى أن 14% أفادوا بأنهم يتفقون مع تعدد الزوجات، وفي تبريرهم لهذا الموقف استرشد البعض بمرجعية دينية فأشاروا إلى أنه "حلال" وبالتالي فهو مشروع ومقبول اجتماعيا، وأفاد البعض بأنه مشروع شرط العدل بين الزوجات، وقد استند البعض أيضا ممن يرفضون تعدد الزوجات إلى الحجة نفسها واعتبروا أنه غير مشروع لعدم امكانية العدل بين الزوجات، وذلك لأنه في نفس الوقت الذي يشرع الإسلام التعدد، يربطه بشرط العدل بين كل الأزواج، وهو ما يجعله يحمل إمكانية تقييد هذه الممارسة[1]، ويشير استناد الطرفين المتناقضين لنفس الحجة إلى هذه الازدواجية في القراءة التي تتيحها النصوص الدينية، كما يشير أيضا إلى أهمية المرجعية الدينية في قيم الأسرة عند الشباب بالجديدة، ويؤيد فكرة رحمة بورقية التي تعتبر أن الدين مرجعية(Référentiel)أساسية (ضمن مرجعيات أخرى) ومنبع مهم للقيم الأخلاقية التي تحدد تقدير الفرد، والعلاقات الاجتماعية، وطبيعة العلاقات مع الجماعة[2].لكن لا يجب أن يفهم من هذا أنها المرجعية الوحيدة للقيم الموجهة لسلوكات وأفكار الشباب حول الأسرة، فأغلب التبريرات المتفقة مع تعدد الزوجات والمعارضة له لم تستند إلى الدين، حيث اعتبر البعض من المؤيدين إلى أنه مشروع في حالة مرض الزوجة، أو في حالة العقم، وأشار البعض إلى أنه يمكن أن يمنح حلا "لمشكل العنوسة"، وأشار معظم المعارضين خاصة من الإناث إلى أنهن يرفضن التعدد لكونه لا يتوافق مع طبيعتهن "الغيورة"، ولأنهن لا يقبلن مشاركة الزوج، وهكذا فإنه من غير الممكن الافتراض بأن الدين يشكل المرجعية الرئيسية لقيم الأسرة عند الشباب موضوع بحثنا، وبدل ذلك يمكن القول أنه مرجعية أساسية ومهمة ضمن مجموعة من المرجعيات الأخرى.

يرجع موقف الشباب من تعدد الزوجات إلى مجموعة من التحولات التي أصابت الأسرة والمجتمع المغربي بشكل عام، والتي أصابت أنماط الحياة (ظهور حاجيات جديدة...)، وتوزيع الساكنة في المجال (الهجرة القروية، تزايد سكان المدن)، إضافة إلى قنوات إنتاج القيم (المدرسة، الإعلام...)[3]، الأمر الذي أدى إلى دفع الأسرة التقليدية نحو الانفتاح المستمر على هذه التحولات، كما دفع أفرادها إلى تبني استراتيجيات جديدة، وهكذا فقد أصبح تعدد الزوجات "خارج السياق"، وغير مقبول اجتماعيا حتى وإن كان مشرعا من قبل القانون، وقد ساهم في ذلك أيضا خروج المرأة للعمل وولوجها بشكل أكبر إلى التعليم، حيث أدت كل هذه العوامل إلى ترسيخ فكرة الزوج(couple) وتغيير الرهانات والاستراتيجيات وتحويل القيم نحو مجالات أخرى للتمثلات[4].

والواقع أن تغير المواقف إزاء تعدد الزوجات ليس وحده ما نتج عن هذه التحولات، فقد تغيرت أيضا التصورات حول الأسرة والعلاقات الأسرية، حيث أشار 75% من الشباب موضوع بحثنا إلى أن الأسرة كلما كانت مستقلة وصغيرة العدد كلما كانت مستقرة وناجحة، ويشير ذلك إلى تفضيل واضح لنموذج الأسرة الصغيرة والنووية على الأسرة الممتدة الذي كان يهيمن بالأساس في المجال القروي، وقد ابتدأت سيرورة هذا التحول كما أشار إلى ذلك غريغوري لازاريف منذ النصف الثاني من القرن الماضي، حيث تراجع النموذج التقليدي الذي كان قائما على التبعية المتبادلة بين الأجيال والأسر، وعلى سلطة الأب على كل الأجيال التي

---

[1]Ibid., P. 87

[2]RahmaBourQia, « Les valeurs : Changements et perspectives », Rapport sur le développement humain. (Rabat, 2006), P. 66

[3] Rahma Bourqia, « Valeurs et changement social au Maroc », Rapport sur le développement humain. (Rabat, 2006), P. 106

[4]Ibid., P. 109

ISSN 2311-5181

تعيش تحت السقف الواحد، وذلك لصالح نموذج آخر وهو الأسرة النووية، التي تقوم بالأساس على الفردانية[1]. ومع أنه يصعب القول بأن تصور الشباب بالجديدة حول الأسرة يرجع تفسيره إلى سيرورة تدريجية للفردانية في المغرب، لكن يمكن القول أن تصورهم يشير إلى أهمية كبيرة تحملها الفردانية والاستقلالية داخل القيم الموجهة لأفكار وسلوكات ومواقف الشباب في مجال الأسرة.

في نفس الوقت الذي نجد أن الشباب يؤكدون على أهمية الاستقلالية في الأسرة، نجدهم أيضا يشيرون إلى ضرورة طاعة الوالدين، حيث أشار أكثر من 66% إلى أن موافقة الوالدين على الزواج أمر ضروري، والواقع أنه لا يجب تفسير ذلك على أنه تناقض من قبل المبحوثين، وذلك لأن القيم الأساسية، كما يشير إلى ذلك شالوم شوراتز، تتواجد عند جميع الأفراد، وبنفس بنية علاقات التناقض والتوافق التي تربطها، لكن الذي يشكل الفرق بين قيم الأفراد والجماعات هو الأهمية النسبية التي تحملها مجموعة من القيم المتوافقة فيما بينها[2]،ومعنى ذلك أن أهمية موافقة الوالدين على الزواج بالنسبة للشباب بالجديدة لا يمكن أن يكون وحده مؤشرا على أولوية قيمة الطاعة على الاستقلالية في قيم الأسرة لديهم، كما لا يمكن أن يكون إشارة على عكس ذلك، وإنما يتطلب الأمر تأكيدهم على أهمية مجموعة من القيم التي تتوافق مع إحدى القيمتين دون الأخرى للجزم في هذا الأمر.

من ضمن الأسئلة التي طرحنا في هذا المحور، هنالك أيضا سؤال يخص طبيعة العلاقة بين الزوجين التي يمكن أن تشكل علاقة زوجية ناجحة، وفي هذا السياق طرحنا ثلاث اختيارات منفصلة تعكس ثلاث أشكال من التوازن يمكن أن تكون بين الزوجين وهي: طاعة الزوجة لزوجها؛ طاعة الزوج لزوجته؛ التواصل الجيد بين الزوجين. وحاولنا معرفة رأي المبحوثين حول كل منها على حدة، حيث أجاب 73% بأنهم متفقون مع فكرة طاعة الزوجة لزوجها، في حين أجاب 63% بأنهم متفقون مع طاعة الزوج لزوجته، وأشار 99% إلى أنهم متفقون مع فكرة التواصل الجيد بين الزوجين باعتباره أساس العلاقة الزوجية الناجحة. وهكذا فإنه يمكن القول، أن جل المبحوثين تقريبا يرون أن التواصل الجيد بين الزوجين وتوازن العلاقة بين الرجل والمرأة هو ما يؤدي إلى نجاح الزواج. وقد تناول البحث الوطني حول القيم سنة2004 هو الآخر هذا السؤال، واعتبر أن قيمة الطاعة تحمل أهمية كبيرة داخل العلاقات الزوجية[3]، حيث أن 79% من العينة التي تناولها يعتبرون أن طاعة الزوجة لزوجها مهمة في انسجام الأسرة[4]، والواقع أننا لا ننفي هذا الأمر لاسيما أن 73% من الشباب موضوع دراستنا يؤيدون هذه الفكرة في مقابل نسبة أقل تشير إلى عكسها، لكن تجدر الإشارة في هذا الإطار إلى أن الأهمية النسبية التي تحظى بها قيم التواصل في هذا السياق تفوق أهمية الطاعة، بعبارة أخرى يمكن القول أن الشباب يرون أن الطاعة مهمة في الزواج، لكنهم يرون أنها ليست بأهمية

---

(1) Grigori Lazarev, « Ruralité et changement social Etudes sociologiques », (Faculté des lettres et des Sciences humaines, Rabat. 1970), P. 353

(2) Shalom H. Schwartz, « Les valeurs de base de la personne : théorie, mesures et applications », Hammer et Monique Wach (trad.). Revue française de sociologie. vol. 47, no. 4 (2006), P. 930

(3) Hassan Rachik, Rahma Bourqia, Abedellatif Bencherifa...[et al.], Ibid., P. 27

(4)Ibid., P. 17

ISSN 2311-5181

التواصل الجيد بين الطرفين، ويشير شبه إجماع عينتنا على صحة هذه الفكرة إلى أهميتها بالنسبة إليهم قياسا إلى الأفكار الأخرى.

يتوافق ما أشرنا إليه للتو مع ما أفادت به الباحثة المغربية رحمة بورقية في بحث لها حول تطور القيم في المغرب، حيث أشارت إلى أن الطاعة كانت قيمة مركزية في الأسرة، تحدد ليس فقط علاقة الزوج بالزوجة، وإنما أيضا علاقة الأبناء بالوالدين، وفي ظل مجموعة من التغيرات التي أصابت ذخيرة القيم التقليدية، أصبحت هذه القيمة اليوم لا تتضمن معنى الطاعة العمياء، كما أصبحت تتراجع حسب الباحثة لصالح قيمتي الاحترام والتوافق، والواقع أن هذه القيمة لا تتراجع في مجال الأسرة فقط، وإنما أيضا في مجالات أخرى كالعلاقات المهنية والتربية[1]. وفي هذا السياق، يمكن القول أن الموقف الذي يكشفه الشباب بمدينة الجديدة إزاء هذه القيمة في العلاقات الزوجية يؤكد هذا الطرح، ويبين مدى تأثرهم بالتحولات القيمية التي تشير إليها رحمة بورقية، فالتأكيد على أهمية التواصل الجيد من طرف 99% من العينة هو مؤشر قوي على هذه التحولات، ويمكن القول أيضا أن الطاعة التي أشار أغلبهم إلى أهميتها لا تحيل إلى معنى الانصياع والخضوع، ولا تحيل أيضا إلى المعنى الذي تحيل إليه في القيم التقليدية، حيث أكد المبحوثون على أهميتها من جانب الزوجين، ومع أن هذا التأكيد كان موجها نحو الزوجة بشكل أكبر، إلا أن الفرق بين النسب لم يكن كبيرا (فرق 10%)، الأمر الذي يشير إلى أن معنى الطاعة التي تم التأكيد على أهميتها من طرف الشباب يحيل إلى الاحترام بشكل أكبر، وإلى شكل من أشكال التواصل والحوار.

2- قيم الشباب المرتبط بمؤسسة الزواج واختبار تأثير متغيرات السن والجنس والمستوى الدراسي

لم تتغير أهمية الزواج بالنسبة للشباب حسب الجنس، حيث أبدى الجنسين نفس القدر من الاهتمام إزاءه، وذلك خلافا لما جاء به البحث الوطني حول القيم، حيث أشار إلى أن الزواج في تمثل المغاربة مهم للإناث أكثر من الذكور[2]، والواقع أنه لم يكن أي اختلافات بين إجابات الجنسين في هذا الصدد حيث أن النتائج متشابهة وقريبة من التطابق. كما أن اختلافات الآراء حسب مستوى التعليم لم تكن دالة، إذ أبدى الأفراد ذوي مستوى الباكالوريا والتعليم الجامعي الاهتمام نفسه تجاهه، بخلاف فئة التعليم التقني، ولم تختلف الإجابات كثيرا أيضا حسب نوع السكن، وفي المقابل أثر متغير السن بشكل ملحوظ في اختلاف الإجابات، حيث أبدت الفئة العمرية ما بين 36-45 سنة أكبر قدر من الاهتمام بالزواج، حيث أشار 70% من هذه الفئة إلى أنه مهم في حياتهم، في مقابل 59% من الفئة ما بين 26-35 سنة، و56% من الفئة ما بين 18-25 سنة، ونجد في البحث الوطني حول القيم أيضا أن لمتغير السن دور مهم في اختلاف المواقف حول أهمية الزواج، حيث ورد في هذ البحث أن الفئات الأكبر سنا هي التي تؤكد بشكل أكبر على ضرورة الزواج ويتبين ذاك من خلال تأكيدها على ضرورة الزواج في سن مبكرة سواء بالنسبة للإناث أو الذكور، حيث تشير 41% الفئة العمرية ما بين 35-45 سنة في هذا البحث إلى أنه ضروري بالنسبة للذكور و49% من نفس الفئة إلى أهميته بالنسبة للإناث، وذلك في مقابل 37% من الفئة ما بين 18-24سنة التي تشير إلى أهميته بالنسبة للذكور و41% الذين يشيرون إلى أهميته بالنسبة للإناث[3].

---

[1] Rahma BourQia, Ibid., P. 89

[2] Hassan Rachik, Rahma Bourqia,Abedellatif Bencherifa...[et al.], Ibid.,P. 15

[3] Ibid., P. 31

ISSN 2311-5181

لم يؤثر متغير الجنس في اختلاف الاجابات حول ترتيب أهم الأشياء في الزواج، حيث أشار كلا الجنسين إلى أن أهم شيء داخله هو المسؤولية وبداية حياة جديدة، والواقع أن هذا الأمر ينطبق على كل المتغيرات المتبقية، وذلك أنه لم تكن هناك اختلافات ذات دلالة مهمة في هذا السياق، حيث نجد على سبيل المثال أن 62% من الفئة التي توجد بالسكن الأفقي تشير إلى أن إنشاء حياة جديدة هو أهم شيء في الزواج، وتشير نفس النسبة من الفئة التي توجد بالسكن العمودي إلى الأمر نفسه، في مقابل 66% من سكن الفيلات، ومع أن هذه الفئة الأخيرة هي الأكثر تأكيدا على الفكرة التي أشارت إليها الفئتين الأوليين، إلا أن نسبة الاختلاف التي تفصلها عن سابقاتها مع أخذ حجم العينة بالاعتبار ليست مهمة ولا تشير على دور كبير لمتغير السكن في هذا السياق.

أثر متغير الجنس أكثر من كل المتغيرات الأخرى في هذا السياق في اختلاف الإجابات حول السن المناسب للزواج، حيث حدد معظم المبحوثين هذا السن بالنسبة للإناث ما بين 23-27 سنة، وحدد 31% من العينة هذا السن بين 18 و23 سنة، وشكل الذكور62% ضمن هذه الفئة، ويشير هذا الأمر إلى أن الجنس يلعب دورا مهما في اختلاف المواقف حول السن المناسب للزواج، لاسيما أن البحث الوطني حول القيم أشار إلى ذلك هو الآخر، حيث أفاد بأن نسبة الذكور الذين يؤكدون على أهمية الزواج في أقل من 20 سنة بالنسبة للإناث تصل إلى حوالي 58% في مقابل 42% من الإناث، وتصل نسبة الذكور الذين يؤكدون على ضرورة الزواج قبل سن 25 بالنسبة للذكور يصل إلى 48% في مقابل 34% من الإناث[1]، ومعنى هذا أن الجنس يؤثر بشكل ملحوظ نسبيا في تصور الشباب حول السن المناسب للزواج، ومعناه أيضا أن الذكور يفضلون الزواج في سن مبكرة أكثر من الإناث.

من بين الأسئلة المهمة التي طرحنا في هذا البحث هناك السؤال المتعلق بصفات شريك الحياة المثالي، وينبغي الإشارة إلى أن ثلاث صفات أساسية لم تتغير أهميتها حسب أي من المتغيرات، وهي الأخلاق والتدين و"المعقول"، لكن الذي تغير حسب الإجابات هو ترتيبها فيما بينها، حيث نجد مثلا أن الفئة ما بين 18-25 سنة تضع الأخلاق قبل التدين، في مقابل الفئة العمرية ما بين 26-35 سنة التي تقوم بالعكس، ونجد أيضا أن متغير نوع السكن يؤثر بالشكل نفسه، حيث أن فئة سكن الفيلات تضع الأخلاق قبل التدين، عكس فئة السكن الأفقي بشكل خاص وفئة السكن العمودي، وهو الأمر نفسه الذي ينطبق على متغير التعليم أيضا، بحيث أن فئة المستوى الجامعي تضع الأخلاق في المرتبة الأولى بنسب تفوق الفئات الأخرى. أما فيما يتعلق بمتغير الجنس، فلم يؤد إلى إحداث أي اختلافات واضحة فيما يخص أهمية الصفات الثلاث الأولى، لكنه في المقابل أحدث تغيرات في اختيارات العينة لصفات أخرى، حيث وضع 15% من الإناث "الحداكة" في المرتبة السابعة (الأخيرة) في مقابل 8% من الذكور، وضع 15% من الذكور الدخل القار في المرتبة الأخيرة في مقابل 7% من الإناث، ما يشير إلى أن الإناث يمنحن أهمية أقل من الذكور لصفة الجمال، وإلى أنهن يمنحن أهمية أكبر للدخل القار من الذكور، ويتوافق هذا الأمر مع ما جاء به البحث الوطني حول القيم في المغرب سنة 2004، حيث أشار هذا الأخير إلى أن صفة المعقول تحظى بالاهتمام نفسه من قبل الجنسين، لكن 2% من الذكور يهتمون بالدخل القار في مقابل 24% من الإناث، كما أشار أيضا إلى أن "الحداكة" والأصل الأسري تحتل أهمية

[1] Hassan Rachik, Rahma Bourqia, Abedellatif Bencherifa...[et al.], Ibid., P. 32

ISSN 2311-5181

أكبر عند الذكور قياسا إلى الإناث[1]. وعموما فإنه يمكن القول أن متغير الجنس لا يؤثر بشكل واضح في الصفات الأساسية التي حددها المبحوثون على أنها ضرورية في شريك الحياة، لكنه يؤثر توزيع الإجابات التي تخص الصفات الثانوية.

فيما يخص سؤال ما يشكل أساس نجاح العلاقة الزوجية، وضع كل من الجنسين الثقة المتبادلة في المقام الأول، والحب في المقام الثاني مع فروق قليلة في الإجابات، بحيث أن كلاهما جعل الحب والثقة المتبادلة على نفس القدر من الأهمية، ولم يؤثر متغير الجنس كثيرا في اختلاف الإجابات، كما لم يؤثر متغيري السكن والتعليم أيضا، وفي المقابل أحدث السن اختلافا ملحوظا في الإجابات، حيث منحت الفئة العمرية ما بين 36-45 سنة أهمية أكبر من باقي الفئات العمرية الأخرى لقيمة الثقة المتبادلة، فقد وضع 52% من هذه الفئة الثقة المتبادلة في المرتبة الأولى في مقابل 22% من الفئة ما بين 26-35 سنة، و27% من الفئة ما بين 18-25 سنة. وقد منحت هذه الفئة أيضا أهمية أكبر لقيمة التضامن قياسا إلى الفئات الأخرى، حيث وضع 24% ضمنها التضامن في المرتبة الأخيرة، في الوقت الذي وضعه 45% من فئة 26-35 سنة، و49% من فئة 18-25 سنة، وعموما فإنه يمكن القول أن هناك اختلافات واضحة بين الفئة العمرية ما بين 36-45 سنة وبين باقي الفئات العمرية داخل العينة تجعلنا نعتبر أن متغير السن يلعب دورا مهما في اختلاف التوجهات والمواقف حول القيم المشكلة للعلاقة الزوجية الناجحة، لكننا لا نستطيع القول في حقيقة الأمر بأي كيفية يؤثر هذا المتغير، وإلى أي اتجاه يوجه الإجابات.

من ضمن الأسئلة المهمة في هذا السياق هناك سؤال يتعلق بموقف الشباب من تعدد الزوجات، حيث أشار معظمهم إلى أنهم غير متفقين أبدا مع هذا الفعل، وقد أثر متغير الجنس بشكل أكبر في اختلاف الإجابات، حيث أكد 65% من الإناث عن رفضهن للتعدد، في مقابل 55% من الذكور، وترجع نسبة الرفض المتفوقة من جانب الإناث إلى كون تعدد الزوجات –كما تشير إلى ذلك الاتجاهات النسوية- عبارة عن مأسسة للأفضليات الجنسية للرجال وللهيمنة الذكورية الممارسة من طرف هذه الفئة ومن طرف النظام الأبيسي القائم[2]، وبالتالي فرفض الإناث بشكل أكبر لهذه الممارسة هو تجسيد لموقف منطقي من قبل الفئة المستغلة والمتضررة من هذا الفعل، لاسيما أنه منذ نهاية القرن الماضي تزايدت احتجاجات النساء واعتراضاتهم على الاستغلال والتشييء الذي يتعرضون له، فأصبحت أصواتهم مسموعة أكثر وأصبحن يخلخلن النظام الاجتماعي التقليدي[3]، وهو الأمر الذي أدى ليس فقط إلى تزايد وعي المرأة، وإنما أيضا إلى تحسين وضعها داخل المجتمع وداخل التمثلات الاجتماعية، وقد تمثل التجسيد الملموس لهذا الأمر في إعادة الهيكلة القانونية لوضع المرأة التي تمت سنة 2003 مع إحداث مدونة الأسرة، فهذه الأخيرة لم تكن فقط مجرد إجراءات إصلاحية، وإنما شكلت خطوة مهمة نحو تغيير وضع المرأة في المغرب[4]، والأهم بالنسبة إلينا هو كونها شكلت تعبيرا عن تغير قيمي تجاه إشكالية النوع، والذي يندرج ضمنه موقف الشباب بالجديدة، لاسيما الإناث، من تعدد الزوجات.

(1) Ibid., PP. 17-18

(2) Céline Lemale Ettonia, Ibid., P. 87

(3) Rahma Bourqia, Ibid., P. 110

(4) Céline Lemale Ettonia, Ibid,. PP. 67-68

ISSN 2311-5181

على خلاف السؤال السابق لم يؤثر متغير الجنس بشكل واضح في اختلاف الإجابات فيما يتعلق بمدى أهمية استقلالية الأسرة وصغر حجمها، حيث اتفق كلا الجنسين مع فكرة مفادها أنه كلما كانت الأسرة صغيرة ومستقلة، كلما كانت مستقرة وناجحة، ولم يؤثر متغير التعليم كثيرا هو الآخر، حيث لم تكن هناك اختلافات واضحة بين الفئات التعليمية تكفي للإشارة بأن هذا المتغير يلعب دورا مهما في هذا السياق، فقد أفاد 19% من المستوى الجامعي بأن هذه الفكرة غير صحيحة، في مقابل 11% من مستوى الباكالوريا و26% من مستوى الثانوي الاعدادي، ويؤكد هذا الأمر أيضا البحث الوطني حول القيم، حيث لم يتبين خلاله أن لمتغير التعليم أثر مهم في أهمية استقلال الزوجين في السكن، فقد أشار 53% من ذوي مستوى التعليم الأساسي إلى أنه ضروري، في حين أشار 53% من التعليم العالي و54% من مستوى التعليم القرآني إلى نفس الأمر[1]. في المقابل أثر متغير السن بشكل واضح في اختلاف الاجابات في بحثنا، حيث أكدت الفئة ما بين 18-25 سنة إلى أنها الأكثر اتفاقا مع فكرة استقلالية الأسرة، إذ أشار 13% فقط من هذه الفئة إلى أنهم غير متفقين مع هذه الفكرة وذلك في مقابل 27% من الفئة ما بين 26-35 سنة، و25% من الفئة ما بين 36-45 سنة، ويختلف هذا الأمر مع ما جاء به البحث الوطني، حيث أشار هذا الأخير إلى أن الفئة ما بين 18-24 سنة هي التي تمنح قيمة أقل لفكرة استقلال الزوجين في السكن، فقد أشار 40% فقط من هذه الفئة إلى أنهم يتفقون مع فكرة الاستقلال، في مقابل 57% من الفئة ما بين 25-34 سنة، و67% من الفئة ما بين 35-44 سنة[2]،والواقع أن هذا الأمر لا يتوافق مع ما توصلنا إليه، وذلك لأن الفئة التي تمنح قيمة أقل لاستقلال الأسرة في البحث الوطني هي التي تمنحها قيمة أكبر في بحثنا، لكن الأهم في هذا السياق هو أن كلا النتيجتين تشيران إلى أن متغير السن يلعب دورا مهما في هذا الإطار.

أثر متغير الجنس بشكل ملحوظ في اختلاف مواقف الشباب حول عدم ضرورة موافقة الوالدين بخصوص اختيار الزوج أو الزوجة، حيث شكلت الإناث الفئة الأكثر رفضا لهذه الفكرة، إذ أشار 56% منهن إلى أنها غير صحيحة، في مقابل 43% من الذكور، وهو عكس ما أشار إليه البحث الوطني حول القيم، حيث أفاد بأن الإناث أكثر تأييدا للاستقلالية في اختيار الزوج أو الزوجة، إذ أشار 70% منهن إلى ضرورة استقلال النساء في اختيار الزوج في مقابل 63% من الذكور، وأشار 80% منهن إلى أهمية استقلال الرجال في استقلال الزوجة في مقابل 77% من الذكور، وقد أثر متغير التعليم أيضا في هذا البحث، حيث حظي الاستقلال بأهمية الفئات الأعلى درجة في مستوى التعليم[3]، والواقع أن هذا المتغير لم يلعب دورا مهما في بحثنا، بحيث أن الاختلافات التي أحدثها لم تكن بأهمية متغير الجنس، وقد يفسر ذلك باختلاف صياغة السؤال حسب كل من البحثين، لكن عموما يمكن القول أن كلاهما يشير إلى أن قيمة الاستقلالية في الزواج تحمل أهمية مختلفة حسب متغير الجنس.

أما فيما يخص عدد الأبناء المثالي فقد اتفق معظم المبحوثين مع فكرة مفادها أن العدد المثالي للأبناء يجب أن يكون موافقا لقدرة الزوجين على تزويدهم بكل ما يحتاجون، ولم تكن هناك اختلافات مهمة في هذا السياق، حيث كان هناك شبه إجماع على صحة هذه الفكرة.

---

(1) Hassan Rachik, Rahma Bourqia,Abedellatif Bencherifa...[et al.], Ibid., P. 33

(2) Ibid., P. 31

(3) Ibid., P. 32

ISSN 2311-5181

وفيما يخص سؤال طبيعة توازن العلاقة بين الزوجين، أشار الجميع تقريبا إلى أن التواصل الجيد بين الزوجين هو أساس العلاقة الزوجية الناجحة، فلم يكن هناك أي فروق مهمة حسب الجنس أو السكن أو السن أو مستوى التعليم، لكن الفروق المهمة كانت فيما يتعلق بموقف العينة من طاعة الزوجة لزوجها، حيث أثر متغير الجنس بشكل مهم في هذ السياق، إذ أشار 80% من الذكور إلى ضرورة طاعة الزوجة لزوجها في مقابل 65% من الإناث، وقد توصل البحث الوطني حول القيم إلى نتيجة مشابهة، حيث أفاد بأن 81% من الذكور يرون أنه على المرأة أن تكون خاضعة لزوجها في مقابل 75% من الإناث[1]، والواقع أن هذا الأمر يؤكد بأن متغير الجنس يلعب دورا مهما في اختلاف المواقف حول قيمة الطاعة والخضوع في العلاقة الزوجية، بحيث أن الإناث يمنحن قيمة أقل لهذه القيمة.

3- تأثير قيم الشباب بمدينة الجديدة على رابط الزواج

إذا كان الزواج مهم بالنسبة إلى أغلب المبحوثين، فإن نسبة مهمة أكدت بأنه غير مهم، حيث أشار 35% إلى أنه ليس مهم في حياتهم، والواقع أن تراجع أهمية الزواج هو من ضمن القيم الحديثة التي تزايدت أهميتها في المغرب منذ العقود الأخيرة، ويتجسد هذا الأمر بشكل ملموس وواضح من خلال تراجع سن الزواج، سواء على المستوى المثالي الذي يتعلق بأفكار الشباب حول السن المناسب للزواج، أو حتى على المستوى الواقعي المتمثل في سن أول زواج، فقد حدد الشباب السن المناسب للزواج، كما أشرنا سابقا، بالنسبة للإناث بين 23 و 27 سنة، وبالنسبة للذكور بين 27 و 31 سنة، وتقترب هذه الأعمار بشكل كبير من متوسط سن الزواج في المغرب، حيث انتقل هذا السن من 24 سنة بالنسبة للذكور في سنة 1960 إلى 32 سنة 2004، ومن 17 سنة إلى 27 سنة بالنسبة للإناث[2]، وقد انتقلت نسبة العزوبة من 15% سنة 1960 إلى 39% سنة 1994[3]، ووصلت إلى 52% في الجديدة حسب إحصاء سنة 2014[4]، كما تجدر الإشارة أيضا إلى أن نسبة المتزوجين في عينتنا لا تتجاوز 29%.ويشير هذا الأمر بشكل واضح إلى أثر القيم في الرابط الاجتماعي، وتحديدا إلى أثر قيم الزواج عند الشباب على انخراطهم في هذه المؤسسة، فتراجع أهمية الزواج عند الشباب أدى إلى تراجع انخراطهم ضمن هذه المؤسسة.

أشار معظم الشباب أيضا إلى أن أهم شيء في الزواج هو كونه بداية لحياة جديدة، ولم يرد الانجاب وتربية الأبناء في المرتبة الأولى سوى من قبل 14% من المبحوثين، ويخالف هذا الأمر ما أشار إليه البحث الوطني حول القيم، إذ أفاد بأن الزواج مبني بشكل قوي على الانجاب، وأشار إلى أن نسبة الأفراد الذين لا يهتمون بالإنجاب هي أقل من 1%[5]،والواقع أن هذا الأمر غير صحيح وفقا لما توصلنا إليه، حيث أفاد معظم الشباب في بحثنا بأن الانجاب لا يحظى سوى بأهمية قليلة بالنسبة إليهم، وينعكس هذا الأمر بشكل واضح على الرابط الأسري، ويتأكد هذا بشكل جلي من خلال عدد الأبناء سواء في المعدلات التي يقدمها الإحصاء الأخير في المغرب، أو في العدد المثالي الذي يحدده المبحوثون كما أشار إلى ذلك البحث الوطني نفسه، حيث

---

[1] Ibid., P. 32

[2] Haut-Commissariat au Plan (HCP), « Rapport général : 50 ans de développement humain au Maroc et perspectives 2025 », (Institut Royal des Etudes Stratégiques 2005).P. 75

[3] Hassan Rachik, Rahma Bourqia,Abedellatif Bencherifa...[et al.], Ibid., P. 15

[4] Haut-Commissariat au Plan : « Recensement Général de la Population et l'habitat » (RGPH 2014)voir : www.hcp.ma

[5] Hassan Rachik, Rahma Bourqia,Abedellatif Bencherifa...[et al.], Ibid., P. 19

ISSN 2311-5181

أفاد هذا الأخير بأن متوسط عدد الأبناء الذي يفضله المغاربة هو 3,72، في الوقت الذي كان هذا العدد يصل إلى 4,23 سنة 1982[1]، الأمر الذي يشير إلى أن هناك تغيرا في قيم الأسرة يسير نحو إعطاء أهمية أقل للإنجاب، ويتطابق معدل الخصوبة في الجديدة حسب إحصاء 2014 (وهو 2,7)[2]بشكل كبير مع الأهمية التي يحظى بها الإنجاب في قيم الشباب، كما يشير إلى أثر أهمية هذا الأخير داخل قيم الشباب على معدلات الخصوبة وبنية الأسرة والهرم السكاني بشكل عام في مدينة الجديدة.

فيما يخص الصفات المثالية التي يرى الشباب بالجديدة أنها يجب أن تتوفر في الزوج أو الزوجة، احتلت الأخلاق والتدين و"المعقول" المراتب الأولى، وخلافا لما أشار إليه البحث الوطني حول القيم، فهذه الصفات ليست أداتية، حيث أشار هذا البحث إلى أن الصفات التي تحظى بأهمية أكبر من قبل الذكور هي "الحداكة" والنسب، في حين أن الإناث يمنحن أهمية أكبر للدخل القار، ويتفق الجنسان على أهمية "المعقول"، وتحرص كل هذه الصفات على التدبير الجيد للحياة الزوجية[3]. والواقع أن هذا الأمر لا ينطبق على ما توصلنا إليه، وذلك لأن الصفات التي تم تحديدها من طرف عينتنا لا تحمل أبعادا أداتية بقدر ما تشير إلى مجموعة من الخصال التي توفر جوا ملائما للحياة الزوجية، هذا الجو الذي يستوجب كما يشير إلى ذلك فرنسوا دوسانجلي، الدخول في سيرورة من الانسلاخ وفك الارتباط عن الذات لصالح الحياة المشتركة، والتي تتحقق من خلال بناء مسافة مع الذات، وتبني موقف نقدي تجاه الشخص لذاته، الأمر الذي يدفعه نحو تغيير سلوكاته من أجل الحفاظ على علاقته بشريكه[4]، وهكذا فإن هوية الفرد تتغير مع تغير علاقاته بشريكه لتأخذ شكلا سماه دوسانجلي بـ"الأنا الزوجية" Moi conjugale.[5] والواقع أن الصفات التي حددها الشباب بالجديدة، هي ليست صفات تحرص على توفر الشريك على قدرات محددة (مثل الحداكة والدخل القار) تمكن من تدبير جيد للبيت والحياة الأسرية، وإنما هي مجموعة من الخصال التي رأى المبحوثون على أنها يمكن أن تشكل شخصا مستعدا للدخول في سيرورة الانسلاخ عن الذات والدخول في "الأنا الزوجية" التي تحدث عنها دوسانجلي.

يتأكد ما أشرنا إليه للتو أيضا من خلال الأسس التي يرى الشباب أنها تشكل الزوج Couple المثالي والعلاقة الزوجية الناجحة، حيث أشار معظمهم إلى أنها الثقة المتبادلة والحب، ولم يحظى التضامن سوى بمكانة هامشية في هذا السياق، الأمر الذي يشير إلى أن تصور الشباب للزواج ليس قائما على تكامل لأدوار ووظائف معينة، وإنما لانسجام بين شخصين، ويختلف هذا الأمر مع ما أشار إليه جون كلود كوفمان ، إذ اعتبر هذا الأخير أن ما يشكل الزوج ليس هو العيش تحت سقف واحد أو الزواج، وإنما هو شراء أول آلة للغسيل، والتي تفيد بأنهم اتخذوا أول خطوة في طريق الحياة الزوجية والتي تشير بالنسبة إليه إلى التوزيع المشترك لمهام البيت، ومعنى ذلك أن الفرد يدخل في تنظيم جماعي، فآلة الغسيل في هذا الإطار مهمة بالنسبة لكوفمان لأنها تفرض على الزوجين الرفع من مستوى تنظيمهم الجماعي[6]، والواقع أن هذا التصور يتوافق مع أشار إليه البحث

---

[1] Ibid., P. 19

[2] HCP: « Recensement Général de la Population et l'habitat » (RGPH 2014) voir : www.hcp.ma

[3] Ibid., P. 16

[4] François de Singly,Ibid., P. 50

[5] Ibid., P. 39

[6] Ibid., P. 35

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

الوطني حول القيم عندما أشار إلى الأهمية التي تحظى بها كل من "الحداكة" بالنسبة للمرأة، والدخل القار بالنسبة للرجل، لكنه يختلف مع ما توصلنا إليه ومع ما أشار إليه دوسانجلي، حيث يعتبر هذا الأخير أن ما يشكل الزوج هو العيش المشترك cohabitation، فالمدة التي يقضيها الفردين معا في مجال واحد هي ما ينتج التنظيم الجماعي، وذلك لأنه يفرز المؤانسة والاندماج داخل الحياة الزوجية[1]، وبالتالي فحرص المبحوثين على توفر شرط الأخلاق والتدين و"المعقول"، هو إشارة على تصورهم لما يشكل الشخص المناسب لمشاركة مجال البيت، أو السقف الواحد، وتعتبر الأهمية التي يمنحها الشباب بالجديدة إلى الثقة المتبادلة والحب، مؤشرا على تصورهم لما يشكل شروطا أساسية لبناء رابط زواج قوي، مؤسس ليس على التنظيم أو تقسيم العمل، وإنما على التواصل والتفاعل وبناء العلاقة مع الغير على المؤانسة[2].

من ضمن قيم الزواج لدى الشباب التي تلعب دورا مهما في تشكيل سمات الرابط الأسري، هناك الموقف الذي يبدون إزاء تعدد الزوجات، حيث أشار معظمهم إلى أنهم غير متفقين مع هذا الفعل، ويتجلى التأثير المباشر لهذا الموقف في نسب هذا النوع من الزواج، حيث أنها تراجعت من 6,6% سنة 1980[3] إلى 0,27% سنة 2008[4]، ويشير هذا التراجع الكبير إلى الأثر الملموس الذي أحدثته أهمية تعدد الزوجات في قيم الشباب على انخراطهم ضمن مؤسسة الزواج وعلى أشكال الأسرة المترتبة عن هذا الأمر، وقد أشار معظم الشباب في هذا السياق أيضا إلى أنهم يتفقون مع فكرة ارتباط صغر حجم الأسرة مع استقرارها، والواقع أن لهذا الموقف أثر مهم على الرابط الأسري، وذلك لأنه يؤثر على بنية الأسرة، ويتأكد هذا الأمر من خلال التغير الذي عرفته هذه الأخيرة خلال العقود الماضية، حيث تم الانتقال من الأسرة الممتدة التي كانت الشكل الأساسي للأسرة في المغرب إلى الأسرة النووية، التي أصبحت تشكل أكثر من 63% من أشكال الأسرة في المغرب اليوم[5]، ومع أنه ليس بحوزتنا إحصاءات تخص عدد هذه الأسر في الجديدة تحديدا، إلا أنه ليس من الصعب الافتراض بأنها تسير بشكل كبير في اتجاه التقلص من حيث حجم، لاسيما أن قيم الشباب تؤكد ذلك بشكل قوي إضافة إلى الاحصاءات الوطنية التي أشرنا إليها آنفا. وعموما فإنه يمكن القول أن قيم الزواج عند الشباب بالجديدة تتوافق بشكل كبير مع التوجهات العامة التي تصفها الإحصاءات الوطنية (نسب تعدد الزوجات مثلا، عدد الأسر النووية)، الأمر الذي يسفعنا في القول أن لهذه القيم تأثير مهم على رابط الزواج بالجديدة والرابط الأسري بشكل عام.

أشار معظم الشباب إلى أن قيمة الطاعة في رابط الزواج تحظى بأهمية صغيرة بالنسبة إليهم قياسا إلى قيم أخرى، حيث اتفق جمعهم تقريبا مع فكرة أن التواصل الجيد بين الزوجين هو الذي يؤدي إلى نجاح العلاقة الزوجية، والواقع أن هذا الموقف ينعكس بشكل مباشر على رابط الزواج، ويؤكد البحث الوطني حول الرابط الاجتماعي في المغرب سنة 2012 هذا الأمر بشكل ملموس، حيث أشار هذا الأخير إلى أن التوافق يحظى بأهمية أكبر من الطاعة فيما يخص العلاقات الزوجية في المغرب اليوم،

---

[1] Ibid., P. 36

[2] Ibid., P. 37

[3] HCP : « Santé de reproduction au Maroc facteurs démographiques et socioculturels Partie 2 Aspects anthropologiques et sociologiques», Ibid., P. 54

[4] Céline Lemale Ettonia, Ibid., P. 37

[5] Rahma Bourqia, Ibid. , P. 110

ISSN 2311-5181

حيث أن أكثر من ثلاث أرباع (77%) العينة التي تناولها يشيرون إلى أن التوجه نحو المساواة بين الزوجين يسير في مصلحة تقوية رابط الزواج والرابط الأسري بشكل عام[1]، إذ أن 32% من عينة هذا البحث يؤكدون على أن الزوجة يجب أن تربطها علاقة توافق مع زوجها في مقابل 16% يشيرون إلى أنها يجب أن تطيعه، ويتأكد هذا الأمر أيضا من خلال تزايد أهمية مشاركة القرارات بين الزوجين، حيث يفيد هذا البحث بأن عددا كبيرا من الأمور أصبحت تعتبر على أنها محور توافق بين الزوجين وليست حكرا على الرجل، ومثال على ذلك قرار بيع أو شراء عقار أو سكن، حيث أفاد أكثر من 64% إلى أنه قرار مشترك[2]، ومع أن هذه النسبة قد لا تبدوا مهمة جدا لكنها تصبح كذلك عندما نقارنها بالنتيجة التي توصل إليها البحث الوطني حول القيم سنة 2004 بخصوص نفس السؤال، حيث أفاد 42% من عينته فقط بأن هذا القرار يجب أن يكون مشتركا في حين أشار أغلبهم إلى أنه يخص الرجال بالأساس[3]، ويشير هذا الأمر إلى حصول تغير واضح في قيم الزواج خلال هذه الفترة، بحيث أن هذا التغير يسير نحو تراجع مستمر لأهمية قيمة الطاعة في رابط الزواج، الأمر الذي يشير أيضا إلى حصول تغير في طبيعة العلاقة بين الزوج والزوجة، كما يؤكد أيضا ما أشرنا إليه سابقا، ويعزز فكرة تحول رابط الزواج من علاقة مبنية على تكامل الأدوار وهيمنة سلطة الرجل إلى علاقة مبنية على الحوار والتواصل، كما يؤكد ذلك البحث الوطني حول الرابط الاجتماعي[4].

خاتمة:

كان أساس مشروع هذه الدراسة النظر في قيم الزواج عند الشباب المغربي واستشفاف أهم مظاهر الثابت والمتحول فيها، وقد أسعفنا اختبار الإشكالية التي كانت المنطلق بأن نلامس الأعماق التي تمتد نحوها مواقف وأفكار الشباب، والتي يحملونها في نفس الوقت تجاه مؤسسة الزواج، كما مكننا ذلك أيضا من الوصول إلى بعض النتائج - التي جاء كثير منها على خلاف العديد من الدراسات التي استدعيناها للمناقشة- ويبقى أبرزها أن الصفات الأكثر أهمية في شريك الحياة بالنسبة للشباب هي الأخلاق والتدين والثقة، ويحظى الدخل القار و"الحداكة" بأهمية أقل قياسا إلى ما توصلت إليه بحوث سابقة، ثم أن الزواج في نظر أغلبهم هو الشرط الأساسي للإنجاب وللقيام بعلاقة جنسية، لكنهما يحملان أقل قدر من الأهمية داخل الزواج بالنسبة إليهم، والمُلاحظ أنه كلما كان المستوى التعليمي للفرد أقل، زاد تشبّته بأهمية الزواج كضرورة منطقية للقيام بعلاقة جنسية.

يمكن إجمال مضمون هذه الدراسة في فكرة واحدة مفادها أن لقيم الزواج عند الشباب المغربي تأثير واضح على انخراطهم في هذه المؤسسة والرابط الأسري بشكل عام. كما يمكن القول أيضا أن المواقف التي يظهرونها تشير على تحولات مهمة في القيم، ومثال على ذلك موقفهم من تعدد الزوجات، وأهمية الانجاب في الزواج...الخ، والوقع أن بعضها ليس جديدا وإنما بدأت سيرورته منذ فترة طويلة (مثال تعدد الزوجات)، لكن البعض الآخر جديد ويشير إلى حدوث تغيرات مهمة في قيم الأسرة خلال الآونة الأخيرة (مثال تراجع أهمية قيمة الطاعة). وينبغي القول هنا، أن قيم عينتنا لا تختلف بشكل كبير حسب المتغيرات التي حددناها، حيث أن المتغير الذي لعب دورا أكبر في اختلاف الإجابات هو الجنس، لكنه مع ذلك لم يحدث تباينا كبيرا حتى نعتبر أن هناك قيما

---

(1) Institut Royal des Etudes Stratégiques,« Rapport de l'enquête nationale sur le lien social au Maroc». (21 Mars 2012), P. 23

(2) Ibid., P. 17

(3) Ibid.,P. 18

(4) Ibid., P. 24

ISSN 2311-5181

خاصة بكل من الجنسين فيما يتعلق بالزواج، فالإجابات متقاربة ولا تختلف سوى بنسب قليلة غير دالة في بعض الأحيان. وعليه، فإن القيم التي يبديها الشباب تؤثر بشكل كبير على رابط الأسرة، وعلى بنيتها كمؤسسة ، وبالتالي على طبيعة العلاقة بين أفرادها، وتحديدا بين الزوجين.

قائمة المراجع:

1. Cheikh Mériam. « L'amour, le sexe et l'argent au Maroc : une sexualité dans tous ses états In : Chic, chèque, choc : Transactions autour des corps et stratégies amoureuses contemporaines »[enligne]. (Genève: Graduate Institute Publications, 2012) , (généré le 30 avril 2019).
2. Céline LemaleEttonia, « Vers une compréhension du phénomène" prostitutionnel "féminin, entant que "Pratiques Sexuelles Récompensées" au Maroc, à travers une clinique du sujet et du lien social »:"De celles qui sortent à Marrakech…", (Université Européenne de Bretagne, 2010).
3. François de Singly, «Libres ensembles», Armand Colin, 2e édition (2016).
4. Grigori Lazarev, « Ruralité et changement social Etudes sociologiques », (Faculté des lettres et des Sciences humaines, Rabat. 1970) .
5. Luc Van Campenhoudt,Raymond Quivy, « manuel de recherche en sciences sociales», (Dunad, Paris, 2007).
6. Luc Van Campenhoudt,Raymond Quivy, « manuel de recherche en sciences sociales», (Dunad, Paris, 2007).
7. Institut Royal des Etudes Stratégiques,« Rapport de l'enquête nationale sur le lien social au Maroc». (21 Mars 2012).
8. Hassan Rachik, RahmaBourqia, AbedellatifBencherifa…[et al.], « Rapport de synthèse de l'enquête nationale sur les valeurs » Cinquantenaire de l'indépendance du Royaume du Maroc (Rabat : 2005).
9. Haut-Commissariat au Plan (HCP), « Rapport général : 50 ans de développement humain au Maroc et perspectives 2025 », (Institut Royal des Etudes Stratégiques 2005).
10. Haut-Commissariat au Plan : « Recensement Général de la Population et l'habitat » (RGPH 2014)voir : www.hcp.ma
11. HCP : « Santé de reproduction au Maroc facteurs démographiques et socioculturels Partie 2 Aspects anthropologiques et sociologiques», (Centre d'etudes et de recherche demographiques 1998).P. 2
12. RahmaBourqia, « Valeurs et changement social au Maroc », Rapport sur le développement humain. (Rabat, 2006).
13. Shalom H. Schwartz, « Les valeurs de base de la personne : théorie, mesures et applications », Hammer et Monique Wach (trad.). Revue française de sociologie. vol. 47, no. 4 (2006).
14. Serge Paugam, « L'enquête sociologique », collection quadrige, (presses universitaires de France, 2012).
15. World values Survey (Morocco), WV6_Results: Morocco 2011_v20180912 (Mai 2011).

ISSN 2311-5181

العوامل المؤثرة على خصوبة المرأة باستعمال الانحدار اللوجستي

The factors influencing female fertility by the logistic regression model

د. بلعروسي شريفة♦د. راشدي خضرة /جامعة وهران 2، الجزائر

Dr. BELAROUSSI CHERIFA ♦ Dr. RACHEDI KHADRA/University Of Oran 2, Algeria

ملخص :

تتمحور هذه الورقة حول كيفية التعامل مع البرامج المتاحة لدى الباحث وطرق استعمالها بما تتيحه من نماذج إحصائية التي تختصر الكثير من الجهد الفكري عند حساب مختلف المعدلات والمؤشرات عند تحليل نتائج الدراسات الميدانية.

كما تسعى إلى تكييف بيانات الدراسات الميدانية بطريقة تخدم البحث العلمي ولا تكلف الباحث الكثير من الجهد كأن يعيد بحثا ميدانيا بسبب عدم توافق نوع البيانات مع أهداف الدراسة وهذا مشكل يقع فيه العديد من الباحثين المبتدئين.

الكلمات المفتاحية: الانحدار اللوجستي- العوامل المؤثرة- البيانات الكمية-البيانات الكيفية- المتغير التابع-المتغيرات المستقلة (المفسرة).

Abstract:

This paper is focussing on two crucial points : Firstly, it is considered as a training for researchers on softwares available and ways to use them. The statistic models provided by these softwares save a lot of mental effort needed to calculate different rates and indicators when analyzing field studies 'results.

Secondly, it is trying to adapt field studies 'data in ways to serve research and researchers by avoiding them to redo a field study because of an inconsistency between its data and objectives.

key words: logistic regression-factors influencing-quantitative data–qualitative data-dependent variable - independent variables.

ISSN 2311-5181

تمهيد:

يعمل هذا المقال على إبراز أهمية الاعتماد على بعض النماذج الإحصائية المتعددة التي توفرها مختلف البرامج من أجل تحليل المعطيات أو نتائج الدراسات الميدانية المقدمة من طرف الباحثين الأكاديميين، من بين هذه البرامج برنامج الحزم الإحصائية (SPSS) الذي يُعتمد عليه في مجال الدراسات الطبية والاقتصادية والعلوم الاجتماعية خاصة.

الانحدار اللوجستي أحد هذه النماذج الإحصائية، يسهل هذا النموذج عملية تحليل بيانات الدراسات التي تعتمد خاصة على متغيرات نوعية (اسمية أو رتبية) بدل الكمية وهو حال الكثير من دراسات العلوم الاجتماعية، إذ يعمل الانحدار اللوجستي على شرح العلاقة بين المتغير التابع المراد تفسيره بالمتغيرات المستقلة أو المفسرة، فإذا كان المتغير التابع يتكون من فئتين فقط أو من احتمالين اثنين وهما احتمال وقوع الحدث من عدمه، فإن الانحدار اللوجستي الثنائي يكون الأنسب لهذه الحالة، أما إذا كان المتغير التابع يضم ثلاث فئات أو أكثر فإن الانحدار اللوجستي متعدد الاستجابة يكون الأنسب، وهو حال الدراسة الحالية.

1.تعريف الانحدار اللوجستي متعدد الاستجابة:

"يعرف نموذج الانحدار اللوجستي على انه احد نماذج الانحدار التي تكون فيها العلاقة بين المتغير المعتمد (التابع) والمتغيرات التوضيحية (المستقلة) لا تشترط الخطية و لا التوزيع الطبيعي، و غالبا ما تأخذ دالة الاستجابة للنموذج الشكل S ، كما يتميز النموذج اللوجستي بكونه أكثر مرونة من نماذج الانحدار التقليدية، فمن خلاله نستطيع مباشرة تقدير احتمال حدوث حدث ما، فضلا عن سهولة تحويله إلى الشكل الخطي باستخدام ما يعرف بتحويل اللوجت Logit transformation, فيما يخص تفسير معامل(معاملات) نموذج الانحدار اللوجستي فهو مختلف تماما عن تفسير معالم نموذج الانحدار الخطي، إذ يمثل مقدار التغيير الحادث في لوغاريتم الرجحان(نسبة الرجحان) لحدوث حدث نتيجة لتغيير وحدة واحدة من المتغير المستقل مع ثبوث المتغيرات المستقلة الأخرى[1]

بمعنى أوضح يستخدم الانحدار اللوجستي متعدد الاستجابة للتنبؤ أو لاحتمال عضوية عنصر معين إلى مجموعة معينة بالاستناد إلى عدد من المتغيرات المستقلة.

الانحدار اللوجستي متعدد الاستجابة هو امتداد بسيط للانحدار اللوجستي الثنائي، حيث يكون المتغير التابع يتكون من ثلاث فئات أو أكثر.

يتميز الانحدار اللوجستي متعدد الاستجابة بكونه يعتمد على متغير تابع من ثلاث فئات أو أكثر كما سبق الذكر مضافة إليه كل الخصائص السابقة التي تميز الانحدار اللوجستي.

أما بالنسبة للنموذج الرياضي فيكتب على النحو الآتي:

[1] بهاء عبد الرزاق قاسم، مجلة العلوم الاقتصادية، العدد 28 سنة 2011،ص 143.

ISSN 2311-5181

$$\text{Prob}(Y=i/x)=\frac{e^{\alpha_i+\beta_{i1}x_1+\cdots+\beta_{ik}x_k}}{1+\sum_{i=1}^{r-1}e^{\alpha_i+\beta_{i1}x_1+\cdots+\beta_{ik}x_k}}\ ,\quad i=1,\ldots,r-1$$

$$\text{Prob}(Y=r/x)=\frac{1}{1+\sum_{i=1}^{r-1}e^{\alpha_i+\beta_{i1}x_1+\cdots+\beta_{ik}x_k}}$$

حيث: y هو المتغير التابع ، x1،x2 ..... Xk المتغيرات المستقلة و عددها k

ß1،ß2.....ß k معاملات النموذج

α ثابت النموذج.

لأن الغرض هذا المقال هو إطلاع الباحثين في مختلف التخصصات والعلوم الاجتماعية بشكل خاص، على إحدى النماذج الإحصائية التي تلائم دراساتهم الطبية والاقتصادية والاجتماعية بغرض التعمق في شرح الأرقام والكميات بصفة نوعية وكيفية للتوصل إلى قرارات لفهم الوضع أكثر من أجل سهولة الاستشراف.

و الجدير بالذكر هو أن هذا النوع من النماذج يخدم الدراسات الاجتماعية بشكل أكبر بحكم اعتمادها (الدراسات الاجتماعية) على البيانات النوعية أكثر من غيرها.

وبتعدد تلك النماذج فقد تم اختيار الانحدار اللوجستي متعدد الاستجابة من أجل ذلك تم تحويل بعض المتغيرات الكمية إلى متغيرات نوعية لتوفي بالغرض ألا وهي بيانات الدراسة الميدانية المقدمة نتائجها في مقال سابق[1].

2.إنشاء متغيرات جديدة:

قبل استعراض دراسة وصفية لعلاقة الخصوبة ببعض المتغيرات السوسيو-اقتصادية المؤثرة فيها تم إنشاء متغير جديد يعبر عن مستوى الخصوبة انطلاقا من عدد الأطفال الذي يمثل متغير كمي، عُبر عن هذا المتغير بمستوى الخصوبة، وهو متغير كيفي بحيث تم تحديده بثلاث مستويات.

أ- مستوى الخصوبة:

1- مستوى منخفض يعبر عن عدد يقل عن 3 أطفال.

2- مستوى متوسط يعبر عن عدد يتأرجح بين 3 و 4 أطفال.

3- مستوى مرتفع أو عالي يعبر عن عدد يفوق أربعة أطفال.

[1] بلعروسي شريفة، التنمية الاقتصادية في الجزائر ودورها في خلق سلوك إنجابي جديد، ص 87 .

ISSN 2311-5181

و منه ستبحث الدراسة الوصفية العلاقة بين هذا المتغير التابع(مستوى الخصوبة) وباقي المتغيرات التي يبدو احتمال تأثيرها على مستوى الخصوبة ممكنا.

فيما يخص اختيار المتغيرات المستقلة أو العوامل المفسرة للخصوبة فقد ركز التحليل الوصفي للبيانات على العديد من المتغيرات التي وردت في استمارة التحقيق الميداني منها:

السن الحالي، المستوى التعليمي للمرأة، فائدة التباعد بين الولادات، استعمال موانع الحمل، المتابعة الطبية أثناء الحمل، الحالة المهنية للمرأة، تخصيص مبلغ مالي للعطل، الادخار، المستوى المعيشي للأسرة مقارنة بالدخل.

كما تم إنشاء متغير نوعي آخر المعبر عنه بالمستوى المعيشي للأسرة انطلاقا من عملية جمع متوسط دخل كل من دخل الزوج والزوجة وهو متغير كمي وقُسِم إلى ثلاث مستويات.

ب- مستوى الدخل:

1- مستوى معيشي ضعيف يعبر عن الدخل الأقل من 40 ألف دينار جزائري.

2- مستوى معيشي متوسط يعبر عن الدخل من 40 ألف إلى أقل من 70 ألف دينار.

3- مستوى معيشي جيد يعبر عن الدخل البالغ 70 ألف دينار فأكثر.

تم تحديد هذه المستويات بالاعتماد على منشورات الديوان الوطني للإحصائيات[1] حيث حدد متوسط صافي الدخل كل القطاعات مجتمعة بـ 39900 دينار، وعليه اعتبر الأجر الذي يقل عن هذا المتوسط بأنه يعبر عن مستوى ضعيف للدخل، وباستشارة بعض الأساتذة واستنباطا من أرض الواقع تم اعتبار الأجر المحصور بين 40 ألف دينار و 70 ألف دينار يمثل المستوى المتوسط بينما الأجور التي تصل إلى 70 ألف أو تزيد عن ذلك تعبر عن المستوى العالي أو الدخل المرتفع.

تم أيضا إنشاء متغير نوعي ثالث أو بالأحرى فقد تم تحويل متغير السن من كمي إلى نوعي وذلك بجمع الفئات العمرية بحسب ما تقتضيه الدراسة الحالية و صنفت على النحو الآتي:

*فئة أقل من عشرين سنة بحكم أن السن القانونية للزواج في الجزائر حددت بـ 19 سنة من جهة وكون الخصوبة تتم في إطار الزواج حسب القانون والدين في الجزائر من جهة أخرى.

* فئة 20-34 سنة هي الفئة العمرية الأكثر إخصابا من حياة المرأة، كما أن المرأة خلال هذه الفترة قل ما تتعرض لمشاكل الحمل والولادة.

* فئة 35 فأكثر وهي الفترة التي تعرف فيها خصوبة المرأة تراجعا في شدتها وقد لا تقل المشاكل الصحية للمرأة في هذه السن عن تلك التي تواجهها تلك التي تنجب في سن مبكرة.

[1] ONS, Résultats de l'enquête annuelle sur les salair,,n°795

ISSN 2311-5181

هذه بعض الأسباب التي قادت إلى هذا التقسيم للفئات العمرية الخاصة بنساء العينة.

متغير المستوى التعليمي كان منذ البداية متغير رتبي لكن أعيدت صياغة فئاته إلى:

*دون المتوسط لأن صاحبات مستوى الابتدائي لا يتفوقن عن مجموعة النساء بدون تعليم، فأغلبية النساء بمستوى تعليم ابتدائي لا يقدرن على قراءة أو تكوين جملة لذا تم تصنيفهن في فئة واحدة لاختصار عدد الفئات الذي يساعد بدوره في وضوح نتائج الدراسة.

*المتوسط والثانوي خلال هذه المرحلة تصبح المرأة قادرة على القراءة والكتابة وحتى على فهم وتكوين جمل.

*الجامعي بخروج المرأة من مرحلة التربية والتعليم ودخولها مرحلة التعليم العالي والبحث العلمي يستوجب تصنيف ذوات هذا المستوى على حدا.

تلك هي المتغيرات المستحدثة في هذه الدراسة وقد تم شرح الأسس المعتمدة في استحداثها.

ملاحظة: لأن الدراسة المقدمة في العدد 46 لمجلة جيل البحث المعنونة التنمية الاقتصادية في الجزائر ودورها في خلق سلوك إنجابي جديد دراسة ديمغرافية، كانت المتغيرات المتحصل عليها من الميدان كمية أكثر منها متغيرات كيفية لذلك تم اللجوء إلى تحويل بعض متغيرات الدراسة من كمية إلى كيفية حسب ما تتطلبه الحاجة لسببين اثنين:

أولهما يتمثل في التعريف بهذا النموذج واقتراحه للباحثين خاصة الطلبة منهم حتى يعتمدوا عليه في تحليل نتائج دراساتهم الميدانية لاسيما في ميدان العلوم الاجتماعية والاقتصادية وحتى الطبية، لأن هذا النوع من الدراسات يعتمد على أسئلة مباشرة تكون الإجابة عنها بنعم أو لا، وأسئلة مفتوحة ذات اقتراحات متعددة أو سلمية كدراسة مدى رضا المواطن عن خدمة ما تم تقديمها سواءً كانت منتجات استهلاكية أو خدمات صحية أو غير ذلك، وكذا الدراسات الاجتماعية تعتمد بشكل كبير على المتغيرات الكيفية مما يجعل الاعتماد على الارتباط الخطي ودراسة العلاقة الخطية بين المتغيرات أمرا مستبعدا في العديد من هذه الدراسات وقد تكون هذه الدراسة بداية لدراسة أخرى تشرح للباحث طرق تحويل بيانات كمية إلى بيانات كيفية دون أن تفقد نتائج البحث الميداني من مصداقيتها شيء وكذا استعمال العديد من النماذج الإحصائية المتوفرة في نختلف البرامج.

أما السبب الثاني هو ادخار جهد إجراء بحث ميداني آخر لدراسات قادمة بسبب صعوبة البحوث الميدانية لما تستغرق من وقت طويل وتكاليف باهظة، كما أن التعريف بالانحدار اللوجستي لا يشترط القيام ببحث ميداني خصيصا بل يشترط وجود متغير تابع يتكون من فئتين أو أكثر ومتغيرات مفسرة كمية أو كيفية أو مزيجا منهما لمعرفة مدى تأثر المتغير التابع بالمتغيرات المستقلة، وهو ما قد تم توفيره.

3.تحليل نتائج الدراسة:

لمعرفة أهم محددات تراجع الخصوبة حسب بيانات الدراسة الميدانية تم الاعتماد على نموذج الانحدار اللوجستي متعدد الاستجابة الذي يعمل على إيجاد نموذج رياضي لمتغير تابع متكون من ثلاث فئات بدلالة المتغيرات المستقلة الثنائية أو المتعددة الصفات شرط أن تكون مستقلة فيما بينها أو ضعيفة الارتباط .

ISSN 2311-5181

أ-الدراسة الوصفية للبيانات وفق المتغيرات الجديدة

جدول (1) توزيع العينة حسب مستوى الخصوبة و السن الحالية للمرأة

سن المرأة الحالي	مستوى الخصوبة(%)			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
اقل من 20 سنة	4.86	0.60	0.286	5.75
20-34 سنة	28.86	3.14	0.286	32.29
35 سنة فأكثر	18.57	35.43	8	62
المجموع	52.29	39.14	8.57	100
المصدر: نتائج البحث الميداني				

دائما وكما هو متعارف في العديد من المجتمعات العربية بما فيها المجتمع الجزائري فان سن المرأة له أثر على مستوى خصوبتها فكلما زاد سن المرأة (خلال فترة سن الإنجاب) زاد عدد أطفالها، نفس الحالة عرفها مستوى الخصوبة لدى نساء العينة فالعلاقة بين السن الحالية لنساء العينة تبدو ذات دلالة إحصائية عالية، إذا كلما تم الانتقال من فئة عمرية إلى فئة أكبر منها رافقه انتقال من مستوى للخصوبة إلى مستوى أعلى منه.

جدول(2) توزيع العينة حسب مستوى الخصوبة والمستوى التعليمي للمرأة

المستوى التعليمي	مستوى الخصوبة(%)			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
دون المتوسط	4.57	10.28	4.29	19.14
متوسط/ ثانوي	22.29	20.86	4	47.15
جامعي	25.43	8	0.28	33.68
المجموع	52.29	39.14	8.57	100
المصدر: نتائج البحث الميداني				

المستوى التعليمي للمرأة عامل مهم في توجيه مستوى خصوبتها فحسب الجدول أعلاه يتضح جليا أن الخصوبة المرتفعة التي بلغت بين نساء العينة 8.57 % استحوذت عليها صاحبات الثانوي فأقل، في حين نجد نسبة الجامعيات بخصوبة مرتفعة لا تكاد تذكر(0.28%)، في المقابل بلغت نسبة من يتميزن بخصوبة منخفضة 25.43% أي ما يقارب نصف نسبة المستوى المنخفض تتميز به الجامعيات والنصف الثاني يتوزع على صاحبات مستوى تعليمي متوسط(ثانوي متوسط) بنسبة تفوق بقليل 22 % أما النسبة الضئيلة المتبقية (4.5%) تتميز بها صاحبات مستوى تعليمي منخفض (دون المتوسط).

ISSN 2311-5181

جدول (3) توزيع العينة حسب مستوى الخصوبة و إدراك المرأة لفائدة تباعد الولادات

هل تدركين أن في تباعد الولادات فائدة لك و لطفلك؟	مستوى الخصوبة(%)			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
نعم	45.43	34.27	4.86	84.56
لا	6.86	4.87	3.71	15.44
المجموع	52.29	39.14	8.57	100
المصدر: نتائج البحث الميداني				

ما يقارب 85 % من نساء العينة صرحن بأنهن يدركن فائدة تباعد الولادات لصحة الأم والطفل، 46 % من هن مستوى خصوبتهن منخفض. قد يرجع ذلك إلى أن ما يفوق 80 % من النساء مستواهن فوق المتوسط مما يسمح لهن بالاطلاع على لعديد من الأمور التي تخص حياتهن الإنجابية.

جدول (4): توزيع العينة حسب مستوى الخصوبة واستعمال المرأة لمو انع الحمل

هل استعملت أو تستعملين وسيلة لمنع الحمل	مستوى الخصوبة(%)			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
نعم	48.57	37.43	6	92
لا	3.71	1.71	2.57	7.99
المجموع	52.29	39.14	8.57	100
المصدر: نتائج البحث الميداني				

الاستعمال الواسع لموانع الحمل من طرف نساء عينة الدراسة يبدو غاية في الأهمية، فبقدر أهمية هذا الاستعمال يظهر أثره على مستوى الخصوبة إذ نجد أن نسبة 93.49 % من مجموع المستعملات يتميزن بخصوبة منخفضة ومتوسطة في المقابل نجد 6.5 % منهن يصنفن من ذوات الخصوبة المرتفعة، أما حسب مستوى الخصوبة فان 3.7 % لا يستعملن موانع الحمل ممن لديهن خصوبة منخفضة مقابل 48.57 % يستعملن موانع للحمل مما يؤكد مدى مساهمة موانع الحمل في تراجع خصوبة النساء، ويبقى المستوى المتوسط يتبع نفس التوزيع تقريبا أما عند المستوى المرتفع فان نسبة 8.57 % أو 32 % من ذوات المستوى المرتفع لا يستعملن مانعا للحمل.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

جدول(5): توزيع العينة حسب مستوى الخصوبة و المتابعة الطبية للمرأة أثناء الحمل

تقومين بمتابعة طبية أثناء حملك	مستوى الخصوبة(%)			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
نعم	50.29	37.14	7.14	94.57
لا	02	02	1.43	5.43
المجموع	52.29	39.14	8.57	100
المصدر: نتائج البحث الميداني				

مع دخول القرن الحالي خصصت البرامج الوطنية الصحية حيزا كبيرا للعناية بالأمومة و الطفولة، و ذلك في إطار ما سمي بالصحة الإنجابية التي تضمن للمرأة مساعدة صحية واهتماما نفسيا في فترة الحمل و الولادة و الأمومة ،فحسب إحصائيات وزارة الصحة والسكان فإن أكثر من 90% من هذه المتابعة الصحية قبل الولادة تتم في المؤسسات الصحية العامة بفضل تعميم وإنشاء مراكز وعيادات في مختلف المناطق و تدعيمها بالهياكل الصحية والموارد البشرية المؤهلة التي تعنى بالحوامل والأطفال لتوفير المتابعة الطبية، العلاج، اللقاح و النصائح الطبية .

أما فيما يخص نساء عينة الدراسة الحالية ومن خلال النتائج المحصل عليها فإن ما يقارب 95 % من نساء العينة يقمن بمتابعة طبية أثناء حملهن وهذا أمر غاية في الأهمية لأن صحة المولود الجديد ينبع من صحة أمه أثناء حملها له فالعديد من الأمراض المعدية التي قد تصيب الجنين ناتجة عن الحالة الصحية المزرية لأمه، لذا نجد المتابعة الطبية للحوامل تلعب دورا هاما في التقليص من هذه الإصابات وتجنب الكثير منها بفضل التلقيح والمتابعة الطبية خاصة أثناء الولادة وخلال الساعات أو الأيام الأولى بعدها.

جدول (6): توزيع العينة حسب مستوى الخصوبة والحالة المهنية للمرأة

هل تمارسين نشاط	مستوى الخصوبة(%)			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
نعم	23.14	10	0	33.14
لا	29.14	29.14	8.57	66.86
المجموع	52.29	39.14	8.57	100
المصدر: نتائج البحث الميداني				

ولوج المرأة إلى سوق العمل فرضه كل من المستوى التعليمي العالي الذي تمكنت المرأة الجزائرية والوهرانية (الساكنة في مدينة وهران) على وجه الخصوص من تحقيقه بفعل العمل التنموي الذي تبنته الجزائر منذ استقلالها إلى اليوم من جهة وكذا زيادة متطلبات الحياة اليومية للمواطن، فكما سبق الذكر كل ما كان من قبل كماليا أصبح ضروريا في السنوات الأخيرة وكذا زيادة تكلفة تربية طفل حتى من قبل ولاته، إلى أن يكبر ويستقل عن والديه، بالإضافة إلى رغبة المرأة في كسب تلك الاستقلالية

ISSN 2311-5181

المادية عن الأب والأخ ثم عن الزوج بغض النظر عن تلك الأدوار المتعددة والثقيلة التي تلقى على عاتقها بعد الزواج فور اختيارها للعمل بدل المكوث في البيت.

هذه الأدوار المتعددة في حياة المرأة وما ينتج عنها من صعوبة القيام بها بمفردها جعلها تفكر في أن تمسك العصا من وسطها وذلك بتقليل عدد الأطفال الذين تنجبهم حتى تتمكن من تربيتهم من جهة والاهتمام ببيتها دون المساس بحقها في العمل أو الدراسة أو غيرها من الحقوق التي تبدو غاية في الأهمية بالنسبة لها وثانوية في نظر الأبناء أو الزوج.

فمن خلال نتائج الدراسة التي قمنا بها في مدينة وهران فإن $\frac{2}{3}$ من النساء العاملات يتميزن بخصوبة منخفضة والثلث الأخير يتميزن بخصوبة متوسطة ولا أثر للخصوبة المرتفعة لدى العاملات من نساء العينة، أما غير العاملات فإن $\frac{7}{8}$ منهن يتوزعن بالتساوي بين مستويين الخصوبة المنخفض والمتوسط في حين يتميز الثمن الأخير منهن بخصوبة عالية.

بالرغم من أن نسبة العاملات لا تمثل سوى ثلث العينة إلا أنها نسبة معتبرة مقارنة بمعدلات العمل النسوي في البلاد، أما عندما نتحدث عن مساهمة المرأة في مصاريف البيت حسب عينة الدراسة نجدهن جميعا يساهمن في مصاريف البيت باستثناء نسبة ضئيلة جدا تقدر بـ 1.7% من مجموع العاملات هن صاحبات المستوى المنخفض في حين نجد كل النساء من ذوات المستوى المتوسط يساهمن في مصاريف البيت، هذا ما قد يفسر لنا بان تكلفة تربية طفل قد زادت عما كانت عليه من قبل، ولا يعني هذا بان احتياجات الكبار لم تزد، فكما سبق الذكر بان العديد من الكماليات تحولت إلى ضروريات في الراهن.

من خلال نفس النتائج الدراسة تبدو العلاقة بين الخصوبة وعمل المرأة عكسية بمعنوية عالية، إذ نجد ما يقارب 70% من مجموع العاملات يتميزن بخصوبة منخفضة و 30% المتبقية خصوبتهن متوسطة في غياب وجود نساء عاملات بخصوبة مرتفعة. مما يثبت أن النساء الماكثات في البيت أكثر إنجابا من العاملات وهو ما أكدته العديد من الدراسات التي أجريت في المجال، من جهة أخرى فإن تحليل النتائج المحصل عليها تبرهن بان معنوية علاقة الخصوبة بالوضع المادي للأسرة عالية، فنستخلص أن المستوى المرتفع للخصوبة ينعدم عند العاملات ويمثل نسبة قليلة لدى الغير عاملات مقارنة بالمستوى المنخفض و المتوسط وهو ما قد يؤكد بأن الحالة المادية للأسرة تساهم بشكل ما في تحديد عدد الأطفال فيها، وأن العمل الذي قد يكون المصدر الوحيد لدخل الأسرة يكون احد أسباب انخفاض الخصوبة، بالإضافة إلى كون المرأة العاملة تقلل من عدد الأطفال الذين تنجبهم لتوفق بين تربيتهم والقيام بباقي الواجبات فإن المرأة العاملة كما هو الرجل تبحث عن مستوى ارقي للعيش بحكم طبيعة الإنسان الذي يرغب دائما في الارتقاء في مجتمعه.

ما يقارب نصف النساء العاملات ممن يساهمن بكل الأجر يتميزن بخصوبة منخفضة ومتوسطة، 64.20 % ممن خصوبتهن منخفضة تساهم بنصف الأجر أو اقل من ذلك، نسبة من تساهم بكل الأجر في المستوى المنخفض تقدر بـ 35.8 %،مقابل أكثر من 71% عند صاحبات المستوى المتوسط ومنه فان معنوية العلاقة جيدة جدا مما يفسر بان العدد الكبير أو المتوسط من الأطفال يكلف الأبوين أكثر وهو ما قد يجعل المرأة تبحث عن التباعد بين الولادات أو في بعض الأحيان تلجا إلى تحديد عدد أطفالها.

ISSN 2311-5181

جدول (7): توزيع العينة حسب مستوى الخصوبة وتخصيص مبلغ مالي للعطل

هل تخصصون مبلغ مالي لقضاء العطل	مستوى الخصوبة(%)			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
نعم	14.57	9.71	2.29	26.57
لا	37.71	29.43	6.29	73.43
المجموع	52.29	39.14	8.57	100
المصدر: نتائج البحث الميداني				

العلاقة بين مستوى الخصوبة وتوفير مبلغ مالي لقضاء العطل في شكلها العام غير دالة إحصائيا sign=0.829 لكن عند تحليل كل مستوى على حدا نجد تقريبا ثلاث أرباع اسر العينة لا توفر مبلغا للعطل أما بالنسبة للأسر التي تهتم بتوفير مبلغا للعطل فان العلاقة عكسية بين مستوى الخصوبة فيها وقضاء العطل إذ نجد أن الأسر ذات الخصوبة المنخفضة تحض بفرصة التوفير لقضاء عطلة سبعة مرات أكثر من تلك الأسر التي تسود فيها الخصوبة المرتفعة.

قد لا يكون العدد الكبير من الأطفال السبب الوحيد في عدم تفكير أسر العينة في قضاء عطل، لأن العديد من الأسر الجزائرية تجعل من قضاء العطل أمرا ثانويا ولا يمكن اعتباره عاملا مهما في كسب الراحة العقلية والنفسية لأفراد الأسرة حتى يكونوا في قمة الراحة والاستعداد عند الدخول المدرسي أو الاجتماعي مما يساهم في بناء المجتمع بالاعتماد على أفراد يتميزون بقدرات إنتاجية عالية كل في ميدان تخصصه.

جدول (8): توزيع العينة حسب مستوى الخصوبة و الادخار

هل تدخرون لغير العطل	مستوى الخصوبة(%)			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
نعم	27.14	18.29	3.43	48.86
لا	25.14	20.86	5.14	51.14
المجموع	52.29	39.14	8.57	100
المصدر: نتائج البحث الميداني				

العلاقة بين مبادرة الأسر للادخار ومستوى الخصوبة غير دالة إحصائيا، أما إذا قارننا درجة الادخار من عدمه حسب مستوى الخصوبة نجد نسبة الأسر ذات الخصوبة المنخفضة التي تدخر أكثر من الأسر التي تدخر ومستوى خصوبتها متوسطة أو مرتفعة، حيث بلغت نسبة الأسر التي تدخر بمستوى خصوبة منخفض 55.55% من جملة من يدخر من الأسر.

ISSN 2311-5181

أما الأسر الغير قادرة على الادخار فتتميز بخصوبة منخفضة ومتوسطة في غالبيتها، مرتفعة أكثر عند الأسر التي لا تدخر منها عند الأسر التي تدخر، باختصار أن نسب الأسر الغير مدخرة أقل من الأسر التي تدخر عند المستوى دون المتوسط وأكبر عند المستوى المنخفض من الخصوبة.

جدول (9): توزيع العينة حسب مستوى الخصوبة و المستوى المعيشي للأسرة

المستوى المعيشي للأسرة	مستوى الخصوبة(%)			المجموع
	منخفض	متوسط	مرتفع	
جيد	11.71	9.71	2.29	23.71
متوسط	25.14	17.43	2.86	45.43
ضعيف	15.43	12	3.43	30.86
المجموع	52.29	39.14	8.57	100
المصدر: نتائج البحث الميداني				

عند وصف توزيع أسر العينة حسب المستوى المعيشي الذي اعتمدنا في تصنيفه على مجموع متوسطات دخل كل من المرأة والرجل نجد نسبة معتبرة من الأسر تمتع بمستوى معيشي جيد حوالي 24 %، أما الأسر التي يكون مستواها المعيشي متوسط تبدو مهمة مقارنة مع المستويين الآخرين إلا أن الملفت للانتباه هو نسبة الأسر الفقيرة أو التي تعاني من مستوى معيشي ضعيف حوالي ثلث أسر العينة، لتبقى العلاقة بين المستويين المعيشي للأسرة والخصوبة معنوية إلى حد ما، فعند المستوى الجيد تحتل الأسر ذات الخصوبة المنخفضة نصف نسبة الأسر الغنية، إذ بلغت نسبة الأسر بمستوى خصوبة منخفضة ومستوى معيشي جيد أكثر من نسبة الأسر بخصوبة متوسطة من ذات المستوى المعيشي، وأكثر من خمس أضعاف الأسر ذات الخصوبة المرتفعة بنفس المستوى المعيشي.

4.تفسير نتائج الانحدار اللوجستي متعدد الاستجابة

التحليل اللوجستي الذي أجري لمحددات مستوى الخصوبة للتنبؤ بمدى تأثر هذا الأخير بتلك المحددات سمح باستغلال ما يفوق 75 % من حجم العينة وهي نسبة مقبولة تسمح بقبول نتائج التحليل.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

جدول (10): نتائج الانحدار اللوجستي متعدد الاستجابة

المتغيرات التفسيرية	B	ES	Wald	ddl	sign	Exp(B)
سن المرأة(35 سنة فأكثر)						
اقل من 20 سنة	-19.054	5719.549	0.000	1	0.997	5.308 E-009
بين 20 و 34 سنة	-2.655	0.331	52.229	1	0.000	0.070
المستوى التعليمي						
(جامعي)	1.312	0.520	6.365	1	0.000	3.715
دون المتوسط	0.868	0.375	5.366	1	0.000	2.382
متوسط/ثانوي						
فائدة تباعد الولادات(غير مفيدة)	0.617	0.463	1.778	1	0.041	1.853
مفيدة						
استعمال موانع الحمل(لا تستعمل)	0.713	0.625	1.302	1	0.037	2.041
تستعمل						
متابعة طبية أثناء الحمل(لا تجري)	-0.303	0.547	0.307	1	0.043	0.739
تجري فحوصات						
العمل(عاطلة)	-0.283	0.456	0.385	1	0.001	0.754
عاملة						
تخصيص مال للعطل(لا تخصص)	-0.157	0.257	0.370	1	0.829	0.854
تخصص						
الادخار(لا تدخر)	-0.208	0.226	0.846	1	0.358	0.812
تدخر						
المستوى المعيشي						
للأسرة(ضعيف)	-0.330	0.276	2.830	1	0.042	0.719
جيد	0.238	0.296	3.083	1	0.039	1.2687
متوسط						
ثابت النموذج	1.378-	1.015	1.834	1	0.100	0.252

المصدر: نتائج البحث الميداني

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

أ- مقارنة مستوى الخصوبة المرتفع بالمنخفض

عند تحليل نتائج الانحدار اللوجستي المتحصل عليها بغرض المقارنة بين الخصوبة المتوسطة والمنخفضة كانت النتائج كالآتي:

بالنسبة لمتغير السن الحالي للمرأة فإن إمكانية وجود خصوبة متوسطة لدى النساء اللائي تقل أعمارهن عن 20 سنة تقل خمس مرات من النساء اللائي تفوق أعمارهن 35 سنة، أما إمكانية بلوغ المرأة مستوى الخصوبة المتوسطة في سن تتراوح بين 20 و34 سنة فتقل بـ 0.070 مرة منه عند اللائي بلغن 35 سنة فأكثر وهو شيء منطقي لان الفترة الفاصلة بين 20 و 34 سنة هي الفترة التي تكون فيها المرأة قادرة على الإنجاب دون التعرض للعديد من مشاكل الحمل والولادة التي غالبا ما تحدث عند الإنجاب في سن أقل من 20 سنة أكبر من 35 سنة.

بالنسبة للمستوى التعليمي فإذا زاد درجة واحدة فإن نسبة الترجيح أو فرصة المرأة بمستوى تعليمي متوسط أو ثانوي بالتميز بخصوبة متوسطة تزيد بـ 2.382 مرة من فرصة الجامعيات، أما فرصة النساء بمستوى دون المتوسط أو نسبة الترجيح فتزيد بـ 3.715 مرة من الجامعيات مما يثبت دور المستوى التعليمي في تراجع الخصوبة.

المتابعة الطبية للمرأة أثناء الحمل والعمل يقللان من فرصة تميز المرأة بخصوبة متوسطة بدل المنخفضة.

بينما المستوى المعيشي الجيد للأسر يمنح المرأة إمكانية الخصوبة المتوسطة 0.719 مرة بدل المنخفضة على عكس المستوى المتوسط مقارنة بالضعيف فقد بلغ 1.268 مرة في المتوسط أكثر من المنخفض.

جدول (11): نتائج الانحدار اللوجستي متعدد الاستجابة

المتغيرات التفسيرية	B	ES	Wald	ddl	sign	Exp(B)
سن المرأة (35 سنة فأكثر)						
أقل من 20 سنة	-18.745	0.000	.	1	0.312	7.233 E-009
بين 20 و 34 سنة	-2.596	830.0	9.779	1	.	0.075
المستوى التعليمي (جامعي)						
دون المتوسط	1.907	0.365	27.223	1	0.000	6.731
متوسط/ثانوي	1.103	0.271	16.525	1	0.000	3.013
فائدة تباعد الولادات(غير مفيدة)	-0.582	0.614	0.899	1	0.041	0.559
مفيدة						
استعمال موانع الحمل(لاتستعمل)	-1.018	0.704	2.089	1	0.037	0.361
تستعمل						

ISSN 2311-5181

متابعة طبية أثناء الحمل(لا تجري) تجري فحوصات	-0.132	0.817	0.026	1	0.043	0.876
العمل (عاطلة) عاملة	-0.839	0.246	11.633	1	0.001	0.432
تخصيص مال للعطل (لا تخصص) تخصص	-0.157	0.257	0.370	1	0.541	1.170
الادخار (لا تدخر) تدخر	-0.723	0.570	1.609	1	0.205	0.485
المستوى المعيشي للأسرة (ضعيف) جيد متوسط	0.464 -0.520	0.276 0.296	2.830 3.083	1 1	0.042 0.039	0.629 1.681
ثابت النموذج	-1.546	1.527	1.024	1	010 .0	0.2131

المصدر: نتائج التحليل اللوجستي متعدد الاستجابة لبيانات البحث الميدان

ب- مقارنة مستوى الخصوبة المرتفع بالمنخفض

إذا كان عمر المرأة يقل عن 20 سنة مقارنة بمن بلغت 35 فأكثر فانه يقلل سبع مرات من تميز المرأة بالخصوبة المرتفعة بدل المنخفضة ،أما المستوى التعليمي دون المتوسط مقارنة بالجامعي فيضاعف سبع مرات(6.731) إمكانية تميز المرأة بخصوبة مرتفعة بدل المنخفضة و المستوى التعليمي المتوسط و الثانوي يزيد من احتمال الخصوبة المرتفعة بدل المنخفضة بـ 3.013 مرة مقارنة بالجامعي

المستوى المعيشي الجيد مقارنة بالضعيف يقلل من كون الأسرة تميل إلى الخصوبة المرتفعة بدل المنخفضة بـ 0.629.

فيما يزيد المستوى المعيشي المتوسط مقارنة بالضعيف من تميز الأسرة بخصوبة مرتفعة بدل المنخفضة بأكثر من مرة ونصف (1.681 مرة).

المتابعة الطبية تقلل من الخصوبة المرتفعة بدل المنخفضة حوالي مرة (0.876).

1- عمل المرأة يقلل من تميزها بخصوبة مرتفعة بدل المنخفضة إلى النصف (0.432 مرة)

2- الادخار لقضاء العطل يزيد من ميول الأسرة إلى الخصوبة المنخفضة بدل المرتفعة بـ1.170 مرة

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

3- إمكانية تميز الأسر بخصوبة مرتفعة بدل المنخفضة في المستوى المعيشي الجيد مقارنة بالضعيف تقل بـ 0.629 مرة.

إن سن المرأة و المستوى الدراسي ثم معرفة المرأة لفائدة التباعد بين الولادات وكذا استعمال موانع الحمل والمتابعة الطبية بالإضافة إلى المستوى المعيشي تسهم رفقة العديد من العوامل الأخرى بشكل ما في تميز الأسرة بخصوبة منخفضة وتقلل من ميول المرأة إلى مستوى متوسط أو مرتفع من الخصوبة.

ج- مناقشة النتائج على ضوء الفرضيات

الفرضية الجزئية الأولى القائمة على أنه **هناك علاقة بين المستوى المعيشي للأسرة(الدخل) وتراجع الخصوبة(عدد الأطفال)** فقد تم تأكيدها حيث بدت أفضلية تميز الأسرة بمستوى خصوبة منخفض يزيد كلما ارتفع مستواها المادي أو المعيشي.

الفرضية الجزئية الثانية: **ارتفاع الوعي الصحي لدى المرأة ساهم بشكل ما في تراجع الخصوبة** فالمتابعة الطبية واستعمال موانع الحمل بالإضافة إلى ارتفاع المستوى التعليمي ساهم بشكل فعال في تراجع خصوبة النساء حسب نتائج الدراسة.

الفرضية الجزئية الثالثة: **التوجه الإنجابي الراهن والساري المفعول سببه ذلك التغيير في وضع المرأة الاجتماعي والاقتصادي المتمثل في ارتفاع مستواها التعليمي وولوجها لمجالات العمل والنشاط الاقتصادي**، فمن خلال تحليل النتائج المتعلقة بتعليم المرأة وعملها من عدمه ووضعها المهني ثم المستوى المعيشي لأسرتها تم تأكيد مدى تأثير هذه العوامل في نشر أفكار جديدة، عملت على ظهور التوجه الإنجابي الراهن ومنه فقد تحققت هذه الفرضية .

النتائج المحصل عليها تأكد صدق الفرضية الرئيسية وتبرهن على أن انخفاض الخصوبة راجع بالدرجة الأولى إلى التنمية الاقتصادية التي انعكست على المجال الاجتماعي بفعل نشر العديد من المراكز الصحية والمؤسسات التعليمية عبر التراب الوطني الذي سهل من تقديم الخدمة للمواطن(المرأة) خاصة وأنها مجانية، أنتج امرأة واعية، مثقفة وعاملة مما ساهم بشكل فعال في تراجع خصوبتها.

كانت هذه الدراسة محاولة للتعريف بمدى العمل على تمكين المواطن من الحصول على حقوقه وما جاءت به مختلف الفترات التي مر بها نمو السكان وما مدى مساهمة التنمية الاقتصادية التي عرفتها الجزائر منذ الاستقلال في ذلك بالاعتماد على الأساليب الإحصائية المتوفرة في مختلف البرامج التي توفر على الباحث الكثير من الجهد وتمنحه إمكانية تحليل بيانات الدراسات الميدانية باحترافية عكس ما كانت عليه من قبل.

خلصت الدراسة إلى أن انتهاج البلاد لبرنامج وطني قصد التحكم في نمو السكان كان ضرورة ملحة تم العمل بها منذ 1983 وبفعلها تراجع معدل الخصوبة من 8 أطفال لكل امرأة إلى أقل من 3 أطفال لكل امرأة حاليا، فكان البرنامج المعتمد العامل البارز والمساهم في تراجع الخصوبة في الجزائر ظاهريا لكن العديد من العوامل الأخرى كان لها الأثر الأكبر في ذلك.

ISSN 2311-5181

فالتنمية الاقتصادية التي تولدت عنها تنمية اجتماعية على العديد من الأصعدة كانت عاملا مهما في خلق ذلك السلوك الإنجابي الجديد داخل الأسر الجزائرية، وقد تم التأكد من ذلك بعد الدراسة الميدانية واستعمال التحليل اللوجستي في تفسير بياناتها.

قائمة المراجع:

1. بهاء عبد الرزاق قاسم، تحليل اثر بعض المتغيرات في الإصابة بمرض اللثة باستخدام نموذج الانحدار اللوجستي، مجلة العلوم الاقتصادية، العدد 28، المجلد السابع2011
2. بلعروسي شريفة، التنمية الاقتصادية في الجزائر و دورها في خلق سلوك انجابي جديد، مجلة جيل العلوم الإنسانية و الاجتماعية العدد 46 أكتوبر 2018

ONS. Résultats de l'enquête annuelle sur les salaire auprès des entreprises, 2016,n°7953.

ISSN 2311-5181

المساهمات الأندلسية في حركة التفسير بالمغرب الأوسط من بداية القرن السابع إلى نهاية القرن التاسع

Andalusian contributions to the interpretation movement in the Middle Maghreb From the beginning of the 7th cent to the end of the 9th cent

ط.د. عبديش براهيم/جامعة غرداية، الجزائر

Abdiche Brahim/ Ghardaia University, Algeria

ملخص :

شهدت حركة التفسير بالمغرب الأوسط ابتداء من القرن السابع الهجري نشاطا لا مثيل له بفضل الوافد الجديد المتمثل في هجرة أعلام الأندلس واستقرار أغلبهم بحاضرتي : تلمسان وبجاية بسبب ما لاقوه من حفاوة وتكريم من سلاطينها ، فعكفوا على تفسير القرآن الكريم انطلاقا من مؤلّفات تفسيرية أندلسيّة نالت شهرة واسعة ، فأَثْرَوا درس التفسير بمباحث برعوا فيها ، من أوجهٍ بلاغية وقراءاتٍ وأحكامٍ وتصوّف ، فأثمرت جهودهم انتعاش التفسير في المساجد والمدارس وبحضرة الملوك والسلاطين ، وبرز أعلام جزائريون تركوا بصمتهم في هذا الميدان .

الكلمات المفتاحية : الهجرة الأندلسية ، حركة التفسير ، المغرب الأوسط ، تلمسان ، بجاية .

Abstract:

The interpretation (**Tafsir**) movement in the Middle Maghreb, witnessed by the inauguration of the seventh century, an exceptional goings-on due to the newcomer represented by the emigration of the leaders of Andalusia and the constancy of most of them in: Tlemcen and Bejaia because of the hospitality and respect they acknowledged from its sultans, so they worked on the interpretation of the Noble Qur'an based on the famous Andalusian exegetical literature. They enriched the study of exegesis with investigations in which they excelled in rhetorical aspects, readings, rulings and mysticism. Their efforts resulted in the revival of interpretation in mosques and schools and in the presence of kings and sultans, and the emergence of Algerian scholars who left their mark in this field.

Key words: Andalusian immigration , The movement of interpretation , Middle Maghreb , Tlemcen , Bejaia.

ISSN 2311-5181

مقدمة :

عرف المغرب الأوسط ابتداء من القرن السابع الهجري حركة علمية متميّزة ، ويعود الفضل في ذلك بدرجة كبيرة إلى هجرة الأندلسيّين واستيطان الكثير منهم حاضرتي : تلمسان الزيانية ، وبجاية الحفصية آنذاك ، فتلمسان اختاروها لما وجدوا فيها من ترحيب من سلاطينها ، ويتجلّى ذلك خصوصا في الظهير السلطاني الذي أصدره السلطان **يغمراسن بن زيّان** بشأن الأندلسيّين والتكفّل بهم ومنحهم أعلى المراتب كالقضاء والكتابة والخطابة والتدريس الذي جاء فيه : "هذا ظهير عناية مديدة الظلال وكرامة رحيبة المجال ، وحماية لا يُخشى على عقدها المبرم وعهدها المحكم من الانحلال والاختيال ، أمر به فلان أنجد الله أمره وأيّد عصره ، لجميع أهل الأندلس المستوطنين بحضرة تلمسان حرسها الله ، أحلّهم به من رعيه الجميل أكنافا ، وبوّأهم من اهتمامه الكريم وإنعامه العميم جنّات ألفافا ، ووطّأ لهم جَنَاب احترامه تأنيسا لقلوبهم المنحاشة إلى جانب العلي واستيلافا ، وأشاد بماله فيهم من المقاصد الكرام ، وأضفى عليهم من جُنَن حمايته ما يدفع عنهم طوارق الاضطهاد والاهتضام ، حين اختبر خدمتهم ، فشكر عمّا تولّوا فيها من الجدّ والاجتهاد ، واطّلع على أغراضهم السديدة في اختيار حضرته السعيدة للسكنى على سائر البلاد ، فلحظ لهم هذه النيّة واعتبرها ، وأظهر عليهم مزايا ما لهم من هذه المناحي الحميدة ... "[1]

وسجّل **المقرّي** في نفح الطيب كثافة هذه الهجرة الأندلسيّة إلى تلمسان بقوله : " ...فخرجت ألوف بفاس وألوف أخر بتلمسان من وهران ..."[2] ، واستقبل أبو العباس أحمد الزيّاني (834هـ . 862هـ) المهاجرين بحفاوة ووجّههم حسب طبقاتهم وحِرفهم ، فأنزل العلماء عاصمته مدينة تلمسان [3]

أما بجاية فيكفي الاطّلاع على كتاب " **عنوان الدراية فيمن عُرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**" لأبي العباس الغبريني لمعرفة كثرة الشخصيات الأندلسية التي استوطنت بجاية ، وساهمت في ازدهار الحركة العلمية بها ، لموقعها الجغرافي وساحلها المطلّ على عدوة الأندلس ، سجّل البكري هذا بقوله : " مدينة بجاية آهلة عامرة بأهل الأندلس ."[4]

فاحتكر أعلام الأندلس في الحاضرتين ميدان التعليم وفرضوا طرائقهم فيه ، ونقلوا طريقتهم الخاصّة بهم إليهما ، كعدم الاقتصار في تعليم الأطفال على حفظ القرآن كما كان الحال قبلهم ، بل أضافوا إليه تعليم الحديث والقواعد العامّة لمختلف العلوم وتدارس بعضها ، كما علّموا روايات القرآن وأنواع قراءاته ، ونشر الأندلسيون خَطّهم حتى ساد على خطّ المغرب العربي ، أمّا التعليم العالي فقد كان يُعطى في المساجد والزوايا ودُور العلماء ومجالس المناظرة ، وكان يُعهد به إلى كبار العلماء ، وبالإضافة إلى هذه الأماكن العامة ،كانت السلطة تعيّن للمدارس كبار العلماء الأندلسيّين وغيرهم وتُجري عليهم المرتبات ."[5]

---

[1] إدريس العلوي البلغيثي : فصل الخطاب في ترسيل الفقيه أبي بكر بن الخطاب ، مجلة دعوة الحق ، العدد 249 ، المملكة المغربية 1985 ، ص 94.

[2] المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ت : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 1997م ، ج 4 ص 528.

[3] المرجع السابق ص 94.

[4] البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي ، المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي ، (د . ط) 1992م ، ج 2 ص 797.

[5] أبو القاسم سعد الله : تاريخ الجزائر الثقافي ، دار البصائر ، الجزائر ، طبعة خاصة 2007م ، ج 1 ص 47.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

الإشكالية : إلى أيّ مدى ساهم أعلام الأندلس في ازدهار حركة التفسير في المغرب الأوسط ؟ وفيم تمثلت أشكال هذه المساهمة ؟ وما نتائجها ؟

الفرضيات : لا شكّ أن حُلول هؤلاء الأعلام أرض المغرب الأوسط سينعكس بالإيجاب على حركة التفسير ، وسيعرف الدرس التفسيري تطوّرا وازدهارا من ناحية الشكل والمضمون ، وسيبرع أعلام جزائريون تتلمذوا في حلقات أعلام الأندلس في التفسير .

أهداف البحث : تهدف هذه الدراسة إلى وصل سند مدرسة التفسير الجزائرية بمدرسة عريقة في هذا الفن هي مدرسة الأندلس ، ولا أدلّ على ذلك من أن التفاسير الأندلسية إلى اليوم تلقى القبول والرواج ، إضافة إلى ردّ مقولة من يقول : أنّ أهل المغرب لم يُصنِّفوا في التفسير ولم يعرفوه .

منهجية البحث : هذا ما سنحاول الإجابة عليه في هذا المقال باستقراء جملة من المصادر والمراجع التي ترجمت لهؤلاء الأعلام وسجّلت حضور التفسير في نشاطهم العلمي في كلّ من : تلمسان وبجاية .

1 . أعلام التفسير الأندلسيون بالمغرب الأوسط : وطئ المغرب الأوسط (بجاية وتلمسان) عدد من أعلام التفسير الأندلسيّين ذوي مشاركات واسعة في الدّرس التفسيري ، نذكر بعضهم مع الإشارة إلى ما يدلّ على اهتمامهم بالتفسير واشتغالهم به :

. **أبو الحسن ابن عصفور** (ت 669هـ)[1] : الذي ذكر **الغبريني** أنّه كان قد أخذ في تفسير القرآن الكريم فقال : " وأخبرني بعض أصحابنا أنّه شرح جزءا من كتاب الله العزيز ، وسلك فيه مسلكا لم يُسبق إليه من الإيراد والإصدار والأعذار ، بما يتعلّق بالألفاظ ثمّ بالمعاني ثمّ بإيراد الأسئلة الأدبية على أنحاء مُستحسنة "[2]

وهو ممّن أخذ عنه **الغبريني تفسير الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق الثعلبي** عن طريق المقرئ أبي العباس أحمد بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي [3]

وأشار صاحب نفح الطّيب إلى شيء من كلامه في التفسير بقوله : قال **الشاطبي** : كان **ابن الفخّار** يأمرنا بالوقف على قوله تعالى من سورة البقرة : " **قالوا الآن** " (البقرة : 71) ونبتدئ : "**جئت بالحق** "، وكان يفسّر لنا معنى ذلك : قولهم : الآن أي : فهمنا وحصل البيان ، ثمّ قيل : جئت بالحقّ ، يعني : في كلّ مرّة ، وكان رحمه الله يرى هذا الوجه أولى من تفسير **ابن عصفور** له من أنّه على حذف الصفة ، أي : بالحق البين "[4].

---

[1] هو أبو الحسن علي بن موسى الحضرمي الإشبيلي المعروف بابن عصفور الفقيه النحوي رحل من العدوة واستوطن بجاية ثم تونس وتوفي بها سنة 669هـ ينظر : الغبريني : أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، ت : عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 2 ، 1979م ، ص 318. 319 ، ابن مخلوف : شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 1 (1424هـ. 2003م) ، ج 1 ص 282.

[2] عنوان الدراية : ص 318.

[3] المصدر نفسه ص 360.

[4] نفح الطيب ج 5 ص 382.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

. **أبو عثمان سعيد بن علي بن محمد بن عبد الرحمن بن زاهر البلنسي** (ت 654هـ) : من أهل إشبيلية قال عنه **الغبريني** : " لم يكن له عمل ولا حرفة ولا خلطة للناس سوى الاشتغال بإقراء القرآن رواية وتفهيما وبسطا وتعليما "[1].

. **أبو إسحاق بن إبراهيم بن حَكم السَّلَوي** (ت 737هـ) : من شيوخ المقرّي الجدّ ، وقد كان بارعا في التفسير خاصّة ما يتعلّق بالبلاغة والأسلوب ، ورد في **نفح الطّيب** أنّه سُئل عن تكرار . **من** . في قوله تعالى : " **سواءً منكم منْ أَسَرّ القول ومنْ جهر به** " (الرعد : 10) دون ما بعدها فقال : لولا تكرّرها أوّلا لتُوهِم التضادّ بتوهّم اتّحاد الزمان ، فارتفع بتكرار الموضوع ، أمّا الآخر فقد تكرّر الزمان ، فارتفع توهّم التضادّ ، فلم يُحتج إلى زائد على ذلك .[2]

. **أبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي** : إشبيلي الأصل " وكان رحمه الله أديبا بارع الكتابة ، شاعرا مجيدا ، رائق الخطّ ، ذا مشاركات في فنون العلم ، مؤلّفا متقنا ، فسَّر الكتاب العزيز ..."[3]

. **أبو اسحاق ابراهيم بن يسول الإشبيلي** : نزل تلمسان ومات بها ، أخذ القراءات عن شريح بن محمد بن شريح الرعيني ، وأقرأ القرآن بتلمسان محتسبا لله دون أجرة عليه ..."[4]

. **أبو الحسن الشهير بالقلَصادي** (ت 891 هـ) : لما تكلّم على شيوخه ذكر أخْذَه التفسير عنهم ، ترجم لشيخه **علي اللّخمي** فوصفه بأنّه : " ...الضارب في التفسير والحديث والأصول والطبّ بسهم مصيب ..."[5] ، وذكر سماع التفسير منه فقال : " وحضرت عليه كثيرا من تفسير الكتاب العزيز "[6]

. **أبو عبد الله محمد بن أبي العيش الخزرجي** : أصله من إشبيلية ، من فقهاء تلمسان وعلمائها الأجلّة له تأليف كبير في الأسماء الحسنى في مجلّدين وفتاوى في المعيار توفي بتلمسان سنة 910هـ[7] ، نقل **الونشريسي** في فتاويه نماذج من كلامه في التفسير منها : جوابه عن معنى قوله تعالى : " **ثمّ أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا** " (فاطر : 32) الذي منه : " ... وكذلك الاصطفاء والفلاح فإنّه في المتّقي أولى ، لكن لا يمنع من وقوعه على المقتصد والظالم ، إنْ جعلنا الضمير في قوله تعالى : **فمنهم ظالم لنفسه** ، يرجع إلى المصطفين وهو تفسير ابن عباس رضي الله عنه والجمهور ..."[8]

---

[1] عنوان الدراية : ص 290.

[2] نفح الطيب ج 5 ص 227.

[3] يحي ابن خلدون : أبو زكرياء ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، ت : عبد الحميد حاجيات ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، طبعة خاصة 2011م ، ج 1 ص 139.

[4] ابن الزيات : أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي ، التشوف إلى رجال التصوف ، ت : احمد التوفيق ، ط 2 (1997م) ص 294.

[5] القلصادي : أبو الحسن علي الأندلسي ، رحلة القلصادي ، ت : محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ص 87.

[6] المرجع نفسه : ص 88.

[7] ينظر : التنبكتي : أبو العباس احمد بابا بن أحمد ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، دار الكاتب ، طرابلس ، ليبيا ، ط 2 ، 2000م ، ص 579 ، ابن مريم : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ت : محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر ، (د . ط) ، (1326هـ.1908م) ،ص 252 ، بغية الرواد ج 1 ص 165

[8] الونشريسي : أبو العباس أحمد بن يحي ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، د.ط (1401هـ.1981م)ج 11 ص 309. 310 .

ISSN 2311-5181

. **أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي المعروف بالحلوي** : وفَد على تلمسان واستقرّ بها ، وصفه **يحي ابن خلدون** بأنّه من كبار العباد العارفين مات بتلمسان ودفن خارج باب علي [1] ، وذكر صاحب البستان المعروف أن **الإمام أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسي المعروف بابن المرأة** قرأ عليه القرآن فقال : " فقرأت بسم الله الرحمن الرحيم فتكلّم في فضلها عشرة أيام ".[2]

. **أبو عبد الله محمد بن صالح بن أحمد الكناني** (ت 699هـ) : الفقيه النحوي المقرئ الخطيب بالمسجد الأعظم ببجاية من أهل شاطبة ، رحل إلى العدوة واستوطن بجاية [3] ، وهو ممّن سمع منه أبو حيان الأندلسي صاحب تفسير البحر المحيط لما نزل ببجاية [4]، وذكر **الغبريني** في برنامج مشيخته أنّه حدّثه بكتاب " الكشّاف عن حقائق التنزيل " الفقيه أبو عبد الله الكناني عن أبي الحسن بن السراج عن أبي عبيد الله السلفي عن المؤلف [5]

وغيرهم كثير ممّن زخرت بهم كتب التراجم وبرامج الشيوخ وفهارسهم .

2 . المساهمات الأندلسية في حركة التفسير بالمغرب الأوسط : تنوّعت أشكال هذه المساهمات بين نقل أشهر مؤلّفات التفسير الأندلسية وشرحها وتدريسها ، والتي أخذت شكل المقرّرات الدراسية في المدارس الزيانية ، وكذا إثراء حلقاته بمباحث بلاغية ولغوية لم تكن معهودة من قبل بالشكل الذي أصبحت عليه ، وزاد الاهتمام بالقراءات القرآنية وتوجيهها ، وآيات الأحكام وتفاصيلها في درس التفسير ، كما اصطبغت بعض الأقوال التفسيرية بالصبغة الصوفية.

1.2 مؤلّفات التفسير الأندلسيّة: اعتمدت حلقات التعليم و التدريس بالمغرب الأوسط على كثير من المؤلّفات الأندلسيّة، حيث أخذ بها أساتذة المدارس التلمسانية وطلّابها ، ولا شك أنّ أعلام الأندلس الذين نزلوا المغرب الأوسط كان لهم سند متّصل إلى هذه المؤلّفات .

. تفسير **ابن عطيّة (المحرّر الوجيز)** : فقد كانت حلقات تدريس التفسير تعتمد بالخصوص على المؤلّفات الأندلسية ، لاسيّما تفسير ابن عطيّة الذي ذاع صيته في المشرق والمغرب بشهادة ابن خلدون : " وجاء أبو محمد بن عطيّة من المتأخّرين بالمغرب ، فلخّص تلك التفاسير كلّها ، وتحرّى ما هو أقرب إلى الصحّة منها ، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حَسَن المنحى "[6] وذلك لأنّ تفسير ابن عطية يمثّل أهل السنّة (الأشاعرة) ، ويلخّص ما تناثر عند المفسّرين القدامى في تفاسيرهم المختلفة .

---

[1] ينظر : بغية الرواد ج 1 ص 127. 128.

[2] البستان : ص 68. 69.

[3] ينظر : عنوان الدراية ص 79 ، ابن بشكوال : الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، ت : عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، ط 2 (134هـ. 1955م)، ج 3 ص 307.

[4] أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ، تفسير البحر المحيط ، ت : محمد صدقي جميل ، دار الفكر بيروت ، د.ط (1420هـ) ج 1 ص 37.

[5] عنوان الدراية ص 364.

[6] ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد ديوان المبتدأ والخبر ، ت : خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، ط 2 (1408هـ. 1988م)، ج 1 ص 555.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

. تفسير **عبد بن حُميْد** : فقد ذكر ابن الأبّار سَنَدَ تفسير عبد بن حُميْد الذي حدّث به في بجاية عبد الحقّ الإشبيلي إلى مُؤلّفِه .[1]

. **البحر المحيط : لأبي حيّان** مكانة عالية وقَدَم راسخة في التفسير وهو صاحب التأليف فيه ، وقد أجاز المقرّي الجدّ بكلّ مروياته حين لقيه في رحلته إلى الحج بمصر وأخذ عنه حيث قال : " رويت عنه واستفدت منه "[2].

. **تفسير ابن أبي زمَنين وأحكام القرآن لابن عربي** : ذكر **المجاري** في برنامجه أنّه قرأ على شيخه البلنسي تفسير ابن أبي زمنين وتفسير أحكام القرآن لابن عربي فقال : " وتفقّهت عليه في مسائل من بعض الكتب المذكورة ، وسمعت عليه تفقّها بعضا من كلّ كتاب يُذكر بعد ، فمن ذلك تفسير الإمام أبي عبد الله بن أبي زمنين ، ... وأحكام القرآن للقاضي أبي بكر بن عربي ... وأجاز لي جميع ذلك وحدثني بأسانيده المعلومة له فيها في برنامجي شيخيه أبي القاسم بن جزي وأبي عبد الله بن مرزوق ... "[3]

مما يدلّ أنّ لابن مرزوق الخطيب سَنَدٌ لهذين التفسيرين ، وتداولهما في تلمسان بعد ذلك .

. **تفسير الثعلبي (الكشف والبيان)** : وقد مرّ معنا أنّ **الغبريني** أخذ هذا التفسير في بجاية عن **ابن عصفور** عن طريق المقرئ **أبي العباس أحمد بن محمد بن خضر الصدفي الشّاطبي**.[4]

2. 2. إثراء درس التفسير بمباحث برع فيها الأندلسيون : أثرى أعلام الأندلس الذين حلّوا بالمغرب الأوسط درس التفسير بمباحث البلاغة والقراءات ، إلى جانب إشارات صوفية واستنباطات فقهية برعوا فيها ، وأثّروا بذلك في تلامذتهم المغاربة فأصبحوا يميلون إلى ذكر تلك المباحث والعناية بها :

أ . **العناية بعلوم البلاغة :** ممّا يلفت المتتبّع لأعلام التفسير بالجزائر بداية من القرن السابع والثامن الهجريين العناية الفائقة بعلوم البلاغة من معاني وبيان وبديع ، وقد أرجع ابن خلدون ظهور هذا النوع من التفسير إلى تطوّر علم اللّسان وتزايد الاهتمام بفنونه ، حتى أصبح تعلّمه صناعة فقال : " والصنف الآخر من التفسير وهو ما يرجع إلى اللّسان ، من معرفة اللّغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب ، ... وإنّما جاء هذا بعد أن صار اللّسان وعلومه صناعة "[5] ، وسجّل تفوّق أهل الأندلس في هذه الصناعة بقوله : " وأمّا أهل الأندلس فأفادهم التفنّن في التعليم ، وكثرة رواية الشعر والترسّل ، ومدارسة العربية من أول العمر، حصولَ ملَكَةٍ صاروا بها أعرف في اللّسان العربي. "[6]

---

[1] ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي ، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، مكتبة الثقافة الدينية ، الظاهر ، ط 1 (1420هـ.2000م) ،ص139 .

[2] المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، ت : سعيد أحمد أعراب ، عبد السلام الهراس ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب ، د.ط (1400هـ.1980م) ، ج 5 ص 74.

[3] المجاري : أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد ، برنامج المجاري ، ت : محمد أبو الأجفان ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 (1400هـ.1980م) ، ص 112.

[4] عنوان الدراية : ص 360.

[5] تاريخ ابن خلدون ج 1 ص 555.

[6] ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربي ، ط 3 ، د . ت ، ص 539.

ISSN 2311-5181

وأشهر تفسير عُرف بهذه الصناعة : تفسير الزمخشري الذي ألّف الناس على مِنواله ، نقل المقرّي في نفح الطّيب ذلك بقوله :" رأيت لبعض من ألّف على كتاب الكشّاف للزمخشري فائدة لم أرها لغيره في قوله تعالى : " والرّاسخون في العلم " (آل عمران : 07) إذِ النّاس يختلفون في هذا الموضع اختلافا كثيرا ، فقال قوم : الرّاسخون في العلم يعلمون تأويله ، والوقوف عند قوله : والراسخون في العلم ، وقال قوم : أنّ الرّاسخون في العلم لا يعلمون تأويله ، وإنما يوقف عند قوله : وما يعلم تأويله إلا الله ، فقال هذا القائل : أنّ الآية من باب الجمع والتفريق والتقسيم من أنواع البيان ، وذلك لأنّ قوله تعالى : " **هو الذي نزّل عليك الكتاب** " **جمع** ، **وقوله : " منه آياتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنّ أمُّ الكتاب وأُخَرُ مُتشابهات** " تفريق ، وقوله تعالى : " **فأمّا الذين في قلوبهم زيغ**... إلى قوله :" **و ابتغاء تأويله** " أحَدُ طرفي التقسيم ، قال : وهذا مثل قوله تعالى : " **و إنّا منّا المسلمون** " (الجن : 14 . 15) فقوله : وإنّا : جمع ، وقوله : " **منّا المسلمون ومنّا القاسطون** " تفريق ، وقوله : " **فمن أسلم ...وأما القاسطون** " تقسيم ، وهو من بديع التفسير ".[1]

ونجد في **المعيار للونشريسي** عدّة أسئلة وفتاوى تتعلّق بالتفسير البلاغي منها : ما أجاب به **أبو يحي ابن الشريف التلمساني**[2] من سأله عن الحكمة من تقديم السمع على البصر في غالب التنزيل ، فأجاب بكلام طويل منه : " اعلم أن آيات الله ضربان : آيات مَتلوّة ، وآيات مَجلوّة ، ومَدْرَك الأولى السّمع ومَدْرك الثانية البصر ، والمقام ذو الآيات المتلوّة يناسب ذكر السّمع ، ...والمقام ذو الآيات المجلوّة يناسب ذكر البصر ...وليس بواجب على الجملة أنْ يكون مع كلّ واحد من النّوعين ما يناسبه ، ولكنّه إذا ذُكر فقد يكون ذلك لخصوصية ممكنة أخرى سوى مطلق المناسبة ، وقد يكون لمطلق المناسبة ، وإنْ لم يُذكر فواضح ، وإنْ ذُكر مع أحدهما ما يناسب الآخر فذلك لأنّها بلغت من الوضوح والجلاء ما كأنّها تُرى عيانا ، وفي المجلوّة يَذكر معها السّمع لأنّها بلغت من التحقيق ما كان لها لسانا تنادي به الإقبال عليها وحُسن الإصغاء ..." [3]

فالملاحظ أنّ في هذا الجواب بصمةً بلاغية تمثّلت في مناسبة الكلام لمقتضى الحال ، فقد عرف البقاعي علم المناسبات بأنه : " علم تُعرف منه عِلَلُ ترتيب أجزائه وهو سرّ البلاغة ".[4]

ب . الاهتمام بالقراءات : اشتهر الأندلسيون بعنايتهم بالقرآن الكريم ومزيد اهتمامهم برواياته وقراءاته ، فالأندلس موطنٌ لكبار علماء هذا الفنّ **كمجاهد وأبي عمرو الدّاني** صاحب كتاب **التيسيروالشاطبي** الذي اختصر ما ورد في التيسير من قواعد في قصيدته " **بحر الأماني ووجه التّهاني** " ممّا سهّل على أهل الأندلس والمغرب استيعاب فنّ القراءات ، سجّل ابن خلدون هذا

---

[1] نفح الطيب ج 1 ص 269.

[2] هو أبو يحي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي الحسني التلمساني الإمام المحقق العالم بالتفسير آخر المفسرين من علماء الظاهر والباطن ، ومن أكابر فقهاء المالكية أخذ عن أبيه الشريف التلمساني وغيره ولد بتلمسان سنة 757هـ وتوفي بها سنة 826 ينظر : البستان 127 ، شجرة النور ج 1ص 362.

[3] المعيار ج 12 ص 327.

[4] البقاعي : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د.ط ، د. ت ،ج 1 ص 6.

ISSN 2311-5181

بقوله وهو يتكلّم على الشاطبية : " ... فاستوعب فيها الفنّ استيعابا حسنا ، وعَنِيَ النّاس بحفظها وتلقينها للوِلدان المتعلّمين ، وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس"[1] .

ويكفي على هذا دليلا تتبّع كتب تراجم أعلام الأندلس ككتاب الّصلة لابن بشكوال مثلا فمن النّادر أن تجد عَلَمًا لا صلة له بالقرآن رواية أو إقراءً أو تفسيرًا ، وباستقرار البعض منهم بالمغرب الأوسط أعطوا إضافة نوعية في هذا العلم ومنهم : **أحمد بن محمد بن حسن بن محمد بن خضر الصدفي الشاطبي** الذي برع في علم القراءات وصفه **الغبريني** بـ:" الشيخ الفقيه المقرئ المحصّل الراوية الضابط المتقن المجوّد " [2] ، و**أبو بكر بن سعادة الإشبيلي** الذي نزل تلمسان وعمّر بها وكان مجوّدا للقرآن ، ضابطا مُحدّثا ، نقّادا عالي الرواية ..." [3]، هذا التفوّق في القراءات عند الأندلسيّين المهاجرين إلى تلمسان انعكس بصورة واضحة على تفسير القرآن الكريم ، خاصّة ما يتعلّق منه باختلاف الأحكام ، نجد ذلك واضحا في كتب الفتاوى والنوازل منه : ما أورده **الشريف التلمساني** في كتابه **مفتاح الوصول** من إشارة إلى أنّ من أسباب الاختلاف في الأحكام اختلاف القراءات ، فمثلا عند ذكره لحكم الصيام في كفّارة اليمين قال : استدلال الحنفية على أنّ المكفِّر إذا حنث فصيام ثلاثة أيام من شرطه أن تكون متتابعة ، فإن فرّقها لم تُجْزِه لقراءة ابن مسعود : فصيام ثلاثة أيام متتابعات ... وكذلك احتجّت الحنفية على أنّ الفيئة في الإيلاء إنّما محلّها الأربعة أشهر لا بعدها بقراءة أُبيّ بن كعب : فإنْ فاءو فيهنّ فإنّ الله غفور رحيم "[4]

وفي المعيار لما أجاب **ابن مرزوق** [5] على مسألة ثبوت الشرف من جهة الأمّ ذكر قوله تعالى : " **هبْ لي من لَدُنْك وليًّا يَرِثُني** " (مريم : 05 . 06) قال : الولّي في الآية مطلق لا عامّ ، هذا في قراءة جزم (يرثْ)... وأمّا على قراءة الرفع في (يرثُ) فالتخصيص ظاهر ، إذِ الجملة صفة لوليّ [6]، غير أنّه لم ينسبها لأصحابها حيث قرأ أبو عمرو والكسائي ... بالجزم ، وقرأ الباقون بالرفع.[7]

ج . **التطرّق للأحكام الفقهية :** التزم رجال المدرسة الأندلسية في تفاسيرهم المذهب المالكي وقرّروا قواعده ، وبسطوا أصوله ونشروا فروعه ، يظهر ذلك جليّا في أحكام القرآن لابن العربي الذي اعتنى في تفسيره بآيات الأحكام ، حيث يذكر السورة ويُعدّد آيات الأحكام فيها ، ثم يأخذ في شرحها آية آية ، مُعدّدا المسائل في كلّ آية مُفصّلا لأحكام كلّ مسألة ، وكذا تفسير القرطبي الذي

---

[1] تاريخ ابن خلدون ج 1 ص 553.

[2] عنوان الدراية : ص 85.

[3] بغية الرواد :ج 1 ص 168.

[4] الشريف التلمساني : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ، ت : محمد على فركوس ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 (1419هـ.1998م) ، ص 304. 305.

[5] هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر ابن مرزوق العجيسي التلمساني المشارك في الفنون من أصول وفروع وتفسير ولد بتلمسان سنة 711هـ رحل مع أبيه إلى المشرق وحج وجاور ثم رجع إلى المغرب فولاه السلطان أبي الحسن الخطابة ثم اجتذبه سلطان الأندلس فقلده الخطبة بمسجده توفي بعد 870هـ ينظر : ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ت : محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ،ج 2 ص 290 . ابن حجر العسقلاني :الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ت : محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ط 2 (1392هـ.192م) ، ج 5 ص 93 .

[6] المعيار : ج 12 ص 201.

[7] النيسابوري : أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران ، المبسوط في القراءات العشر ، ت : سبيع حمزة حاكيمي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، د.ط 1981م ،ج 1 ص 287.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

اهتمّ ببيان آيات الأحكام فأورد لكلّ آية ما تتضمّنه من أحكام ، فإن لم يجد فيها حكما فسّرها إجمالا وسمّاه : الجامع لأحكام القرآن ، وبتتبّع كتب الفتاوى والنوازل خاصّة المعيار والدرر المكنونة نجدْ كثيرا ما يتضمّن الجواب نقل كلام ابن العربي والقرطبي في المسائل المستفتى فيها ، وبهذه المؤلّفات تأثّر أعلام المغرب الأوسط ، وزادت نزعة استنباط المسائل والأحكام الفقهية من الآيات القرآنية في درسهم التفسيري وضمن أجوبتهم وفتاويهم من ذلك :

ما جاء في نوازل المازوني : أنّ **أبا عبد الله محمد بن مرزوق** ذكر قوله تعالى : " **حُرّمت عليكم الميتة والدّم** " (المائدة : 03) فقال : حرّم الله الدّم في هذه الآية جملة من غير تقييد ، وقيّد ذلك في سورة الأنعام فقال : " أو دما مسفوحا " (الأنعام : 145) ، فوجب ردّ المطلق إلى المقيّد ... وقد جاء عن عائشة أنّها قالت : لولا قول الله : " أو دما مسفوحا " لأُتبع ما في العروق..." [1]

وجاء في **المعيار** : أنّ **ابن مرزوق** ذكر عند استدلاله على ثبوت الشرف من جهة الأمّ قوله تعالى : " **قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودّة في القربى** " (الشورى : 23) فقال : رُوي أنّ المشركين اجتمعوا فقال بعضهم : أترون محمّدا يسأل على ما يتعاطاه أجرا فنزلت ، والمعنى : قل لا أسألكم على القرآن والنبوءة التي أتينا بها أجرا إلاّ أنْ تودّوا أهل قرابتي ، ولا تودّوهم على احتمال هذا الاستثناء الاتصال ، والانقطاع يضيق محلّ الاستيفاء على بيانه وبيان كثير من المهمات التي لا تليق إلّا بالتأليف ، وكفى بتعظيمهم شرفا أن جعلهم الله أجرا للإسلام والهدى والقرآن ، فما أرفعها درجة وأعظمها منزلة ، أماتنا الله على حب آل محمد وحشرنا في زمرتهم بمنّه وفضله ، وقد ورد في تفسير الآية غير هذا مما يطول ذكره [2]

وأورد صاحب المعيار أيضا عدّة رسائل **للحسن بن عطية الونشريسي** (ت 788هـ) تحمل بصمة تفسيرية عاليه تُظهر اهتمامه باستنباط الأحكام ، وتدلّ بوضوح على تمكّنه وبراعته في التفسير الفقهي منها مقالة عُنونت بـ : " **رفع الحرج والجناح عمّن أرادت من المراضع النكاح** " تضمّنت عشر مسائل كلّها تندرج تحت آية الرضاع جاء فيها : " قوله تعالى : "**والوالدات يُرضعن أولادهنّ حولين كاملين** " (البقرة : 233) وقوله تعالى : "**وحمله وفِصاله ثلاثون شهرا** " (الأحقاف : 15) ، قال **ابن عباس رضي الله عنه** : المولود الذي يرضع حولين كاملين هو المولود لستة أشهر ، وإن وُلد لسبعة أشهر فرضاعه ثلاثة وعشرون شهرا ، وإن ولد لثمانية أشهر فرضاعه إثنان وعشرون شهرا ... قال **القاضي أبو بكر بن العربي** : ومن هاتين الآيتين أخذ علي رضي الله عنه أنّ أقلّ الحمل ستة أشهر ... وهذا من بديع الاستنباط ، فإذا بنينا على مقتضى قول علي وهو تفسير **ابن عباس** ، فقد زال عن المسألة الإشكال والالتباس ، لأنّ غالب حمل النساء إنما هو تسعة أشهر ، فكلام العلماء على أنّ أقلّ الحمل ستة أشهر إنما هو لدرء حدّ أو إلحاق نسب أو لضرورة تُلجئ إلى ذلك ، وإن بنينا على تفسير غيرهما وهي المسألة الثانية ، نظرنا في تمام رضاع الحولين ، هل يجب أو يجوز الاقتصار على ما دونه ، قال القاضي منذر بن سعيد في تفسيره : إنّما ذكر الله تعالى تمام الحولين في الرضاع من أجل إيجاب الخيار في الفصال ، فكأنّه قال تعالى : والوالدات يُرضعن بالخيار ، إن شئن أن يُكملن لأولادهنّ رضاع حولين ، وإن شئن لم يكملن ذلك على الضرر منهنّ ، فهذا معنى الكلام ، فإرضاع الحولين لا يجب فرضا مُقدّرا إلّا لمن أراد أن يُتمّ الرضاعة باتفاق من الزوجين ، فهما مخيرّان في إتمام الرضاع ، لكلّ واحد من الوالدين أن يَفْصِل الرضيع

---

[1] المازوني : أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط ، الطالب : بركات اسماعيل ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، السنة الجامعية : 2009 . 2010) ، ص 242.

[2] المعيار ج 12 ص 204.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

قبل إتمام الحولين ما لم يكن مُضارًا ، فإذا كان مُضارًا لم يكن له ذلك ، قلت : وكلام منذر هذا كافي في سقوط كلام المفارق ، لأنّا نشدُّه بكلام غيره فنقول : قال بعض المفسّرين : قال قتادة : كان الرضاع واجبا في الحولين ، وكان يحرُم الفطام قبل ذلك ، ثمّ خفّف الله ذلك ، وأباح الرضاع أقلّ من الحولين في قوله تعالى : " **فإن أرادا فصالا**" (البقرة : 233) ، وقال **القاضي أبو بكر بن العربي** : لو كان هذا حدّا مؤقتا لا تجوز الزيادة عليه ولا تُعتبر إنْ وُجدت لما أوقفه الله على الإرادة كسائر الأعداد المؤقتة في الشرع ، قال : والصحيح : أنّه لا حدّ لأقلّه ، وأنّ أكثره محدود بالحولين مع التراضي "[1]

فقد تناول ما يستنبط من الآية من أحكام مستدلّا على ذلك بأقوال الصحابة والتابعين وأقوال المفسرين .

ثمّ تطرّق إلى حكم الغيلة : وهي مسألة لها حبل وثيق مع آية الرضاع ، حيث ذكر أقوال المفسرين في اللغات الواردة في هذه الكلمة واشتقاقاتها فقال :" وأمّا ضبط الغيلة وهي المسألة الخامسة ، فقال **ابن زمنين** : الغِيلة بكسر الغين لا يجوز الفتح إلّا بكسر الهاء ... وقال القاضي عياض في الإكمال :لو كان هذا صحيحا لكانت من ذوات الواو لقوله تعالى : " **لا فيها غَوْلٌ ولا هُم عنها يُنزَفُون**" (الصافات : 47) أي : لا تغتال عقولهم ، فيكون الاسم الغول ، وقد أكثر الناس في اشتقاقها ، ولا غرض لنا في استيفاء كلامهم "[2]

فانظر كيف يذكر الآية ثم يجعل تحتها مسائل مستنبطة منها ، مع الاستدلال عليها بالسنّة وأقوال الصحابة والتابعين ، ونقل كلام المفسّرين خاصّة ابن العربي ، مع إيراد قول مالك في كلّ مسألة ، وهو صنيع مفسّري أحكام القرآن ، وبهذا المثال الأخير يظهر جليّا التأثّر بالمدرسة الأندلسية في تفاسير آيات الأحكام .

د. التفسير الصوفي : حلّ بالمغرب الأوسط بداية من القرن السادس الهجري عدّة أعلام أندلسيّين يحملون أفكار التصوّف بنوعيه : السنّي والفلسفي ، فالأوّل يمثّله : **أبو مدين شعيب الإشبيلي الأندلسي** (ت 594هـ) الذي استوطن بجاية خمسة عشر عاما ، وحمل إليها كتاب **إحياء علوم الدين** ودرّس بها الرسالة القشيرية ، وأَطْلَع طلبتها على رعاية المحاسبي [3] ، وتوفي بتلمسان[4] ، إلّا أنّ أثره في نشر التصوّف استمرّ بعد ذلك ، إذْ أصبحت تلمسان بعده مركزا من مراكز نشر ثقافة التصوّف بسبب احتضان تربتها لرُفاته ، وهذا ما جعل ابن خلدون يعدّه من كبار العلماء والصالحين الذين أنجبتهم حاضرة تلمسان [5]

ذكروا من كلامه في التفسير الإشاري أنّه كان يقول في قوله تعالى : "**فإذا فرغت فانصب**" (الشرح : 07) فإذا فرغت من الأكوان فانصب قلبك لمشاهدة الرحمن ، وإلى ربّك فارغب في الدوام ، وإذا دخلت في عبادة فلا تُحدّث نفسك بالخروج منها وقل : " **يا ليتها كانت القاضية** " (الحاقة : 27) ، وكان يقول : قل الله ثمّ ذرهم وهي مقطع من آية هي قوله تعالى : " **قل الله ثمّ ذرهم في خوضهم يلعبون** " (الأنعام : 91) لكنّها تحمل معاني وإشارات ذكرها ابن عجيبة في شرح الحكم بقوله : "كثيرا ما يستدلّ

---

[1] المعيار ج 3 ص 31. 32 .

[2] المصدر نفسه ج 3 ص 33.

[3] الطاهر بونابي : التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 ، دار الهدى ، عين مليلة ، د.ط ، 2004م ،ص 71. 72 .

[4] نفح الطيب ج 7 ص 141 ، عنوان الدراية : ص 28.

[5] بغية الرواد ج 1 ص 125.

ISSN 2311-5181

الصوفية بهذه الآية : " **قل الله ثمّ ذرهم** " على الانقطاع إلى الله والغيبة عمّا سواه ، وهو تفسير إشاري لا تفسير معنى اللفظ ، لأنّها نزلت في الردّ على اليهود [1] .

والثاني يمثّله كلّ من : **أبي عبد الله الحلوي الشوذي** : ففي سير أعلام النبلاء نقلا عن ابن المرأة " ثمّ شرع يخبرني بأحوالي كأنّه معي ، وكنت إذا صلّيت يُخيّل لي نور عند قدمي فقال لي : أنت معجب تظنّ نفسك شيئا ؟ لا حتى تقرأ العلوم ، قلت : إنّي أحفظ القرآن بالروايات ، قال : لا حتى تعلم تأويله بالحقيقة فقلت : علّمني ، ثمّ جعل يفسّر لي القرآن تفسيرا عجيبا مُدهشا ويأتي بمعاني فبهرني. "[2]

و**أبي العباس أحمد بن أحمد المالقي** (ت 660هـ) : الذي كان يُلقِّن طلبته في بجاية كتاب : **الإشارات والتنبيهات لابن سينا** وهو كتاب يتضمّن فلسفة التصوّف الإشراقي. [3]

و**أبي عبد الله محمد محي الدين بن عربي** (ت 638 هـ) الذي دخل بجاية مرتين وزار تلمسان [4]، وله : التفسير الكبير الذي بلغ فيه إلى تفسير سورة الكهف عند قوله تعالى : " **وعلّمناه من لدنّا علما** " (الكهف : 65). [5]

هذه الأفكار والإشارات تركت أثرا واضحا في تلامذتهم بالمغرب الأوسط ، فانعكست على درسهم التفسيري ، وظهرت في أقوالهم وفي أجوبتهم التي تتعلّق بمعاني القرآن نذكر منها :

.أورد المقرّي الجدّ في الحقائق والرقائق جملة من نماذج التفسير الصوفي الإشاري ، منها ما هو من كلامه ، ومنها ما نقله عن غيره من المفسّرين : فمن الأوّل: قوله :" الخلوة منزل الفكر ، وفي بيته يُؤتى الحكم ، وباب هذا البيت العلم " **و اتوا البيوت من أبوابها** " (البقرة : 189) [6]، ومن الثاني : ما نقله عن مفاتيح الغيب للرازي عند تفسير قوله تعالى : " **فاخلع نعليك** " (طه : 12) إنّ النعلين اللذين أمر موسى بخلعهما هما المقدمتان اللتان يُتوصّل إلى المعرفة بهما ، فقيل له : إنّك حلّلْت بالوادي المقدّس لسماع :أنا ربّك ، فلا تنصرف عن مقام التحقيق إلى طلب التصديق ، فليس الخبر كالمعاينة. "[7]

وفي كتابه القواعد أيضا بصمة صوفية إشارية ، حيث نجده في القاعدة الخامسة والأربعون بعد المائتين يقول: " نبّهنا الله عزّ وجلّ في قوله : " **و إنّا إلى ربنا لمنقلبون** " (الزخرف : 14) من ارتقاب الإنسان خطر الركوب أو مسيره محمولا على المركوب،

---

[1] ابن عجيبة : أحمد بن محمد الحسني ، إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، ص 579.

[2] الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، سير أعلام النبلاء ، ت : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط 3 (1405هـ.1985م) ، ج 23 ص 316.

[3] ينظر : عنوان الدراية : ص 190 ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 ص75.

[4] التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 ، ص 76.

[5] نفح الطيب ج 2 ص 177.

[6] المقري : أبو عبد الله محمد بن محمد ، الحقائق والرقائق ، ت : عمرو سيد شوكت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، (د.ط) ، (د. ت) ، ص 151.

[7] المرجع نفسه ص 163 .

ISSN 2311-5181

على تذكّر أمور الآخرة بما يُومئ إليها من أحوال الدنيا ، فيتذكّر بالركوب على الأنعام والفلك ركوب النّعش ، وبحرّ الحمّام حرّ النّار ، وبالتلذّذ بالجماع وغيره لذّة النّعيم ..."[1]

ولأبي يحي الشريف التلمساني أيضا كلام في التفسير يمكن تصنيفه في هذا الاتجاه ، لِما يحمله من إشارات صوفية ، ففي أحد أجوبته في المعيار يُورِد قوله تعالى : " **إليه يصعد الكلم الطيّب والعمل الصالح يرفعه** " (فاطر : 10) فيقول : " يعني بذلك أنّ الكلم الطيّب يصعد على معارج العوالم حتى ينتهي إلى عالم القلب ، والعمل الصالح جمال لذلك ، ويريد بالعمل الصالح التصرّف الروحي ، والقلب المتّصف بهذه الصفة جدير بدخول الجنان ورؤية الرحمن ".[2]

وكلها نماذج تفسيرية تصب في خانة التفسير الصوفي السنّي المحمود الذي لا يتعارض مع ظواهر الآيات القرآنية ، ولا يُلغيها، مما يؤكّد بأنّه الغالب والمهيمن في المغرب الأوسط خلال تلك الفترة وبعدها وإلى اليوم .

خاتمة :

وفي الختام يمكن تسجيل بعض **النتائج** المتوصل إليها والمتمثلة في :

أنّ من الميادين التي كان لأعلام الأندلس المهاجرين فيها السبق والريادة والمهارة ميدان تفسير القرآن الكريم ، فانعكس ذلك على الدرس التفسيري بالمغرب الأوسط (الجزائر) بالاهتمام والإثراء وأصبح يتغذّى من رافدين : رافد المشرق ورافد المغرب ، وسطع في الأفق أعلام جزائريون تركوا بصمتهم الخالدة في التفسير سواء على مستوى التدريس أو التأليف .

تجلّت إسهامات هؤلاء الأعلام في إخراج الدرس التفسيري من النمطية التي كانت سائدة والمتمثلة في الاقتصار على بيان معاني آيات القرآن بالروايات والأخبار والآثار إلى بسط أنواع من الموضوعات التي تتناولها الآيات من أحكام وقراءات ولطائف وإشارات .

وبفضل هؤلاء الأعلام أيضا اطّلع طلبة المغرب الأوسط بسهولة ودون عناء على المؤلفات الأندلسية في التفسير وبالتالي أصبح لهم سند إلى هذه المدرسة العريقة في التفسير .

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

1. إدريس العلوي البلغيثي : فصل الخطاب في ترسيل الفقيه أبي بكر بن الخطاب ، مجلة دعوة الحق ، العدد 249 ، المملكة المغربية 1985 .
2. المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني ، (1997م) ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، ت : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 .

[1] . المقري : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ، القواعد ، ت : أحمد بن عبد الله بن حميد ، مركز إحياء التراث الإسلامي ، م.ع . س ، مكة المكرمة ، ج 2 ص 488.

[2] المعيار ج 12 ص 245.

ISSN 2311-5181

3. البكري : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (1992م) ، المسالك والممالك ، دار الغرب الإسلامي .

4. أبو القاسم سعد الله : (2007م) ، تاريخ الجزائر الثقافي ، دار البصائر ، الجزائر ، طبعة خاصة .

5. الغبريني : أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد ، (1979م) ، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ، ت : عادل نويهض ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 2 .

6. ابن مخلوف : (1424هـ.2003م) ، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط 1 .

7. يحي ابن خلدون : أبو زكرياء ، (2011م) ، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، ت : عبد الحميد حاجيات ، عالم المعرفة للنشر والتوزيع ، الجزائر ، طبعة خاصة .

8. ابن الزيات : أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي، (1997م) ، التشوف إلى رجال التصوف ، ت : احمد التوفيق ، ط 2 .

9. القلصادي: أبو الحسن علي الأندلسي ، رحلة القلصادي ، ت : محمد أبو الأجفان ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس .

10. التنبكتي: أبو العباس احمد بابا بن أحمد ، (2000م) ، نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، دار الكاتب ، طرابلس ، ليبيا ، ط 2 .

11. ابن مريم : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد الشريف المليتي المديوني ، (1326هـ.1908م) ، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ، ت : محمد بن أبي شنب ، المطبعة الثعالبية ، الجزائر .

12. الونشريسي : أبو العباس أحمد بن يحي ، (1401هـ.1981م) ، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية .

13. ابن بشكوال : (134هـ.1955م) ، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، ت : عزت العطار الحسيني ، مكتبة الخانجي ، ط 2 .

14. أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ، (1420هـ) ، تفسير البحر المحيط ، ت : محمد صدقي جميل ، دار الفكر بيروت .

15. ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد (1408هـ.1988م) ، ديوان المبتدأ والخبر ، ت : خليل شحادة ، دار الفكر ، بيروت ، ط 2 .

16. ابن الأبار: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي ، (1420هـ.2000م) ، المعجم في أصحاب القاضي الإمام أبي علي الصدفي ، مكتبة الثقافة الدينية ، الظاهر .

17. المقري : شهاب الدين أحمد بن محمد ، (1400هـ.1980م) ، أزهار الرياض في أخبار عياض ، ت : سعيد أحمد أعراب ، عبد السلام الهراس ، مطبعة فضالة ، المحمدية ، المغرب .

18. المجاري : أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن عبد الواحد ، (1400هـ.1980م) ، برنامج المجاري ، ت : محمد أبو الأجفان ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 .

19. ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار إحياء التراث العربي ، ط 3 .

20. البقاعي : إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر ، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

ISSN 2311-5181

21. الشريف التلمساني : أبو عبد الله محمد بن أحمد ، (1419هـ.1998م) ، مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول ، ت : محمد على فركوس ، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 .

22. ابن فرحون : الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب ، ت : محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة . .ابن حجر العسقلاني : (1392هـ.192م) ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، ت : محمد عبد المعيد ضان ، مجلس دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ط 2 .

23. النيسابوري : أبو بكر أحمد بن الحسين بن مهران ، المبسوط في القراءات العشر ، ت : سبيع حمزة حاكيمي ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، د.ط 1981م ،ج 1 ص 287

24. المازوني : أبو زكريا يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي ، الدرر المكنونة في نوازل مازونة ، مذكرة ماجستير في التاريخ الإسلامي الوسيط ، الطالب : بركات اسماعيل ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، السنة الجامعية : 2009.2010) .

25. الطاهر بونابي : (2004م) ، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 و 7 ، دار الهدى ، عين مليلة ، د.ط .

26. ابن عجيبة : أحمد بن محمد الحسني ، إيقاظ الهمم شرح متن الحكم ، دار المعارف ، القاهرة .

27. الذهبي : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، (1405هـ.1985م) ، سير أعلام النبلاء ، ت : شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، ط 3 .

28. المقري : أبو عبد الله محمد بن محمد ، الحقائق والرقائق ، ت : عمرو سيد شوكت ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان

29. المقري : أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد ، القواعد ، ت : أحمد بن عبد الله بن حميد ، مركز إحياء التراث الإسلامي، م.ع . س ، مكة المكرمة .

ISSN 2311-5181

الإنسان الصحراوي بين التراث والمجال

The desert man between heritage and field

د. البشير البونوحي/المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين-كلميم واد نون، المغرب
Dr.ELBACHIR ELBOUNOUHI/Regional Center for Education And Training Professions – Geulmim Ouad Noune, Morocco

ملخص :

الثقافة الصحراوية موروث ثقافي يربط حاضر الصحراء بماضيها، ويعزز ثقافة المنطقة ويغنيها بما تزخر به من إبداعات، ومعالم لا زالت قائمة بين ثنايا الرمال الذهبية، والموروث الصحراوي غني بتقاليده وعاداته العريقة، فهو يحمل ملامح أهل الصحراء، ويحافظ على سماتهم، كما يؤكد عراقتهم وأصالتهم. كان هذا الموروث نتاج التفاعل الحاصل بين أفراد المجتمع الصحراوي لسنوات طويلة، استطاع من خلالها الإنسان الصحراوي الحفاظ على هويته رغم التحديات التي تواجهه.

إن العلاقة التي تجمع هذا الإنسان بتراثه، علاقة أقل ما يمكن القول عنها إنها روحانية، فالمساس بها كالمساس بشخصه، فقيمتها من قيمته. لذلك، فالاشتغال في هذا الحقل التراثي يقتضي التنقيب في التاريخ الصحراوي، بغاية نسج تصور متكامل عن التاريخ الاجتماعي للصحراء، في كتب التاريخ والرحلات، والذاكرة الشعبية، لاسيما في التراث الشفوي الغني بهذا الموضوع، وكل المضامين التي تنطوي على ما يضيء هذا التاريخ الاجتماعي للمغرب.

الكلمات المفتاحية:التراث – الصحراء – الرحل – القبيلة.

Abstract:

The Sahraoui culture is a cultural heritage that connects the present of Sahara to its past. It strengthens the culture of the area and enriches it with all the artistic creations and the monuments that are still standing between its golden dunes. This heritage is rich thanks to its customs and ancient traditions as It holds the features of the people in the desert, preserves their characteristics and confirms their nobility and authenticity. This heritage was created through the interactions between the members of the Sahraoui community that lasted for years, which enabled the Sahraoui man to preserve their identity in spite of the challenges that they face on a daily basis. The relationship that connects the Saharoui people to their heritage is so tight that it could be described as spiritual. This heritage is of equal value to the Sahraoui people themselves. Therefore, studying this field requires investigating the Sahraoui history in order to forge a complete picture about the social history of the Sahara. For this reason, it is necessary to conduct a research through books of history and journeys, the popular memory, the rich oral heritage and any other resources and references that could enlighten the Moroccan social history.

Key words: Heritage- Sahara–Nomads- Tribe.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

مقدمة :

يعتقد الكثير من المهتمين والباحثين والسياسيين، أن مفتاح التنمية هو استيراد التكنولوجيا للرفع من مستوى الرخاء المادي للسكان، متغافلين عن التعدد الثقافي والسلوكي، الذي يعتبر إلى حد كبير المبدأ المحرك للنشاط البشري المستديم.

وبطبيعة الحال، فالإنسان هو أداة التنمية وغايتها، ولتحقيقها يجب الالتفات إلى الموروث الثقافي الذي يتبوأ مكانة متميزة في هذا الطرح الجدي، لدوره الحاسم في صياغة سلوك الفرد والمجتمع، وترجمته إلى فعل اجتماعي تنموي، ولعل ذلك ما حذا بالأمم المتحدة إلى الإعلان عن عقد عالمي للتنمية الثقافية، وربط ذلك بالتنمية الشاملة والمستدامة للبلدان.

إن الأمم التي لا تمتلك تراثا ولا تعتز به أمة ميتة، لا تاريخ لها تستند إليه، ومن هنا تتضح أهمية إحياء التراث وصونه، لأنه سبب رئيس لوجودها وتقدمها، وأبرز مثال على ذلك أن أهم سبب للتطور الذي وصلت إليه أوروبا، والذي ترجع جذوره لفترة عصر النهضة، إحياؤها للتراث القديم الذي شهدته بلدانها قديما (الإغريقي، الروماني ...)[1].

يستلزم البحث في حركية المجتمعات المتحركة "الرحل"[2]، محاولة وضع قراءة خاصة لهذه المجتمعات، انطلاقا من عدة مستويات، ترتبط أولا بضرورة فهم منطلق الممارسات الاجتماعية للفرد والجماعة داخل مجتمعات الرحل، وهي الممارسات التي يمكن من خلالها فهم أي تصرف في المكان والزمن الذي يصدر عن هذه المجتمعات، فمن المؤكد أنها تصرفات تبدو عادية إن قرأت لذاتها، بينما تبقى غريبة عند مقارنتها بممارسات مجتمعية نصفها بالحضارية.

يبقى مصطلح التحضر مبهما، حينما نقارنه بعدم التحضر أو التوحش، كما يؤكد على ذلك ابن خلدون[3]، انطلاقا من ذلك سنتطرق إلى المجال الصحراوين لكونه مجال عيش "الرحل"، فهذا المجال يتوفر على تراث متعدد المرجعيات والأصول من حيث مكوناته، لأن الثقافة الصحراوية لم تكن منغلقة قط، بل كانت منفتحة، ولم تكن تنحصر في فرد واحد، لأنها طريق تجاري للقوافل التي تجوب الصحراء، كما أن الساكنة الصحراوية لم تكن تسيح نفسها، بل على العكس كانت تجوب مجالات، وتحتك بمجموعات بشرية أخرى، مع ما يترتب عن ذلك من تلاقح ثقافي، وأخذ وعطاء وتبادل.

التراث الصحراوي الذي يعبر عن خصوصية محلية، هو في حد ذاته متنوع ومتعدد المصادر والمنافع، الشيء الذي يضفي عليه بعدا إنسانيا وثراء أنثروبولوجيا، وبالتالي يعتبر أحد مقومات الهوية المحلية الصحراوية، فهو يمنح الفرد الصحراوي هوية

---

[1] يعتبر عبد السلام هارون من المحققين الذين نادوا في إحدى منشوراته، بضرورة التوجه لهذا المنحى، ألا وهو إحياء التراث وتحقيق مخطوطاته. انظر: هارون عبد السلام، نوادر المخطوطات 8/1، دار الجيل، بيروت، ط1، سنة 1411هـ/1991م

[2] - ترتبط كلمة الرحل Nomade بالأصل الإغريقي Nemo أي توزيع أو تقديم جزء من المرعى لقطيع من الماشية أو Nomas أي أرعى وبذلك فالسلوك الترحالي يعبر بالأساس عن نمط للعيش لا عن إثنيات وشعوب، فتصبح البداوة عبارة عن نمط في الحياة قائم على التنقل الدائم للإنسان في طلب للرزق حول مراكز مؤقتة، يتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة من ناحية، وعلى كفاية الوسائل الفنية المستعملة في استغلالها من ناحية ثانية، وعلى مدى الأمن الاجتماعي الطبيعي الذي يمكن أن يتوافر فيها. ينظر: دحمان، محمد، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، الرباط 2006، ص: 22.

[3] - عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ج 2 ، القاهرة، نهضة مصر، 1981، ص: 485 – 467.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

أصلية وثقة في النفس، ويمكنه كذلك أن ينهل من الثقافات الأخرى بوعي، ويثريها بدوره وبدون عقدة الدونية، أو الشعور بالاستيلاب.

في هذا الصدد، سنركز على دور الإنسان الصحراوي في حفظ الموروث الثقافي لبيئته وضمان استمراريته سواء كان ماديا أو غير مادي.

إن مقاربة دور المجتمع الصحراوي من زاوية التراث والتنمية والرهانات المرتبطة بذلك، توضح أن ثقافة البيضان[1] ما تزال تكتنز جواهر متنوعة، تستحق عناء البحث والمعرفة، وتشكل بالنسبة لنا جميعا رأسمالا حيويا يشفع له التاريخ، وتشهد به المقومات الثقافية كلها، والقواسم المشتركة التي تؤطر الغرب الصحراوي.

أهمية البحث:

تتميز أهمية البحث في كون التراث يعد أحد العناصر الحية للتاريخ، فكل مجتمع يحتاج إلى الرجوع إلى تاريخه، لضمان الاستمرارية لهويته التي تتطور وتتفاعل مع الزمن، فالتراث إرث جماعي يحكي تاريخ مجموعة بشرية، ويتوارث جيلا عن جيل، ويمكن أيضا الأجيال الحالية من التموقع في الزمن، والتوفر على بوصلة أمام التحولات السريعة التي يعرفها المجتمع، فدراسة أي مجتمع قد تبدو عادية حينما يتعلق الأمر بالمعرفة النمطية والكلاسيكية لمجتمعات الاستقرار، بحيث تصبح عملية ضبط حركية مثل هذه المجتمعات، مبنية على ثوابت قد تتغير عبر الزمن الطويل وفي مجال محدد، لكن الأمر يختلف حينما يتعلق الأمر بغياب هذا البعد، على مستوى المجال وعلى مستوى تعامل المجتمع، مع تقلبات المحيط غير المستقر.

أهداف البحث:

تتجلى أهداف الدراسة في:

- ✓ التعرف على المجتمع الصحراوي وعلاقته بمجاله.
- ✓ رصد أهم مكونات المجتمع الصحراوي.
- ✓ التعرف على مدى حفاظ هذا المجتمع، على عاداته وتقاليده.
- ✓ معرفة أبرز التحديات التي تواجه الإنسان الصحراوي في مجاله.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث حول قدرة الإنسان الصحراوي، ودوره في حفظ الموروث الثقافي لبيئته، وضمان استمراريته سواء كان ماديا أم غير مادي؟

أسئلة البحث:

- كيف يبدو مجتمع الإنسان الصحراوي؟ وبم يتميز؟

[1]- المجتمع البيضاني نقصد به المناطق التي تتكلم ساكنتها اللهجة الحسانية، والممتدة من منطقة درعة السفلى حتى الضفة الشمالية لنهر السنغال، ومن المحيط الأطلسي، إلى التخوم المالية (نسبة إلى مالي) شرقا.

ISSN 2311-5181

- ماذا نعني بالقبيلة مكونا اجتماعيا في التراث الصحراوي؟
- ما مكونات المجتمع البيضاني؟
- كيف تحل الخلافات داخل هذا المجتمع؟
- ما عادات المجتمع الصحراوي؟
- أين تتجلى أهمية المرأة في المجتمع البيضاني؟
- هل استطاع المجتمع الصحراوي الحفاظ على تراثه؟
- ما وضعية الموروث الحساني في ظل تحديات العولمة؟

منهج البحث:

اعتمدنا في هذه الدراسة، على المنهج الاستنباطي التحليلي.

اجتماعية الإنسان الصحراوي

يولد الإنسان في المجتمع، والحاجة إلى المجتمع تولد فيه، ولهذا الأخير تأثير كبير على سلوك الأفراد، فالفرد يأتي إلى المجتمع مزودا بقدرات، واستعدادات فطرية تدفعه إلى النمو والسلوك، والمجتمع هو الذي يصبغ هذا السلوك بالصبغة الاجتماعية.

اجتماعية الإنسان جزء من كينونته ولا يمكنه الانفصال عنها، فالإنسان يكون وحدة اجتماعية من ثلاثة عناصر: "الأنا" و "الغير"، و "نحن"، وعليه فالإنسان يعيش في ذاته كما يعيش في ذات الآخرين، وهم بدورهم يعيشون في ذاته، كما هو يعيش في ذاتهم بالضرورة والالتزام.

لا سبيل إلى فهم مجتمعات الرحل في الصحراء، دون فهم للعقلية التي تؤثث هذه البنية الاجتماعية، ولا يمكن أن تفهم إلا في إطار أدوار الفاعلين الاجتماعيين، بحيث أن كل فاعل يؤدي دوره في إطار منظومة متكاملة، متضامنة تحكمها قساوة البيئة والمجال، وهو ما يجعل أفراد هذا المجتمع يمارسون ثقافة تنعت بالنهب والوحشية، وتنزع عنها صفة التحضر، فساكن الصحراء يتميز بممارسات فكرية وثقافية لها علاقة بالمجال من جهة، وبالمعتقدات والفراغ من جهة ثانية.

وأما الأدوار داخل المجتمع، فتحتمل الدقة من خلال توزيعها بين أفراد العائلة أو العشيرة، وبذلك تصبح الروح الأنانية للفرد محددة تحديدا اجتماعيا، حيث تعيش في إطار المقولات التي يدين بها في تكوينه[1]، وهو ما يؤدي إلى اختلاف خبرات الأفراد وأدوارهم ومراكزهم في المجتمع، فيختار الفرد أدوارا ومراكز ووظائف قد لا يشارك فيها عدد أفراد المجتمع الآخرين[2].

كل هذه الأدوار تحمل خصوصية داخل المجالات الصحراوية، فهي تؤسس لبنيات ومعتقدات حامية للنفس والجسد، وهي تؤمن المجتمع والقطيع ضد المخاطر، وتجعله يؤثث لنفسه طقوسا خاصة في السفر والتنقل، والسكن والأكل والشرب، وهذه التوجيهات كلها تحمل تيمات بيداغوجية، وقيما تدافع عن استمرار النظام، وخلق التوازن بين الإنسان والبيئة.

---

[1]- غالي. إ، الانثروبولوجيا الفكرية، دراسة في انثروبولوجيا بيربورديو، القاهرة 1999، ص: 29.

[2]- إبراهيم، ز، الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية، دمشق 2009، ص: 24.

ISSN 2311-5181

إن معرفة طرق ومعتقدات تفكير هذه المجتمعات كفيل بفهمها، فهذه المعتقدات لا يمكن أن تتغير ولا تتطور، إلا إذا رأت هذه المجتمعات ضرورة خلق آليات جديدة، تتناسب لضمان استمرار الحياة وتجدد المجتمع[1]، وتأتي هذه المداخلة المهتمة بدور المجتمع، في الحفاظ على التراث الثقافي الصحراوي المغربي نموذجا، محاولة للكشف عن نوعية العلاقة بين الفرد والمجتمع، مما سيسمح لنا بالنفاذ إلى طبيعة القيم والممارسات التي تسود المجال المدروس ورصد مختلف أبعاده، إضافة إلى تسليط الأضواء على طريقة الحفاظ على هذا الموروث ردحا من الزمن، وعكس الأدوار والوظائف المتنوعة التي أملتها طبيعة التحولات، والمتغيرات التي طرأت على البنيات الاجتماعية بحكم التطور الذي شهدته المنطقة.

يمثل المكون الاجتماعي عنصرا من ثقافة الصحراء، وأهم حامل لهذا لجانب هو القبيلة[2] باعتبارها الأداة البشرية التي أعطت للصحراء بعدها الإنساني، وأضفت عليها حيوية وأنسا، وسط الفضاء الموحش الرهيب.

القبيلة مكونا اجتماعيا في التراث الصحراوي

تتحدد القبلية مفهوما يعود إلى مصطلح المؤسسات السياسية في الحضارة الهندو- أوربية القديمة، وفيما يخص القبيلة في العالم العربي الإسلامي، صدرت العديد من الدراسات في العقود الثلاثة الأخيرة، حيث نجد جيلا من الأنثروبولوجيين[3] اهتموا بدراسة القبيلة العربية، من خلال مقاربة تاريخية وبنيوية، فخلصوا إلى استنتاجات نظرية حول مفهوم القبيلة قامت على دراسات ميدانية مقارنة.

يعتبر هذا المفهوم من أكثر المفاهيم شيوعا والتباسا، شأنه شأن مفاهيم أخرى مثل الجماعة والزاوية... ويمكن الحديث عن القبيلة تنظيما اجتماعيا، وهذه المقومات هي: مجال جغرافي مشترك، نسب مشترك، لغة مشتركة، ثقافة مشتركة، وهذه الوحدات تكون وحدة مشتركة تسمى "قبيلة"[4]، فعبد الله العروي يقول: "من أسباب صعوبة تحقيق التجديد المنشود عن طريق البحوث المحلية في المغرب غموض معنى القبيلة، غموض دفع محرري تاريخ افريقيا العام الصادر عن منظمة اليونيسكو الا يستعملوا الكلمة إلا مقرونة بمزدوجتين"[5]، وأشار إلى هذه الصعوبة كذلك الباحثة صوفي كراتيني في بحثها حول قبيلة الركيبات[6]. واعتبر دولاشابيل القبيلة هي الوحدة الحقيقية للدولة[7].

---

[1]-Gast ; M . " le désert saharien comme concept dynamique , cadre culturel et politique " , in revue de l'occident musulman , v 32 , n°1.1981 pp :80-81.

[2]- اعتبر الانثروبولوجي الأمريكي مرشالسالنسMarchallsahlins في كتابه "رجال القبيلة " "Tribesmen" أن القبيلة تحتل موقعا متطورا في الثقافة، التي تعد الحضارة مرحلتها النهائية فالحضارة ليست متطورة ومتقدمة على القبيلة بفعل سيادة السلطة المركزية فقط ولكن بتقديمها في التنظيم والتحول الكيفي في طبيعة الثقافة. وهنا يفصل سالنس بين القبيلة والحضارة، فالأولى تمثل الحرب والثانية تمثل السلم.

- Sahlins. M , Tribesmen , Astudy of segmentary society , Engle wood chiffs ,Prentice Hall, 1972.

[3]- ندكر منهم على سبيل المثال: -P.Bonte , C.Hamés , E.Conte , G. Bédoncha

[4] -Godelier (M) : Tribu" article in : Encyclopédieuniv , vol .16 France 1968 .p: 315.

[5]- عبد اللهالعروي، تقديم كتاب "السلطة والمجتمع في المغرب"، نموذج ايت باعمران، البيضاء 1989 ص: 05.

[6] -Caratine (sofhie): Apropos des Rgaybat du saharaaccidental. U.R.B.A.M.A.1989.Fax:20-2

[7]- دولا شابيل: أخذا عن مصطفى ناعمي (الصحراء من خلال بلاد تكنة)، ص:145.

ISSN 2311-5181

هذا الوضع هو الذي سيجعل الأنثروبولوجي موريس كودلييnM.Godolien[1]، في دراسته التركيبية عن مفهوم القبيلة، يضع عنوانا لمقاله "أزمة مفهوم"، كما خلص جاك بيرك بدوره في أخر مقاله الاستفهامي "ما هي القبيلة الشمال افريقية ؟"[2] إلى صعوبة وضع تعريف واقعي وشامل للقبيلة.

القبيلة بالصحراء من بين أهم الموضوعات التي استأثرت باهتمام الباحثين والمفكرين، في مجال البيضان على مختلف مشاربهم وتوجهاتهم، فتميزها بنمط عيش وممارسات ترحالية يجعلها مادة مهمة للدراسة والبحث، رغم أن الدراسات الأولى مع الحقبة الاستعمارية وما قبلها، لا تعدو أن تكون سوى مونوغرافيات استكشافية لبعثات عسكرية (باستثناء بعض المونوغرافيات كالتي كتبها بول مارتي[3]Paul Marty، ألبير ليريش [4]Albert Leriche ، فنسان مونتاي [5]Vincent Monteil ... وغيرهم)،وارتبطت بأهداف استعمارية بحتة، لكنها مهدت الطريق فيما بعد، للدراسات الأكاديمية التي ساهمت في التأريخ للمجال.

تمثل القبيلة[6] أساسا قويا ومتينا في المجتمع الصحراوي، لبناء علاقات اجتماعية قائمة على قوة العصبية، وهو ما يظهر من خلال كثافة علاقات المصاهرة، فنسق القرابة ونظام المصاهرة يستندان إلى قاعدة التوازن بين المجموعات القبلية، وتتحكم فيه ظروف الزمن السياسي (فترات الخوف، التحالفات،نظام السلطة) والاجتماعي (التنظيم الاجتماعي الرعوي، نمط العيش).

تتشكل الجماعة في القبيلة من كل من الرجال القادرين على حمل السلاح، أو من أعيان يمثلون كل فخذ من القبيلة، وهم الذين يختارون مجلس "أيتالربعين"، وهو ما يسمى عند قبائل أخرى مثل ايت باعمران وقبائل سوس "إنفلاسن"[7].

وأيت أربعينليس بالضرورة كما يبدو مجلسا من أربعين رجلا، فمثلا بالنسبة لقبيلة يكوت كانت كلفخذة تمثل بـ 12 رجلا، لتمثيلها في مجلس أيت أربعين، وقد لا يتجاوز عدد أعضاء أيت أربعين لدى بعض القبائل، 15 شخصا.

نلمس دور الجماعة المحوري في مجموعة من الوثائق[8] الخاصة بقبائل تكنة، فالجماعة توجد على جميع مستويات القسمات الاجتماعية: الفخدة واللف والقبيلة والكونفدرالية، ففي الوثائق نجد أن بعض الأحكام تعني فقط جماعة فرع من فروع القبيلة، ولكن في وثائق أخرى فإنها تمثل القبيلة ككل.

[1]-Godolien , M. "le concepte de tribu , crise d'un compte ou crise des fondements de l'anthropologie? in horzon , trajets marscistes en anthopologie , paris , maespero , 1977.

[2]- Berque J. " Qu'est – ce qu'une "tribu" nord – africaine . dans Maghreb , histoire et societé, alger ; SNED 1974 P 22-34.

[3] - Marty ,paul (1919) , l'émirat des trarzas , paris ; leroux.

[4] - Leriche ,Alberrt (1952) , Coutumes d'autrefois en Mouritanie IFAN . Tome XIV N°1.

[5] - Monteil , Vincent (1948). Notes sur les tekna , Paris , Larose.

[6]- حول القبيلة: ينظر خوليو كاروبروخا، دراسات صحراوية، ترجمة أحمد صابر، ط، 2015، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ص: 62.

[7]- هذا الاسم نجده لدى ايت اوسى كذلك، والجدير بالإشارة أن بعض النساء يحملن هذا الاسم في بعض الاحتفالات الطقوسية التي تجري في قصر أسا.

[8]- مجموعة وثائق خاصة بقبائل تكنة بحوزة الاستاذ رحال بوبريك: أنظر دراسات صحراوية: المجتمع و السلطة و الدين، دار أبي رقراق ط 2، 2008.

ISSN 2311-5181

هكذا، نلاحظ أن الفرد يذوب في الجماعة التي تمثلها القبيلة، وهذا واضح من الدور الذي تلعبه الجماعة " وأيت أربعين" داخل القبيلة سلطة عليا، وهو واضح في كل الوثائق الخاصة بقبائل الصحراء، فهي الساهرة على تطبيق العرف والتحكم في النزاعات، وتمثل رئاسة جماعية للقبيلة، فسلطتها تبدأ بشيخ القبيلة وتمر عبر العائلة لتصل إلى الفرد، فالجماعة تختار "مقدما" يرأسها، والمقدم يختار أفرادا من الجماعة هيئة تنفيذية، لمساعدته في تطبيق أوامر الجماعة و"أيت أربعين "، ولا يملك المقدم سلطة مطلقة على هؤلاء، لأنه يستمد سلطته منهم، فهو يختار سنويا، وللمحافظة على منصبه يراعي توافقهم، وقصد ضمان حمايتهن سنت أعراف زجرية ضد كل من يعتدي على حرمة المقدم المعنوية أو الجسدية.

في تناولنا لموضوع الزعامة القبلية، أثار انتباهنا ما أورده بعض الباحثين الذين زاروا المجال الصحراوي، وتناولوه بالتحليل مثل جورج بولاي Poulet Georges، الذي لاحظ أن بعض القبائل يوجد فيها زعيمان: الأول يحكم في زمن السلم، والثاني يأمر خلال الحرب1، ونجد هذه الملاحظة كذلك لدى باحث آخر هو إيثان ريشيRichet étienne[2].

لا مجال للقول إن القبلية يحكمها نظام الغاب وتعيش في اللانظام، أمام غياب سلطة مركزية مباشرة – وحتى بحضورها، فهي مؤسسة منظمة وقائمة على أسس اجتماعية وسياسية، وجهاز قضائي يراعي خصوصياتها وظروفها، ولم تكن القبيلة على المستوى الديني جامدة في تعاملها وتأويلها للنص الشرعي، بل خلقت ما يشبه القانون الوضعي الذي يتكيف مع ظروفها.

تتكفل الجماعة إضافة إلى دورها على الصعيد الداخلي، بتسيير شؤون القبيلة في علاقتها بالقبائل الأخرى: "وبعد اتفقت جماعة ايتوسا وجماعة يكوت مختلفتين في ملك أرض ريني ..."[3].وإذا كنا نلاحظ على المستوى الداخلي لإدارة القبيلة، أن الأمر يكون مفوضا كليا للجماعة، فإن هذه الأخيرة تفوض أحيانا أمورها الخارجية لسلطة فردية، ويظهر هذا خصوصا إذا كانت العلاقة الخارجية مع سلطة مركزية، كالمخزن أو بعد ذلك السلطة الاستعمارية.

مكونات المجتمع البيضاني.

عرف المجتمع الصحراوي بالإضافة إلى النظام القبلي، تصنيفا يقوم على أساس الدور الذي لعبه كل صنف في إطار هذا المجتمع، وهذه الفئات كالآتي:

- **أهل الزاويا** أو ما يسمى بالشرفاء من أهل العلم والصلاح والدين، ثم القضاء ويقال لهم أهل "الكتوب"، لهم سلطة دينية معنوية قاموا باحتكارها، حتى أصبح الدين ميزة طبيعية[4].

---

[1] - Poulet , Georges ,(1904) Préf . de M. Binger , les Maures de L'Afrique accidental française , Paris A : challamel .P14.

[2] - كان عضوا في الهيئة العليا الاستشارية للمستعمرات، في كتابة عن موريتانيا سنة 1920 قائلا: "عندما تشتعل الحرب بين القبائل، يتجه الرجال مشيا، وأما النساء و الأطفال والشيوخ يبقون في المخيمات لحراسة القطعان"، انظر .

- Richet , éteinne (1920) , La Mauritanie , Paris E'mile : larose .P : 109.

[3]- انظر رحال بوبريك، دراسات صحراوية، م.س، (وثائق ايت اوسى).

[4]- محمد بن باباه اليدالي ، حياته و أثاره، بيت الحكمة، قرطاج، 1990، ط 1، ص: 61.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

- حسان: وهم قبائل تكنة[1]، والمعروفين بمداومة الكفاح وحمل السلاح وحب الترف وهم أهل "المدافع". ويتألفون من "الترارزة والبراكنة وذوي منصور الذين منهم أولاد حيسن والأحلاف[2].

- اللحمة: وهم الفئة الدونية من المجتمع، ولا يشكلون قبيلة بحد ذاتها وإنما هم أتباع للطبقة السابقة، ويتكونون من الحراطين (العبيد)، والمعلمين (الصناع) ثم ايكاون،أي الفئة التي تقوم بدور الغناء والطرب، ويقومون بالتجول في البراري يمتدحون الأعيان تكسبا، ولازالت الظاهرة إلى الآن في الأفراح الصحراوية.

حل الخلافات بين أفراد المجتمع الصحراوي

لزمن طويل، اعتبرت المجتمعات القبلية مجتمعات "بدائية"، وتظل العلاقات بين أفرادها محددة بقواعد القرابة الدموية، فقد صنفت النظرية التطورية هذه المجتمعات، ضمن مراحل ما قبل الدولة، وهي مراحل اتسمت بهيمنة العلاقات القرابية، ولم ترق بعد إلى مستوى بناء علاقات سياسية، كتلك التي ميزت المجتمعات الدولاتية، حيث لعبت روابط المجال الترابي دورا أكثر أهمية من روابط القرابة[3].

كانت الجماعة تسهر على تنظيم الحياة الاجتماعية، من أدنى مستوى في القبيلة (العائلة) حتى أعلاها، أي الكونفدرالية، فالمجتمع كان يضبط علاقاته بواسطة اتفاقيات ونصوص وأعراف[4] بين مكوناته، على مختلف مستوياتها، وذلك لمحاربة الفوضى والسيبة، فالمجتمع القبلي لم يكن يعيش في جو من الغاب أو الفوضى والسلب والنهب، بل وضع قوانين شرعية وعرفية تنظم حياته، والعلاقات بين أفراده ومكوناته.

للقبيلة ضمان الاستقرار، أو المساهمة في إعادة إنتاج العنف بأشكال أخرى، فعندما يقتل فرد من قبيلة معينة آخر من قبيلة أخرى، يطلب من قبيلة القاتل تقديم الدية التي حددتها "الجماعة"، باعتبارها جهازا تشريعيا وقضائيا يسهر على تنفيذ بنود الأعراف القانونية، وتنظيم شؤون القبيلة والبث في كل أمورها، وتستمد "الجماعة" شرعيتها من المجموعة التي فوضت لها سلطة تدبير شؤونها، التي تتجاوز البعد القانوني العرفي إلى ما هو سياسي، باعتبارها سلطة تنظم شؤون القبيلة[5].

---

[1]- تكنة مصطلح امازيغي يقصد به "الزوجة الثانية"، ويبدو أن المصطلح ظهر أثناء التداخل بين العنصر العربي والامازيغي في المنطقة. للتوسع انظر.

- مصطفى ناعيمي، م.س، ص: 179.
- عبد العزيز بن عبد الله، المؤسسة المغربية للأعلام البشرية والحضارة، ملحق (1) 1976.

[2]- عبد الوهاب بن منصور، حفريات صحراوية مغربية، المطبعة الرسمية، 1998، ص: 15.

[3]- حول ذلك أنظر منظري المدرسة التطويرية أمثال لويس مورغان .

- Morgan.L ,H , Ancient Socity or resarches in the lines of human progress from sovager through barbarisn to civilisation, new york , holt , 1877.

- MorgomL.H.La société arhaique ,Anthropos , paris , 1971

[4]- حول تعريف العرف أنظر : ادريس العلوي العبدلاوي: "دور كل من العرف والعادة في انشاء القاعدة القانونية"، ضمن ندوة "العادات والتقاليد في المجتمع المغربي"، سلسلة ندوات، 7 نونبر 2007، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، ص: 173 وما يليها.

[5]- بوبريك رحال، زمن القبيلة : السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي ، الرباط ، دار أبي رقراق للطباعة و النشر 2012، ص: 19.

ISSN 2311-5181

الدية كعرف لحل الخلافات

تناول خوليو كاروبروخا الدية باعتبارها علاج الأمر بين المعنيين، غير أن ذلك يشترط مؤازرة عائلة أو فخد الفرد الذي يفترض أنه يقبل ذلك الحل، أي إنه إذا قدم الفرد "أ" عصابة إزاء "ب"، فإنه يستفيد من مؤازرة "ج" و"د"و"هـ"وكأنه منهم، ومن المطلوب أن تصادق الجماعة التي ينتمي إليها الفرد أو القبيلة، على ما تم الاتفاق عليه، فإذا تم ذلك يعسر إلغاء الاتفاق لاحقا[1].

تعد مسألة التحكيم والبث في النزاعات أهم وظائف "الجماعة"، ورغم ما عرفه المجال الصحراوي من تغيرات على مستوى بنياته السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكذلك الثقافية، إلا أن مؤسسة "الجماعة" لم تختف كليا، بل حافظت على بعض الجوانب من مهامها، فهي مازالت تقوم بالوظيفية التحكيمية داخل القبيلة وخارجها، وحتى في ظل وجود الدولة تظل النزاعات القبلية من مهام "الجماعة"، فعند حدوث صراعات بين أفراد القبيلة أو بين قبيلتين، تلجأ القبيلة إلى "الجماعة" من أجل الصلح، وتجنب صراعات أكبر، وغالبا ما يتحول صراع الأفراد داخل المجتمع الصحراوي، إلى صراع جماعي، وهذا يعني أن النزاعات في هذا المجتمع، محكومة بروابط العصبية القبلية.

تسفر هذه الروابط المذكورة، عن إنتاج صراعات قبلية بقواعد خاصة (هنا تستحضر القبيلة) مبنية على ثنائية العنف من جهة، وتدبيره ضمن قواعد خاصة من جهة ثانية في المجتمعات الرعوية عموما، وهذا حسب الأعراف التي تضعها "الجماعة"، فالأعراف تستمد أحكامها من "الجماعة" التي تضعها بغية الفصل في النزاعات، وهي التي تسهر على تنفيذها، وتلجأ في الغالب إلى اعتماد الضغط المادي وسيلة لاستمرار وظيفة التحكيم الجماعي القائم على العرف، واتخاذ تدابير ضد كل من يخالف أعراف القبيلة. لهذا، فإن "أغلب النزاعات الناتجة عن عمل العنف، بما فيها القتل، تسوى حسب إجراءات في مجموعة القبائل في القضاء العربي الإسلامي، فإن الدية ودفعها يتجاوزان إطار القانون الجنائي، لتشارك فيه المتضامنات الجماعية (العصبيات)"[2].

تعتبر الدية -حسب بونت - إجراء مبنيا على العنف، والهدف منه تحديد الهويات الذكورية العصبية، كما أن دفع هذه الدية يعبئ مجموعات واسعة، حتى إن عددا من القبائل قد تتضامن بشكل تعاقدي لدفعها، أو تسليمها، وهي تختلف حسب الجنس: فالدية بالنسبة لقتل رجل، تساوي ضعف دية قتل امرأة، وتنقص هذه الدية إذا تعلق الأمر بقتل خادم"[3]، ويبدو أن هذه الأعراف متواجدة في جميع قبائل البيضان.

تفرض هذه العادة تكتل القبيلة لتسديدها، فهي تمثل بعدا أساسيا في تحديد التضامن الاجتماعي (العصبي)، حيث تقتضي مشاركة كامل أفراد القبيلة، لتسديد الدية المستحقة على أحد أفرادها.

نستنتج مما سبق، أن الدية بمثابة آلية تنظيمية بيد "الجماعة"، للحد من الفتن بين القبائل، وحقن الدماء، وهي عادة متوارثة أبا عن جد، وما تفرضه "الجماعة " مفروض على الكل كبيرا وصغيرا، والذي لا يؤديها يعتبر خارجا عن الجماعة.

---

[1]- خوليو كاروبروخا، م .س، ص: 68.

[2]- بونت بيير: إمارة أدرار الموريتانيا، ترجمة محمد بن بوعليبه بن الغراب، نواكشوط، دار النشر جسور ، 2012، ص: 353.

[3]- نفسه، ص: 354.

ISSN 2311-5181

تسدد الدية حسب التراتبية الموجودة في القبيلة، فالأعيان تكون لهم الحصة الكبرى، لمكانتهم داخل القبيلة، وما تبقى تؤديه باقي الفئات، ولا يكون التضامن فقط في أداء الدية بل حتى في المناسبات، ويؤديها الكل باستثناء الفئات الضعيفة، وداخل القبيلة تقسم الأدوار، فهناك مجموعة تسدد الدية، ومجموعة أخرى تتكفل بالتعركيبة[1]، هذه الأخيرة تتضمن النحيرة (الإبل) والسكر.

هذا النوع من الأعراف بمثابة سلطة سياسية تلازم كل مجتمع، لحثها على احترام القواعد داخل المجتمع: "فالسلطة هي قدرة التأثير فعليا على الأشخاص والأشياء، مستعينة بسلسلة من الوسائل التي تمتد من الاقتناع حتى الإكراه، فهي مقولة خاصة للعلاقات الاجتماعية"[2].

تستحضر القبائل فيما بينها، فترات الصراع في الماضي أو ما يصطلح عليه بالحسانية (غزي)[3]، ورغم غياب الوثائق الدالة على هذه الوقائع، إلا أن الذاكرة الجماعية تحتفظ بتاريخ هذه الحوادث بتفاصيلها، وتعمل أيضا على توريثها، لهذا ينتفي الحديث في المجتمع الصحراوي عن الصراعات الفردية، لأن القبيلة حاضرة في كل ما يرتبط بالمجتمع، وتمدنا الرواية الشفوية بوقائع تظهر هذه العلاقة، بين الفردي والمجتمعي من خلال صراعات بدأت بما هو فردي، وانتهت على شكل صراعات قبلية.

المجتمع الصحراوي والمحافظة على تر اثه

التراث الصحراوي يحتاج إلى الكثير من البحث والتنقيب، للكشف عنه في صورته المتكاملة، ويحتاج بعد ذلك إلى مزيد من الدراسة والتحليل، انطلاقا من عنصر التواصل الذي ربطه بالحركة الثقافية، في مختلف الأقاليم المغربية، بل إن من اللامعقول أن تكون الأسبقية لموضوع غير الصحراء[4].

إن منطقتنا هاته مازالت تحمل إلى وقتنا الحالي ذاكرة تلك المجموعات، ولا زالت تلعب دورا هاما طيلة قرون منذ وصول القبائل القادمة من كل الآفاق، منجذبة بالمراعي وطرق التجارة الصحراوية المزدهرة، فهذه القوافل لم تكن تحمل مجرد البضائع، بلأيضا الأفكار والمعتقدات وتقاليد البلدان التي مرت منها، وهو ما مكن الصحراء من لعب دور الوسيط بين شمال إفريقيا وأوروبا من جهة، والصحراء الكبرى وإفريقيا من جهة ثانية.

لقد أصبح التاريخ مرتبطا في العقود الأخيرة، بمسألة الذاكرة التي أصبحت تفرض نفسها على الباحثين، في ظل مجتمع يهيمن فيه الشفهي على رواية تاريخيه مثل المجتمع الصحراوي، خصوصا أن الذاكرة معرضة للنسيان، مما يحتم صيانتها

---

[1]- التعركيبة: هي نحر الناقة، ودلالتها أعظم من الذبيحة (نحر رأس ماعز).

- فالدبائح تقدم للتعويض عن صفعة أو ضربة تترك أثر في الجسم أو طلقة نارية دون مخلفات أو السرقة.

- التعركيبة: تقدم للتعويض عن جرح بالسلاح الأبيض، أو جرح بإطلاق النار.

[2]- بونت بيير، م، س، ص: 353.

[3]- غزي أوغزيان، ويقصد به جماعة مسلحة من الناس كانت في زمن ما يسمى بالسيبة، تقوم بالإغارة على لفريك أو القبيلة، وهو سلوك مبني على العنف في المجتمع البيضاني، وقد ساد في مرحلة ما قبل حضور الدولة، وانتهى مع دخول المستعمر الاسباني.

[4]- عباس الجراري، ثقافة الصحراء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1978، ص: 61.

ISSN 2311-5181

والمحافظة عليها بوسائل علمية ومهنية، سواء في صيغتها المتعمدة أم الفردية، خصوصا فيما يتعلق بمكونه الطبيعي الذي يعتبر عنصرا قائما بذاته، في الموروث الصحراوي.

أ - الرعي والترحال كنمط للعيش

على امتداد الزمن، كانت الصحراء تعيش تكاملا بين مكوناتها الاجتماعية والمجالية، ولم تستطع التحولات المتعاقبة أن تفسد العلاقة بين ساكنتها ومجالهم، بل كانت ذات استمرارية وديمومة، فعملت على تكييف نمط عيش الإنسان الصحراوي مع ظروف هذا الوسط، معتمدة على حلول غالبا ما كانت تعكس قدراته وذكاءه.

أنتج الإنسان الصحراوي نمط عيشه مما وفره له مجاله، فصراعه مع الطبيعة القاسي جعله يجند قواه ومقوماته، ويتخذ قرارات حاسمة وسريعة مع حذر مستمر[1]، فنمط عيش الإنسان الصحراوي يعتمد على الترحال، ويعد الرعي أهم نشاط اقتصادي لأهل الصحراء، مع وجود بعض الزراعات في مناطق متفرقة (كرايرالسويحل[2]، الكعدة[3] ...). كما نجد الصيد البحري[4]، والنشاط التجاري، فالمجال الجغرافي فرض على الجماعات البشرية ضرورة التفاعل معه، للحصول على مصادر عيشها وماشيتها، وهذا الأمر عكسته أغلبية النصوص التي أوردتها كتب المسالك والممالك[5].

معلوم أن الإنسان يعمل على تنظيم المجال وتغييره، لكن هذا الأخير بالمقابل يؤثر بدوره يؤثر في الإنسان وفي أشكال حياته، ومن هنا يأتي دور الفرد والمجتمع، في الحفاظ على تطور المجتمع، وتغيير أساليبه وتقنياته، وتتكون شعوب المنطقة الصحراوية من مربي المواشي والرحل، ويسعف تكامل تلك العناصر على تنشيط الحياة الاجتماعية والاقتصادية، ولا يسمح لنا المقام بالتطرق إلى كل ذلك، غير أن من الواجب إحالة القارئ على الكتابات القديمة التي اهتمت بتاريخ المنطقة، منذ القدم ك"تاريخ السودان"، أو تاريخ الفتاش[6].

يشكل الرعي مجالا واسعا، بحكم طبيعة نمط عيش السكان المتميز بالقلة وشظف العيش، خصوصا أمام سنوات الجفاف والأوبئة، وهذا كلهذو أثر على العلاقة بين الرحل والمستقرين، مما يفسر عدم استقرار بنية الصحراء البشرية، التي يرجع تشكلها إلى عدة عوامل تاريخية وإيكولوجية تعمل عادة بصفة خفية لا واعية، حتى تدخل نطاق "الثابت والساكن"[7].

كانت الغالبية العظمى من سكان الصحراء، تكرس نفسها للأنشطة الرعوية وتشترك في نمط عيش الترحال، فالظروف المناخية خارج وادي نون ووادي درعة، تفرض نمط عيش الأولوية فيه للرعي والترحال، والذي هيمن على حوض الساقية

---

[1] -goudio , Attilio , les population du saharaaccidental histoire vie et cuture , ED : karthala 1993, p : 251.

[2]- توجد بمنطقة وادي الذهب بالقرب من الساحل، كانت تعرف نشاطا زراعيا يتمثل في الشعير بشكل أساسي، اليوم تستغل من طرف شركات فلاحية في إنتاج الخضر والفواكه.

[3]- منطقة واسعة صالحة للزراعة قرب الساحل في ناحية مدينة بوجدور حاليا، كانت تحرث من طرف قبائل الصحراء في موسم الأمطار.

[4]- كانت تمتهنه إيمراكن بالشواطئ الساحلية للصحراء وموريتانيا.

[5]- انظر ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، بيروت 1979، ص: 83.

[6]- السعدي، عبد الرحمان، تاريخ السودان، تحقيق وترجمه للفرنسية، هوداس – بونوة، طبعة باريس: 1981.

- كعت، محمود، تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار والجيوش وأكابر الناس، تعليق وتقديم حماه الله ولد السالم عن دار الكتب العلمية، ط 2012.

[7]- ابن محمد قسطاني: الواحات المغربية قبل الاستعمار، غريس نموذجا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2005، ص: 138.

ISSN 2311-5181

الحمراء ووادي الذهب، غير أن فترات الجفاف كانت تفرض تنقلات جماعية، وهذه المناطق الصحراوية تقدم أفضل مراعي الإبل في الغرب الصحراوي، وهي مراعي تيرس الملائمة لتنمية اقتصاد رعوي إبلي مزدهر، من أجل توفير الغذاء للمعيشة اليومية (الألبان واللحوم)، ويشير أحد الباحثين إلى أن الأهمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في هذا السياق الغربي الصحراوي للجمل، ذلك الحيوان الشهير ذي الوظائف المتعددة، الذي يشكل بالنسبة للبدو دعامة للتمثيل الاجتماعي، والرمزي والكوني والانفعال الشاعري[1].

هذا، وتقوم الأنظمة الرعوية في المناطق الصحراوية في الغالب، على تنقل الحيوانات وترحال الناس مندمجة، في شكل من أشكال التكيف مع المحيط وتدبير الموارد المتاحة. ولهذا، فإن نوعا من الحيوانات المدجنة داخل هذا الفضاء، وثيق الصلة بقدرته على الصمود أمام المخاطر البيئية وبقوته، فالمطلوب من الحيوان الذي يعيش في الأرياف، أن لا يكون قادرا على البقاء والعيش في وسط مناخي قاس فحسب، بل وأيضا أن يكون قادرا على التوالد و الإنتاج[2].

إذا، يمكن القول إن هذه الظروف القاسية أثرت على نمط عيش القبائل وأنشطتها الاقتصادية، فقد خلص جوردن است إلى أن الجغرافيا توجه التاريخ، لأن الإرادة البشرية والسياسية تكون على الدوام وراء عمليات تنظيم المجالات الحيوية، القائمة على إرث تاريخي[3].

لقد كان الرحل يعيشون في شكل جماعات (أسر)، والأسرة تعتبر نواة المجتمع الصحراوي، وهذا لا يعود إلى الرابط الدموي فقط، وإنما كذلك إلى كونها وحدة إنتاجية واقتصادية واجتماعية، رابطها يقوم على التكامل العضوي ووحدة الملكية والإنتاج والدفاع عن مصالحها المشتركة، ويكون فيها لكبير السن الرأي السديد المتعلق بالشؤون الداخلية لها، من حل الخلافات والزواج والعقيقة وغيرها، وفي حالة غياب الأب أو مماته، يكون للولد الأكبر السلطة العليا في الأسرة، حيث تأخذ السلطة شكلا هرميا من الأكبر إلى الأصغر، غير أن الأسرة في السنوات الأخيرة عرفت تحولا ملموسا، طرأ على بنيتها الداخلية إذ أصبح كل فرد يطمح إلى تحقيق ذاته، ويسعى إلى الاستقلالية عنها، وقد أدى هذا الطموح إلى التضارب على المصالح، والذي يعتبر النزاع حول الأرض ومصادر الماء أحد أشكاله الكبرى. لذلك، بدأ الفرد شيئا فشيئا يفرز ممتلكاته التي حققها بمعزل عن ملك الأسرة الجماعي، فعرفت سلطة الأكبر سنا بعضا من الخلل، بعد أن أصبحت خبرته غير ملائمة للمواقف الجديدة[4].

إضافة إلى ذلك، فاختلاف الأدوار والأهداف الخاصة والوظائف التي أصبح يتميز بها الأبناء تكوينا وتربية عن أبيهم، ساهمت في خلق صراع قوي وخفي أحيانا فيما بينهم، وزعزعت بالتالي قيم العلاقات الاجتماعية التي سادت بين عناصر الأسر

---

[1] -Hubert, B (dir) , la rusticité , l'animal , la race , la systéme d'élevage – Paestum hors série , Association française de pastoralisme , Agropolis International , Cordére éditeur , Montpellier , 2011.

[2]- Ibid.

[3]- جوردن است: الجغرافيا توجه التاريخ، ترجمة: جمال الدين الدناصوري، دار الحديث، بيروت 1982، ص: 173.

[4]- محمد علي محمد: الشباب العربي و التغير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت 1985، ص: 59.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

الصحراوية لمدة طويلة، وقد يكون هذا التغيير نتيجة لانتشار عوامل ثقافية من ثقافة أخرى[1].إذا، فالمجتمع الصحراوي بدأ يعرف نمط حياة جديدة ومغايرة، بانقسامه إلى أسرة مستقلة بعدما كان كل شيء مشتركا من قبل.

ومجمل القول، إن الأسرة الصحراوية لم تعد تلك البنية الاجتماعية التي تعطي الاستمرارية لمجمل العادات والتقاليد، لأن وتيرة التغيير مستمرة لانتشار المؤسسات العصرية العامة والخاصة، من تعليم ومستشفيات ووسائل الإعلام وغيرها، الشيء الذي خلخل العلاقات بين مختلف عناصرها.

ب – الخيمة:

مما يثير الإعجاب هو ذلك التطابق التام الذي نجده بين نظام الترحال وتربية الإبل والماعز، وكذا شكل سكن الرعاة (الخيمة)، بل والأمتعة المستعملة فيها مادة ثقافية ذات روابط واضحة، وتعتبر الخيمة الصحراوية عاملا حضاريا وموروثا ثقافيا واجتماعيا، ونفسيا عريقا ضاربا في جذور التاريخ، فهي من أبرز المقومات التي أسهمت في تذليل الصعاب أمام الإنسان الصحراوي، في علاقته مع الطبيعة القاسية في إطار ترحاله وتنقله، بحثا عن الكلأ لماشيته.

لاشك أن الخيمة تعد عاملا مشتركا بين الكثير من الشعوب والثقافات، إلا أن لها خصوصية ورمزية معينة لدى الصحراويين، فالخيمة عند الإنسان الصحراوي عنوان للأنس والدفئ الأسري والقبلي، وهي عنوان للكرم والجود، وهي عنوان للحرية والأصالة واحتضان الطبيعة، وهي أول خلية ووحدة يمكن مصادفتها لدى المجتمع الصحراوي، فهي لا تعتبر فقط وحدة مجالية مكانية، بل تأخذ بعدها ضمن إطار مجموعة من العلاقات التي تجمع عدة أفراد داخل أسرة واحدة، فيقول الإنسان الصحراوي: "خيمة فلان"، بمعنى عائلة فلان، وإذا قيل "استخيم فلان" بمعنى تزوج.

الخيمة هنا، هي مجموعة العلاقات الملموسة في إطار الأسرة، وهي اسم مستعار من المسكن الذي يصنعه الإنسان الصحراوي، من وبر الإبل وشعر الأغنام بطريقة تقليدية، وعلى شكل شرائط تسمى محليا "افليج"، وتتكون من سبعة إلى عشرة أشرطة يتم جمعها وخياطتها، بواسطة إبرة كبيرة "مخيط"، في حين إن إبرة أصغر تدعى "مفتاحة" تستعمل لأغراض أخرى، ونسج كل وحدة فليج قد يتطلب فترة من الزمن، ويتم تغييرها كلما تعرضت للتآكل، جراء حرارة الشمس ورطوبة الليالي.

ترفع الخيمة بواسطة عمودين "اركايز"، يوضعان على شكل معاكس (A)، ويشد هذين العمودين بعضهما مع بعض حبل يسمى "الحمارة"، ويتم تثبيت الخيمة مع الأرض بواسطة أوتار تسمى "اخوالف"، ويتم إحاطتها بشكل دائري بواسطة شريط "الكفى"، كما يتم تقسيم الخيمة إلى قسمين بواسطة "البنية"، قسم خاص بالرجال، وقسم خاص بالنساء، وقد جرت العادة على فتح باب الخيمة على جهة الجنوب "الكيلة"[2]، وخياطة الخيمة تكون من مهمة النساء الصحراويات.

---

[1]- محمد نجيب النحيجي: الأسس الاجتماعية للتربية، دار القلم، الكويت، ط 1973، ص: 239/237.

[2]- الكبلة : مفهوم له دلالة جغرافية وفي نفس الوقت له محاميل اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية، وهو أيضا مفهوم حضاري، فهو يطلق على منطقة يحدها المحيط الأطلسي غربا و نهر السينغال جنوبا وأفطوط الشرقي شرقا،وأما حدودها شمالا فيتعذر تحديدها، لاطراد ظاهرة التصحر واضطراب العوامل الطبيعية.

ISSN 2311-5181

يطلق على مجموعة من الخيام اسم "الفريك"، والمجال المتواجدة عليه يسمى "منزلة"، وتكون متجاورة فيما بينها، وبهذا لا تكون الخيمة وحدة للاستقرار المادي فحسب، وإنما تجسد إطارا قويا للعلاقات الاجتماعية والعائلية.

في "الفريك" تتوفر شروط الإنتاج جميعها، مثل القطيع والرعاة وخيمة الصانع "المعلم"، كما يحتوي على خيمة الفقيه، ومكان تأدية الصلاة "امصلا"، ويطلق على أهل لفريك "اسم جيران"، أيا كانت علاقة القرابة التي تربط بينهم، وهو تجسيد للتضامن الذي لازال الى يومنا هذا موجودا.

عرفت الخيمة في وقتنا الراهن تراجعا كبيرا، بسبب انتشار التمدن وميل الناس إلى الاستقرار، فتم استبدال الخيمة بالمنازل، إلا أن الناس لازالوا يحتفظون بالخيام للاستجمام، أو للخروج إلى البادية خاصة في فصل الربيع والصيف، كما أن الخيمة أصبحت رمزا للنضال والمطالبة بالحقوق لدى الصحراويين.

الموروث الشفوي

أ - الشعر الحساني

إذا نظرنا إلى الثقافة في إطار تفاعلها مع الزمن والمكان، والفرد المنتج والعقل المنظم لأشيائها، فإن جزئيات الثقافة تتحول في صيرورة التفاعل بين عناصرها، إلى نظام فكري يمكن فهم معطياته في إطار نسقها الداخلي، وفي حدود إمكانات إنتاجها الظاهر والخفي، فأشياء الثقافة الظاهرة تخفي دلالات عامة على فعالية الإنسان والمحيط، فقساوة الظروف الطبيعية وسيادة حياة الترحال، عوامل جعلت الإنتاج الشعري لهذا المجال مرآة تعكس الإنسان والتاريخ والطبيعة.

يمثل الشعر الحساني الانفعالات الناظمة لسلوك الجماعة، في حالة إحساسها بالتحدي، فآلية السجال هنا تعد ضامن وجود وتميز، إنه تراث يعكس طبيعة ذهنية معينة، وفي الوقت نفسه يعد محركا أساسا لكثير من الانفعالات المتولدة اجتماعيا، ومن حيث هو متضمن لمجموعة من القيم المنبوذة في المجتمع، وأسباب وقواعد الحمية ودواعي العصبية.

تظهر أهمية هذا الموروث الشفهي الشعبي جزءا من الذاكرة المحلية، بل يعد أهم المرويات الشفهية بالمنطقة لكثرته ولشوعه عند جميع القبائل، وحضوره في الحياة اليومية للناس، فهو سجل ذكريات يعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية، وأنماط العلاقات بالمكان.

يعد الشعر الصحراوي وثيقة تاريخية لمعرفة جوانب من التاريخ الاجتماعي والسياسي والثقافي بالمنطقة، وبالتالي فإننا بصدد تراث شفهي غني، يستدعي العناية به تدوينا وصيانة وحماية وتثمينا، لاسيما الشعر الشعبي الأكثر انتشارا أو ثراء وتداولا واستمرارية، وقد منح الشعراء الحسانيون أهمية قصوى للماضي موطن ذاكرتهم الاجتماعية، وملهم خيالهم أمام سرعة تحولات الحاضر على مستوى المجال والسلوك والقيم، فهؤلاء ورثوا طقوس الشعر الفطري الخالص تنظيرا وممارسة، فجاء شعرهم متراوحا بين الثابت والمتحول، في انسجام بديع يدل على ملكة وذوق رفيعين، حتى إذا أدخلوا ثقافتهم المكتسبة فيه، فإنها تنصهر فلا تكاد تبين إلا للناقد المتمرس[1].

[1]- محمد بلاجي، المكونات الثقافية للصحراء المغربية، جماعة من الباحثين، منشورات رابطة أدباء المغرب، ط 2001، ص:29

ISSN 2311-5181

للشاعر الصحراوي تجربة شعرية ذات وعي بهذا الفن، في علاقته بالفنون الأخرى كقوله:

وكل فن له أهل به عرفوا **** والكل من فنه يجري على سنن[1]

هذا، ويعد الشعر هو أداة تنصهر فيها عدة فنون، مثل الغناء والرقص.

لو كنت أحسن من شدو شدوت إذا **** أو كنت ذا رقص طفقت في الرقص[2].

وجاء عند أحمد الهيبة[3].

وتناشد الأشعار من أربابها**** وتدندن النغمات في المزمار

وضروب من الغناء وشعر **** وصموت من الدملوج والخلخال

للشعر وظيفة نفسية، لأنه يؤثر في سلوك الأفراد والجماعات، فيحول السلب إلى إيجاب[4]، ونلمس دور الشاعر في مسايرة كل ما هو جديد من علوم ومخترعات، مضيفا ذلك إلى الموضوعات التقليدية. فمربيه ربه يقول عن الطائرة:

تطايرت آلة بالريح محكمة **** كما تطاير جند الطير بالروح

والكل من خالق الأكوان حرك من **** مجراه بالروح أو مجراه بالريح[5]

يصطلح على هذا الضرب من الشعر، محليا "لغن" وهو متأثر إلى حد بعيد بالشعر الفصيح، لا في مضامينه وحدها فحسب، بل في صوره وأعراضه، ولا يجوز لنا ذلك القول إنه استنساخ للشعر العربي الفصيح، بل إنه ذو خصوصية وأصالة مقدسة، فله أوزانه وتفعيلاته وأغراضه ومعانيه وبلاغته[6]... إلى غير ذلك من هذه الخصائص، والعلاقة بينه وبين الشعر العربي علاقة تلاحم وتناص وتناغم، وهي التي تقودنا إلى التشبيه بين الأدب الحساني والأمازيغي من حيث الترابط والتواصل بين المنطقتين.

يسمى البيت الشعري في لغن "تافلويت"، وهو قصير عن البيت الشعري الفصيح، كما أن لغن يختلف عن الشعر في القافية، وهو ما يسمى بـ"الكاف" وهو الشكل الأكثر شيوعا من لغن، والكاف عامة يتكون من أربعة تيفلواتن، وقليلا ما نجد كاف يتكون من ستة تيفلواتن، ويدعى كاف مستت.

---

[1]- شعر الشيخ محمد الإمام – جمع وتحقيق ودراسة – العالية ماء العينين – رسالة مرقونة بكلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء السنة الجامعية، 1998-1999، ص: 317.

[2]- نفسه، ص: 205.

[3]- ديوان الشيخ احمد الهيبة – جمع وتحقيق محمد الظريف، دار المعارف الجديدة، ط1، 1998، ص: 127-190.

[4]- أنظر مثلا ديوان الشيخ احمد الهيبة ، م، س ، ص: 103 (في مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم).

[5]- نماذج من أشعار الشيخ مربيه ربه – ضمن أعمال الموسم الثقافي للشيخ مربيه ربه تحت عنوان (جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية)، مطبعة المعارف الجديدة بالرباط ، ط1 ، 1997، ص: 154. أنظر كذلك شعر محمد الإمام، م، س، ص: 82-84.

[6]- ادريس نقوري: بناء الخطاب الشعري الحساني، ضمن ندوة مدينة السمارة، عاصمة الصحراء العلمية والروحية منشورات كلية الآداب وع.إ . أكادير، ط 2000، ص: 211.

ISSN 2311-5181

ليس الشعر فنا يستمد مقوماته من فنون أخرى، ويتميز عنها بخصائصه الذاتية فحسب، ولكنه علم بل مجموعة علوم تعالج مكوناته وعناصره من وزن وقافية ولفظ ومعنى[1]. لذلك، تتعدد مواضيع الشعر الحساني بتعدد ظواهر الواقع المعيش، وتختلف تصويراتها باختلاف المواضيع المطروحة.

لقد أبدعت في الشعر، كل الفئات الاجتماعية العليا والدنيا داخل التراتبية الاجتماعية التقليدية بالمنطقة الصحراوية، فهذا "لغن" ضمنه الشعراء الحسانيون ملاحم قبائلهم وحروبهم، ثم مقاومتهم للعدو الخارجي المتمثل في الاستعمار الأوروبي.

يدعى الواحد من الشعراء المغنين " أنشاد"، كما يطلق على غناء هؤلاء مصطلح " لبياظ" وهي طريقة أقرب إلى الإنشاد العربي والبربري، وتتميز بالهدوء كما تخلوا من الرجات الصوتية العنيفة، ويجري الإنشاد بمصاحبة آلة وترية تدعى "الأردين"،وتسوى أوتارها على طبقة منخفضة.

نلاحظ في هذا الموروث الصحراوي "لغن"، مدى الارتباط ما بين الإنسان والكلام، فهو كما يقول هامباتيبا(Hampâté Ba) "أي الإنسان كلامه، وكلامه شاهد على من هو"[2]. وفي هذا الإطار، خرج هذا الباحث الإفريقي الشهير، إلى أن من أراد النفاذ إلى تاريخ ونفسية الشعوب الإفريقية، لابد له من الاعتماد على المعارف المنقولة شفهيا من جيل إلى آخر عبر الزمن، وهو ما يسميه سدنة هذا التراث الشفهي ب" الذاكرة الحية الإفريقية"[3]، والثقافة الحسانية لا تشذ عن هذه القاعدة، والمثال الحساني يقول : " كتر أكلامك اتعودولي " أو " الكلام الزين إخلص الدين"[4]، ويضرب هذا المثل لرد الغرماء بأحسن القول مثل الاعتذار وتهذيب العبارة، لذلك كان قول "لغن" وحكايته من خصال الفتوة والحضور في الملأ.

لقد أصبح حماية هذا النوع من التراث ضرورة ملحة، لرحيل حافظي الشعر الحساني ورواته، كما أن الموروث الشفهي أصبح مهددا بصفة عامة، بفعل وسائل الإعلام الحديثة، والتحول السريع الذي يشهده المجتمع الصحراوي في العقود الأخيرة، كما قال عالم الاجتماع الفرنسي جورج بالانديGeorges Balandier "إن الأفراد أصبحوا يهتمون اليوم، بما هو قريب منهم وبمصالحهم الخاصة، ولا يتجاوز اهتمامهم إطار حياتهم الفردية5، لذلك وجب العودة إلى المرويات الشفهية التي تعتبر ركيزة من ركائز التراث الصحراوي[6].

ب - الكدرة

رقصة الكدرة تقليد يعبر عن الهوية الثقافية والاجتماعية للصحراء المغربية،ومن خلالها يتجسد دور الفرد داخل الجماعة، ويعتقد الدارسون الذين تناولوا بالبحث موضوع "الكدرة"، أنها من وسائل الطرب النادرة في الصحراء المغربية، بل

---

[1]- أجمع كثير من النقاد على أن الشعر بناء، منهم ابن سلام وابن قتيبة وقدامة وابن رشيق، راجع طبقات فحول الشعر، والعمدة.

[2] -Hampâté Ba , A . "La tradition vivante" , in Histoire générale de l'Afrique Unesco ,Vol I , Méthodologie et préhistoire africaine , ed ; J.KI- Zérbo 1980, P : 192.

[3]-Idib : p : 191

[4]- مثل حساني.

[5]-Balandier , G , "essaid'identification du quatidien " in , cahiers internationaux de sociologie , vol LXXIV , paris 1983 , p : 8.

[6]- محمد دحمان: حماية الثقافة الشفهية الحسانية، ندوة التراث الصحراوي التاريخ والذاكرة، م. س، ص: 266.

ISSN 2311-5181

ذهبوا إلى القول إنه لا يعرف في الصحراء من صنوف الرقص المغربية غيرها، بالرغم من تعدد التقاليد والعبادات الشعبية والاحتفالية التي تقام في مناسبات الولادة و العقيقة والختان والزواج ... وغيرها، والتي يطلق عليها اسم "المعروف"[1].

تبدأ هذه الرقصة بتشكل مجموعة من الرجال لحلقة دائرية مغلقة، يتوسط هذه الحلقة رجل يسمى "النكار"[2]، ومهمته الضرب على "الكدرة" بواسطة قضيبين، حتى يتم إحداث الإيقاع المطلوب، كما أن دوره يكمن في توجيه الممارسين وإثارة انتباههم، إلى الخلل الذي قد يقع في عملية الإنشاد، إضافة إلى كونه هو الذي يبادر بعملية إرسال "الحمايات"[3] التي يتم إنشادها.

بعد أن يتم تشكيل حلقة الرقص، يبدأ "النكار" في الضرب على "الكدرة" ضربا خاصا، وعلى هذا الإيقاع يبدأ باقي أفراد الجوقة في التصفيق الذي يستمر إلى نهاية الجولة، في تواز مع الإيقاع الذي يحدثه الضرب على "الكدرة".

وأما طبيعة الرقص، فتضطلع به امرأة تتوسط حلقة الدائرة التي يكون حولها المعجبون والمشجعون سواء كانوا رجالا أم نساء، فالراقصة تجثو على ركبتيها وهي مغطاة برداء أسود على كامل جسدها، ثم تشرع في تحريك أصبعها وذراعيها، وهي تتمايل برأسها تارة يمينا وثارة يسارا، ولهذه الحركات إيحاءات لا يعرفها إلا المهتم بهذا النوع من الفنون[4]، ويرافق الغناء الرقصة منذ بدايتها إلى نهايتها، وتنتهي الرقصة على وقع مقاطع صوتية سريعة تنطلق مدوية في الفضاء، كأنها الصراخ[5].

رقصة الكدرة تستمد تسميتها من الإناء المسمى "الكدرة"، والذي هو الأداة الموسيقية الوحيدة في الرقص، وهو عبارة عن جرة من الطين أو الخشب، تغلق فوهتها بالجلد لتصبح قابلة لإحداث إيقاع موسيقي، في حالة الضرب عليها، وهذه الأداة الموسيقية في الأصل إناء للطبخ يتم تحويله من وظيفة الطبخ، إلى وظيفة الموسيقى، وتنتشر هذه الرقصة بين سكان منطقة واسعة تمتد من الحمادة شرقا، عبر أقاليم درعة وزمور إلى الساقية الحمراء، وتكاد تكون في واقعها اليوم من خصوصيات مدينة كلميم.

---

[1]- محمد أحمد باهي، مجلة الفنون، السنة الأولى، ع 9 و10، رجب شعبان 1314/ يوليوز – غشت 1974، ص: 69، 72، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، "من عرب معقل بالواحات الصحراوية".

[2]-"النكار" تضمن هذه الكلمة في دلالاتها معنى "النقر" في اللغة العربية. و" النكار" هو الشخص الذي يضرب على "الكدرة " المحكمة بالجلد من أجل إحداث الصوت الموسيقي المطلوب.

[3]- الحماية (بفتح الحاء وتشديد الميم) هي تلك الجمل الموزونة، تحمل معنى معينا ومقسمة إلى قسمين: ينشد قسم من الجوقة شطرها الأول وينشد القسم الأخر شطرها الثاني.

[4]- الطالب بويا العتيك، بعض تجليات العادات والتقاليد لدى ساكنة الصحراء المغربية، ضمن ندوة المكونات الثقافية للصحراء المغربية، منشورات رابطة أدباء المغرب، ط 1، 2001 مطبعة المغاربة الجديدة الرباط، ص: 133.

[5]- محمد أحمد باهي، م، س، ص: 71. أنظر كذلك:

- Jackson an account off the Empire off Morocco and the district of suse , london 1809 p : 159.

ISSN 2311-5181

عادات أهل الصحراء

أ - المفاهيم والأدوات

للثقافة عدد من المفاهيم المتداولة، فقد تفيد الآداب والفنون، كما قد تعني التراث الشعبي، إلا أن هذه المفاهيم تبقى محددة، ولا تنطبق على حدود ما يمكن أن نسميه بالثقافة، فهي مفهوما واسعا عملية فكرية تعبر عن شعور وإدراك جوانب متعددة، من الأحوال المادية والسلوكية والفكرية والمتفاعلة، بمقادير متباينة لنسبة مكوناتها وقوة تفاعلها.

ونظرا لأهمية المفاهيم في الثقافة الصحراوية، عمد الإنسان الصحراوي إلى تحميلها بمضامين ثقافته وقيمه، وفي رسم معالم الذاكرة الجماعية، كما يمكن اعتبارها أداة ثمينة في ضبط الهوية الفردية والاجتماعية، سواء في لحظتها الآنية أم عبر أطوار الحياة المتعاقبة، واتخاذها أحيانا أخرى مطية لإثبات الانتماء – ولور مزيا – لحضارته.

يزخر التراث الصحراوي بمفاهيم ذات شحنة ثقافية واجتماعية متنوعة، فعادة ما تستعمل مفاهيم من قبيل "أهل الساحل" أو أهل "الشرك"، كناية عن أولئك الذين يعيشون متنقلين بين منطقة وأخرى: فـ "أهل الساحل " اسم يستعمل للدلالة على كل أولئك الذين يسكنون في إفريقيا الغربية (الساحل الأطلسي).

- وادرا، تعني وادي درعة.

- "لكعدا" (الكعدة): وهي هضبة توجد على طول الضفة الشمالية للساكية الحمراء، من الجانب السفلي للوادي، ويطلق عليها اسم "ساكية لتحت"، وذلك قصد تمييزها عن الجانب العلوي الذي يدعى "ساكية لفوك".

- لحمادا، (الحمادة): هي هضبة كبيرة شرق الجزء الشمالي، وتصل حتى خط الطول لتندوف.

- تيرس: وهو المجال الأحسن منظرا في الصحراء حسب الرحل، وهو الذي حضي أكثر بتغني الشعراء ومدحهم.

- الرحل، أو "أهل رحالة" أو "رحالة": وهم مربو الماشية والإبل.

- الغنم: أي أنثى الماعز، وذكرها يسمى (عتروس).

كما يستعينون في تحديد الاتجاه، بمفاهيم: التل- الكبلة – الشرك – الساحل.

"التل" بالنسبة لسكان الصحراء هي المنطقة الممتدة من درعة إلى وادي نون، و"الكبلة" هي المنطقة الواقعة في الجنوب الشرقي (منطقة تكانت والراكنة وترارزة)، وأما "الساحل" فهي المنطقة الواقعة بين درعة أو "تل" و "كبلة "، أما الشرك، فيعتقد أنع يقع في النيجر أو "البحر الحلو".

يحافظ الفرد الصحراوي على تراثه، بحفاظه على الأسماء (فاطمتو، خديجتو، الناجمة، أم لخوت، السالكة، عيشتو...)، رغم ما أصبح لهذه الأسماء من منافسة قوية لأسماء جديدة مستوحات من المجال الإعلامي (المسلسلات و المجلات...)، وهي أسماء دخلية على الثقافة الصحراوية، وهذا راجع إلى الاحتكاك بثقافة حديثة في الآونة الأخيرة خاصة من التلفاز.

ISSN 2311-5181

ويحافظ المجتمع الصحراوي على تراثه المادي، بحفظه لمجموعة من الأدوات مثل: المهراز: وهو أداة لكسر حبوب الشعير، ورغم أن استعمالها قل بشكل كبير، إلا أنها لازالت موجودة في بعض المجتمعات عند الرحل، وهي موجودة رغم وجود آلات جديدة وحديثة.

الرحى (رح) : مصنوعة من قطع حجرية، تقوم بطحن الشعير (قطعة علوية وأخرى سفلية).

الغربال : مصنوع من الجلد، وبعد ذلك أصبح يصنع من المعدن.

الكصعة : تكون من الخشب، وهي ذات قيمة زخرفية عالية.

الكدحة : هي إناء يقدم فيه حليب النوق أو الماعز.

المحكن : يستعمل لتصفية الحليب من الشوائب.

المجمر: يستعمل لتسخين الماء لإعداد الشاي.

المغراج أو المقراج: لطهي الماء.

الكربة: وهي كيس جلدي كبير، لا يتطلب إعداده عناية كبيرة، وتحفظ فيه مختلف الحاجيات العائلية أثناء الترحال.

المكسرة: وهي مطرقة لكسر قالب السكر.

ب- الشاي

يحتل الشاي مكانة كبيرة في المجتمع الصحراوي، وقد أصبح هذا المشروب على مر الزمان سمة من سمات الكرم وعلامة الحفاوة، فهو ليس مشروبا فقط، وإنما وسيلة من وسائل التواصل الاجتماعي بين الأصحاب والأحباب، وأداة نسج خيوط الانسجام بين الأفراد والمجموعات، بل يصير الشرط الأساسي لإنجاح الاجتماعات واللقاءات، مهما اختلفت مضامينها.

إن أول ما يقدم للوافدين على الفريك، أو إحدى خيامه، هو الشاي الذي يعتبر رمزا من رموز الإنسان الصحراوي منذ القديم، معروف بأوانيه الخاصة (الطبلة والتي تتكون من الكيسان والبراد، والمغراج، والجمر) وطريقة تحضيره المتميزة، والتي تحتاج إلى وقت طويل يتم خلالها تبادل الأخبار والمعلومات، بوجودأتاي والسكر والعلك.

للشاي طريقة وآداب خاصة، وكما هو معروف له ثلاث جيمات (أي ثلاث كلمات تبتدئ بحروف الجيم: الجر، والجماعة، والجمر)، وبذلك يحلو الكلام والأنس، ليكون "أتاي" أو الشاي محورا يجتمع حوله الأهل والأصدقاء، والعائلة والجيران "الجماعة"، لكن هذا التقليد مسه التغيير، تبعا للتطورات السريعة التي طالت المجتمعالصحراوي، فأصبح الشاي في كثير من الأحيان لا يقدم بطريقته المعتادة، بل أصبح يأتي جاهزا من المقهى أو المطبخ، أو صار تناوله بشكل فردي دون باقي الجماعة، فانمحت معه بعض مزاياه وطقوسه.

ISSN 2311-5181

ومن العادات الشعبية كذلك، والتي كان يتبعها الإنسان الصحراوي، طلب المطر عن طريق ما يسمى بـ"تلغنجا" Telghunja، وهي عبارة عن هيكل لسيدة من أعواد وألواح، يمثلها وهي تبسط كفيها على شكل مغرفتين ترتجيان رحمة الله[1]،وقد ظلت هذه العادة معروفة إلى وقت قريب، فكان الناس يستعملونها بالأمس ولم يغيبها من الساحة، إلا صحوة الناس واقترابهم من الكتاب، كما يتميز الإنسان الصحراوي بلباسه الذي يميزه عن غيره من سكان المغرب والمعروف ببساطته، فهو تقليدي شاسع وفضفاض، يعكس مرجعية ثقافية للصحراويين، فهم متمسكون تماما بزيهم الرسمي والأصيل، والذي يضفي نوعا من الوقار والاحترام لدى كلا الجنسين: الملحفة للنساء والدراعة للرجال.

المرأة في التراث الصحراوي

المرأة الصحراوية حاملة لحضارة من نوع خاص محورها الإنسان، بأبعاده المختلفة ولها مغزى، وكل كلمة تصدر عن هذا الإنسان لها مرمى، فقد أعطى المجتمع الصحراوي عناية خاصة للأنثى، لأنها تبقى مدللة منذ ميلادها من طرف الأب والخال والعم والجد، ويكون لها بعدهم حضور كبير، ورأي في تسيير الشؤون العامة، كما لها حرية التحكم في حركتها، واستعمال مجالها واختيار علاقاتها، وهذا الوضع مختلف تماما عن الوضع في المجال الحضري.

من مميزات المرأة البيضانية كذلك، أنها لم تكن تستر عامة جسدها[2]، كما لم تكن منعزلة عن الرجل ومتوارية من القدم، مثل ما كان سائدا في بعض المجتمعات المستقرة، كما لم تكن تعاني تعدد الزواجات، والمرأة الصحراوية تفرض نفسها لغياب الحواجز، فالفضاء الذي تتحرك فيه المرأة فضاء مشترك مع الرجل، وبذلك فالاختلاط لديها مسألة طبيعية، كما أن المرأة هي حاملة نوع الاستمرار، وبالتالي فهي رمز الثابت والرجل هو رمز المتحول، فالرجل يخرج للمرعى ويسافر ويتاجر ويقاتل وتبقى المرأة، فدورها مختلف تماما عن دور المرأة في العالم الذي عرف حياة الاستقرار.

لقد أدى حضور المرأة في المجتمع بهذه الكيفية، إلى تواتر الرواية التاريخية بالخصوص، عبر أشكال أميسية تحدد موقع المجموعة، ضمن النظم الاجتماعية والثقافية وضمن المجال الجغرافي، كما أن المرأة تساهم في انتقال هذه الرواية عبر الأجيال وتوزيعها في المجال[3].

لم تكن المرأة الصحراوية مقبولة من حيث النحافة، أي ما يسمونه بـ"الركة" أو "حالها ماهو زين"، بل المفضل فيها أن تكون بدينة سمينة، فالفتاة الصحراوية كانت عندما تبلغ سن السابعة عشرة، لابد لها من عملية تسمى "البلوح" وهو التسمين، ولا

---

[1]- عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج3، مطابع فضالة المحمدية 1986، ص، ص: 276-177.

[2]- يورد ابن بطوطة: "أما نساؤهم فلا يحتشمن من الرجال ولا يحتجبن مع موضبتهن على الصلوات، وبود أيضا والنساء هناك يكون لهن الأصدقاء والأصحاب من الرجال الاجانب وكذلك للرجال صواحب من النساء، ويدخل أحدهم داره فيجد امرأته ومعها صاحبها فلا ينكر ذلك.

[3]- وهو ما نجده فاعلا بشكل كبير ضمن مجتمع الطوارق، حيث لم تنجح مختلف المصالحات لتثبيت الوضع في مناطق النزاع بشمال مالي والنجير، لأسباب متعددة ومنها غياب استحضار العنصر السياسي الأساس داخل المجتمع وهو المرأة.

- Chaudat – Howad, H," des etats – nations contre un peuple : le cas des touargs", Revue de l'occident musulman et de la méditerranée; 44,n°2, 1987, p : 48-63.

ISSN 2311-5181

يمكن ان تكتمل أنوثتها، إلا بقدر من السمنة، ويكتسي جسدها وشما، ويسمى شعبيا البطط، والتشراط، أي التجراح، ويبقى أثره على جلد الفتاة مدى الحياة[1].

وتبقى المرأة الصحراوية الخزان المحافظ على القيم الأبوية الموروثة، كما كانت تلعب دورا كبير في تنشيط الساحة الفنية الموسيقية مغنية وراقصة وعازفة، لدرجة باثت تستقطب الجماهير الواسعة من المعجبين، مثلما غدت تستأثر بعناية الباحثين المهتمين بدراسة ألوان التراث الموسيقى، على أن أبرز مظاهر حضور المرأة في هذا المجال يتجلي في رقصة "الكدرة".

خاتمة :

نستخلص من كل ما سبق، أن كتابة التاريخ انطلاقا من الشهادة لا يمكن أن تتم إلا بتغيير في منهجية المؤرخين، لتتسم بالانفتاح على العلوم الإنسانية الأخرى، دون الخروج عن الصرامة العلمية الضرورية في كل بحث تاريخي جاد، لذلك فعملية التأريخ للصحراء، يجب أن تتخذ بعدا نقديا ومنهجيا، بدمج المكتسبات المنهجية في مجال التاريخ الشفهي والذاكرة، وبالجمع بين مفاهيم التاريخ والذاكرة.

لا يحتاج تاريخ الصحراء إلى الوثائق والمصادر فقط، بل يحتاج إلى القيام بأبحاث ميدانية للتعامل مع هذا المجال، إذ إن البحث الميداني ضروري لفهم تاريخ هذه المجالات، لأنه يمكن من الوقوف على مجموعة من التصورات والتفسيرات التاريخية المحلية التي ما زالت قائمة، فأهل هذا المجال يستحضرون تاريخ وجودهم، فاستقرارهم وتعاملهم مع هذه القطاعات الترابية والثقافية والاجتماعية والسياسية، قائم عبر تمثلات مختلفة منطلقة أساسا من الكتابة التاريخية التقليدية، فالصحراء فضاء واسع يشمل ساكنة وقيما وتراثا أدبيا وفنيا غنيا بتنوعه، ويؤسفنا جدا أن هذا التراث لم يعرف التدوين من قبل، وبقي لحدود الساعة تراثا شفويا يستمد من كبار السن (الشيوخ)، الذين يعتبرون تاريخا أمام كل مهتم بالتراث الصحراوي، بهدف كتابة إرث ثقافي وتاريخي وحفظه من الضياع، حتى تستفيد منه الأجيال اللاحقة، لأنه معرض للزوال في أي وقت وينتهي بدفن حامله، وبالتالي نكون قد خسرنا مصدرا مهما من مصادر تراثنا، لاعتباره ذاكرة تحفظ أسرار التاريخ.

قائمة المراجع :

1. إبراهيم، ز، الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية، دمشق 2009.
2. ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، بيروت 1979.
3. ابن محمد قسطاني: الواحات المغربية قبل الاستعمار، غريس نموذجا، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2005.
4. إدريس العلوي العبدلاوي: "دور كل من العرف والعادة في انشاء القاعدة القانونية"، ضمن ندوة "العادات والتقاليد في المجتمع المغربي"، سلسلة ندوات، 7 نونبر 2007، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية.
5. إدريس نقوري: بناء الخطاب الشعري الحساني، ضمن ندوة مدينة السمارة، عاصمة الصحراء العلمية والروحية منشورات كلية الآداب وع.إ . أكادير، ط 2000.

[1]- محمد دحمان، الشاعر النسائي الحساني "التبراع" والتحولات الاجتماعية بمنطقة وادي الذهب والساقية الحمراء، ضمن المكونات الثقافية للصحراء المغربية، م. س، ص: 68.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
Jil Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

6. بونت بيير: إمارة أدرار الموريتانيا، ترجمة محمد بن بوعليبه بن الغراب، نواكشوط، دار النشر جسور، 2012،
7. جوردن است: الجغرافيا توجه التاريخ، ترجمة: جمال الدين الدناصوري، دار الحديث، بيروت 1982.
8. خوليو كاروبروخا، دراسات صحراوية، ترجمة أحمد صابر، ط، 2015، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط.
9. رحال بوبريك، دراسات صحراوية: المجتمع والسلطة والدين، دار أبي رقراق ط 2، 2008.
10. رحال، بوبريك، زمن القبيلة: السلطة وتدبير العنف في المجتمع الصحراوي، الرباط، دار أبي رقراق للطباعة والنشر 2012.
11. الطالب بويا العتيك، بعض تجليات العادات والتقاليد لدى ساكنة الصحراء المغربية، ضمن ندوة المكونات الثقافية للصحراء المغربية، منشورات رابطة أدباء المغرب، ط 1، 2001 مطبعة المغاربة الجديدة الرباط،
12. العالية ماء العينين، شعر الشيخ محمد الإمام – جمع وتحقيق ودراسة، رسالة مرقونة بكلية الآداب عين الشق، الدار البيضاء السنة الجامعية، 1998-1999.
13. عباس الجراري، ثقافة الصحراء، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء 1978.
14. عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ج 2، القاهرة، نهضة مصر، 1981.
15. عبد الرحمان، السعدي، تاريخ السودان، تحقيق وترجمه للفرنسية، هوداس – بونوة، طبعة باريس: 1981.
16. عبد السلام هارون، نوادر المخطوطات، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، سنة 1411هـ – 1991م.
17. عبد العزيز بن عبد الله، المؤسسة المغربية للأعلام البشرية والحضارة، ملحق (1) 1976.
18. عبد الله، العروي، "السلطة والمجتمع في المغرب"، نموذج ايت باعمران، البيضاء 1989.
19. عبد الهادي التازي: التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج3، مطابع فضالة المحمدية 1986.
20. عبد الوهاب بن منصور، حفريات صحراوية مغربية، المطبعة الرسمية، 1998.
21. غالي. إ، الانثروبولوجيا الفكرية، دراسة في انثروبولوجيا بيربوورديو، القاهرة 1999.
22. محمد احمد باهي، مجلة الفنون، السنة الأولى، ع 9 و10، رجب شعبان 1314/ يوليوز – غشت 1974، ص: 69، 72، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، "من عرب معقل بالواحات الصحراوية".
23. محمد الظريف، ديوان الشيخ احمد الهيبة – جمع وتحقيق، دار المعارف الجديدة، ط1، 1998.
24. محمد بلاجي، المكونات الثقافية للصحراء المغربية، جماعة من الباحثين، منشورات رابطة أدباء المغرب، ط 2001.
25. محمد بن باباه اليدالي ، حياته و أثاره، بيت الحكمة، قرطاج، الطلعة الأولى، 1990.
26. محمد دحمان، الشاعر النسائي الحساني "التبراع" والتحولات الاجتماعية بمنطقة وادي الذهب والساقية الحمراء، ضمن المكونات الثقافية للصحراء المغربية.
27. محمد علي محمد: الشباب العربي والتغير الاجتماعي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت 1985.
28. محمد نجيب النحيجي: الأسس الاجتماعية للتربية، دار القلم، الكويت، ط 1973.
29. محمد، دحمان، الترحال والاستقرار بمنطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب، الرباط 2006.
30. محمود، كعت، تاريخ الفتاش في ذكر الملوك وأخبار والجيوش وأكابر الناس، تعليق وتقديم حماه الله ولد السالم عن دار الكتب العلمية، ط 2012.
31. نماذج من أشعار الشيخ مربيه ربه – ضمن أعمال الموسم الثقافي للشيخ مربيه ربه تحت عنوان (جوانب وحدوية من ثقافة الصحراء المغربية)، مطبعة المعارف الجديدة بالرباط ، ط1 ، 1997.
32. Godolier (M). "le concepte de tribu , crise d'un compte ou crise des fondements de l'anthropologie? in horzon , trajets marscistes en anthopologie , paris , maespero , 1977.

ISSN 2311-5181

33.Balandier , G , "essai d'identification du quatidien " in , cahiers internationaux de sociologie , vol LXXIV , paris 1983.

34.Berque, J. " Qu'est – ce qu'une "tribu" nord – africaine. dans Maghreb , histoire et societé , alger ; SNED 1974.

35.Caratine (sofhie): Apropos des Rgaybat du saharaaccidental. U.R.B.A.M.A.1989 .

36.Chaudat – Howad, H," des etats – nations contre un peuple : le cas des touargs", Revue de l'occident musulman et de la méditerranée; 44,n°2, 1987.

37.F.zohratamoh," le maroc et le soudan au XIXE Siècle", Thèse de 3ème Cycle, Paris 1 Sorbonne, 1982.

38.Gast ; M ." le désert saharien comme concept dynamique , cadre culturel et politique " , in revue de l'occident musulman , v 32 , n°1.1981.

39.Godelier (M) : Tribu " article in : Encyclopédie univ , vol .16 France 1968 .

40.goudio, Attilio , les population du saharaaccidental histoire vie et cuture , ED : karthala 1993.

41.HampâtéBa , A . "La tradition vivante" , in Histoire générale de l'Afrique Unesco ,Vol I , Méthodologie et préhistoire africaine , ed ; J.KI- Zérbo 1980,

42.Hubert, B (dir), la rusticité , l'animal , la race , la systéme d'élevage

43.Jackson an account off the Empire off Morocco and the district of suse ,london 1809.

44.Leriche, Alberrt (1952) , Coutumes d'autrefois en Mouritanie IFAN . Tome XIV N°1.

45.Marty, paul (1919) , l'émirat des trarzas , paris ; leroux.

46.Monteil, Vincent (1948). Notes sur les tekna , Paris , Larose.

47.Morgan, L.H.La société arhaique ,Anthropos , paris , 1971.

48.Morgan.L ,H , Ancient Socity or resarches in the lines of human progress from sovager through barbarisn to civilisation, new york , holt , 1877.

49.Paestum hors série , Association française de pastoralisme , Agropolis International , Cordére éditeur , Montpellier , 2011.

50.Poulet, Georges ,(1904) Préf . de M. Binger , les Maures de L'Afrique accidental française , Paris A : challamel

51.Richet, éteinne (1920), La Mauritanie , Paris E'mile : larose

52.Sahlims. M , Tribesmen , Astudy of segmentary society , Engle wood chiffs ,Prentice Hall, 1972.

ISSN 2311-5181

تلوات خلال القرن الثامن عشر: لمحة موجزة عن وثائق محلية مخطوطة تهم مياه السقي

Telouet[1] 18th century: A brief survey of a local manuscript documents about irrigation water

PhD researcher Hamza Ait El Housseine/Cadi Ayyad University, Morocco

ط.د.حمزة أيت الحسين/، جامعة القاضي عياض، المغرب

ملخص:

يتلخص الهدف من وراء هذا المقال - المختصر - في محاولة استقراء مجموعة من الوثائق ذات الطابع التعاقدي بين ساكنة منطقة تلوات؛ وذات العلاقة المباشرة مع موضوع الماء في تاريخ المغرب؛ مركزين في ذلك على ثلاثة جوانب أساسية؛ غالبا ما يتم التركيز عليها في مثل هذه البحوث؛ وهي: الجانب الشكلي والمضمون ثم المفردات والمفاهيم المستعملة؛ أي محاولة تقديم قراءة تقنية ومنهجية للمادة المصدرية المعتمدة، من جهة، والعمل على طرح إشكالية جوهرية؛ تتمثل في مدى إمكانية الانطلاق من هذه المصادر لكتابة التاريخ الاجتماعي لمجال بحثنا، من جهة ثانية؛ متخذين دائما من تيمة "المعاملات المائية" نقطة الانطلاق.

الكلمات المفتاحية: تلوات، التاريخ، مياه السقي، نزاعات، رهن الماء، وثائق مخطوطة.

Abstract:

This article aims to analyze a set of contractual documents between the inhabitants of Telouet village on the subject ofwater in the history of Morocco, through three basic aspects, namely: the formal aspect, content, vocabulary and concepts used, to provide a technical and methodological analysis of these manuscript documents, on one hand, and try to raise a fundamental problematic about the possibility of starting from these sources to write the social history of our field of research, on the other hand, Based on the topic of "water transactions".

Keywords : Telouet, History, irrigation water, conflicts, water mortgage and manuscript documents.

[1] _ Telouet: a Village in the Southeast of the Great Atlas Mountains, of 1800 meters of altitude, known for its Historical role as one of the former locking road stations for commercial camel caravans that linking the Sahara, Sijilmasa and Marrakech. It was also the seat of the political power of the Glaoua Family.

ISSN 2311-5181

Introduction

One of the causes of the discovery of this analyses was being interested in Telouet Village's historical issues, which turns The purpose of this brief article into an extrapolate of a set of manuscript documents of a contractual reasons between the inhabitants of Telouet, Also directly related to the subject of water in the history of morocco which is a title of a Master program studies in the university of art and humanities in Marrakech city. Focusing on three essential aspects: such research namely: The formal and content aspect, and then the vocabulary and used concepts. In which we attempt to provide a technical and systematic analyses of our approved source material, onone hand, and work to raise a fundamental problematic concerning water issues, on the other hand.

First of all

From the outset, the issue of water in Telouet village is of a great interest to me, the short-cut contribution I'm involved in is only a small part of this general theme, which I intend to move forward with, so I point out that I will not stop at the point concerns presenting the geographical and historical characteristics of the field of research, note that it is a necessary methodological step, but will only refer to the nature of sources adopted, and then to rooting the name "Telouet" to address then to the content of these documents, due to several constraints.

I_ What type of sources adopted in the analyses?

The analyses is based on a very important obsolete historical sources, consisting of a set of manuscript documents (four documents), extending in time between the late thirteenth century AH (1295AH)/late seventeenth century AD (1878), and fifties of the fourteenth century AH (1351 AH)/ thirties the twentieth century AD (1932), they vary in size, font quality, the nature of the paper on which it was written, the topics addressed and the period of time in which they were written, and also vary according to the persons concerned. However, they are similar in several aspects, especially in terms of the starting words (Hamdalah= praise be too GOD alone) and the finishing ones (the name of the witness on the subject of the document and his signature, after the date of writing) and some phrases associated with the validity of the document's subject.

Farther upward, in the Great Atlas tribes, this sort of documents is very common, but the same difficulties to reach them were encountered.

ISSN 2311-5181

Exemplar:

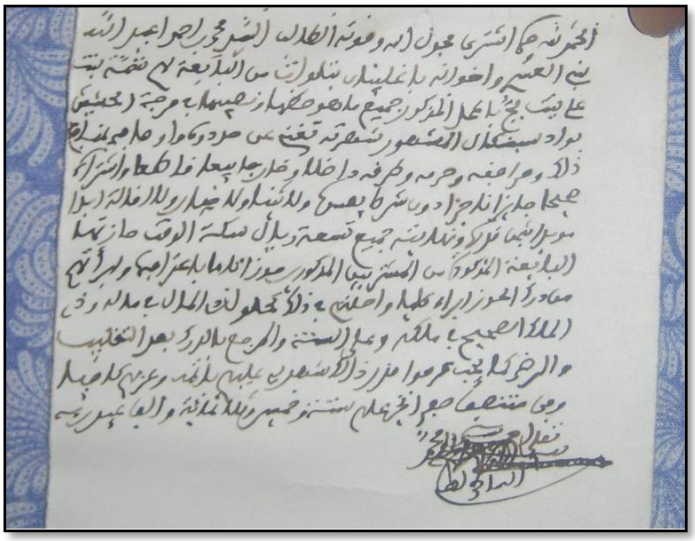

In terms of substance, these documents collectively categorize the following topics:

_ Waiving the right of irrigation water for good and benevolence (Document N° 1).

_ Conflict around irrigation water (Document N° 2).

_ Sale of irrigation water (Document N° 3).

_ Pledge of irrigation water (Document N° 4).

In this regard, however, the documents we have adopted cover only a small part of the public domain that we have shown in the headline and therefore the relative conclusions we may finally draw.

II_ Telouet: the name and attempt rooting it

The first caption we encounter is that the area of Telouet was a "lake" surrounded by a dense forest of a different oak, pine and almond trees, the Telouet depression, according to the same caption/explanation, was called "Tabhourt" (Grassland), a pasture for the Ait-Ouaouzguit tribe, and the other Amazighe Masmouda Tribes, which was later bought by "Sidi warghal" and paid for to the Ouaouzguit tribe, after that the caption spoke of one of the dignities of this master which was that He brought a balance to a plateau called "Taourirt n-lmizan"[1] (the balance's plateau), and some of the pebbles he had hidden under his clothes were turned into gold pieces once they were placed in the balance, they were led by what they saw fit as a price for Telouet,

[1] _ This name is still used to refer to that plateau to this day.

ISSN 2311-5181

without any indication as to the origin of the name. note that it is the most echoing caption by the elderly residents of Telouet area[1].

The second caption linking the name to the fall of the Islamic kingdoms in Andalusia and the arrival of some of its scholars to the region and their stability in there, they wanted to be alone and interpret the Islamic religion, and they were the once that called it Telouet, which derived from the word "Tlou, plural: Tlwat" which means "read" to refer to the holy Coran recitation in Amazighe Langage, they were: "Sidi Warghal, Sidi Hkim, Sidi Mansour ou-Hamd, Sidi Ghaith and Sidi Belfoufoul". The toponymical of this field still have the names of these men.

And there is the caption that links the name Telouet to the topographical nature of the region, which means the low basin[2]. This explanation is largely excluded because it confuses the name Telouet (the village) with the name Gloua (the tribe) which derived from the word "Aglou, plural Iglwan" (means a deep gap) in the great atlas mountain, which is an accurate description of the topography of the high valleys of high Atlas[3], this meaning places it very far from Telouet, and making the two names very different.

In our opinion, the closest caption is the one that says the name was given by some scholars who we mentioned above, Although we do not have a direct and precise source that raises confusion, we can –through careful observation of the spatial distribution of the places where these five men are settled, the spiritual relationship of the population with them and the extrapolation of the toponymical meanings of these names- suggest the following:

1_ Since one of the plateaus in the region still have the name "Taourirt n-Imizan"near the place of residence of "Sidi warghal", whose name was derived from "Orgh" (Gold)[4], which refer that the sale has done, without paying much attention to how the price was paid, and to the aspect of the dignity of this man, the toponymical significance of the name largely support the caption that we favored.

[1] _ Told me about this subject Mr Mohammad Ben Mohammad Ben EL Madani Ait ElHousseine, resident of Iraaben Village in Telouet, He was about eighty-two years old when I interviewed him on January 01,2014.

[2] _See: Ahmad Houzali ; name Telouet, in Maàlamat Al Maghrib, Production of The Moroccan Association for authoring, translation and prenting, the prenting press Sala, Sale 1415 AH/1995 AD, volume VIII, p 2529. (in Arabic).

[3] _ Mohammed Oujamaa ; Name of Glaoua, in Maàlamat Al Maghrib, Production of The Moroccan Association for authoring, translation and prenting, the prenting press Sala, Sale 1410 AH/1989 AD, Volume II, p 618. (in Arabic).

[4] _ This is likely to be a nickname after the dignity known to him, as no one mentioned his original name, which further complicates the task of revealing his identity.

ISSN 2311-5181

2_ These jurists settled in distant places but formed centers of large residential communities (Imaounin, Ihindaken, Ighil n-byan and Ighriyyis Onila), the principle of teaching the Coran and its interpretations to the inhabitants was the main factor behind this stability, especially with the presence of the Jewish element in the region, not individuals but as important human groups, supporting the agreement that the word "Tlou:Read" has shifted from its first context to become a name given to the domain.

From this and that, we likely –besides the above- that this place (Telouet) had another name was known before the advent of these scholars, and disappeared after this coming a period that may be lengthened or shortened. The devotional aspect, the recitation of the Coran that prevailed after the stability of these Men and their initiation of the teaching of the Coran, may have a major role in the work of obliterating the first name and its extinction, in front of the prevalence of the word "TlouLkran: Recite The Coran", because it is illogical that the Human groups that preceded the advent of these jurists continued to live in their domain without naming it, and been waiting for someone to come to name it, especially since the first step towards controlling the field/domain is to name it and store its features in memory and then draw its boundaries, distinguish it from other fields depending on its shape, topography, color and vegetation etc...[1].

III_ The Formal aspect of our Documents

Given a great similarity between these documents, we will not display each of them individually, but we give in this general summarize everything related to the formal aspect, from the calligraphy type, size, number of lines and signatures.

Concerning the calligraphy these documents were written in a Moroccan font, in black ink and did not use any other color, this calligraphy handwriting varies, somewhat, from one document to another, in terms of writing some names, for example we read in the document N°2 the name "Ibrahim" (إبراهيم) was written as "Ibraiim" (ابريم)while in the document N°4 as "Abraim" (أبرهيم), and only in document N°3 it appeared correctly[2]. This leads to the reason behind this difference in drawing, and how this relates to scientific level of the authors of these documents, especially if we add some words that start in a line and end in the next one!

[1] _Rachid El Housaini; Geographic names and identity, the Amazigh names of the Sahara and Mouritain, publication of the associationof development and cultural and social action, whithout date, p 14.

[2] _ check these documents at the beginning of this article.

ISSN 2311-5181

In term of size, they are of average size (about ten centimeters in width and fifteen others in length), with the exception of the document relating to the Jew Ishak Ben Yamin which is about five centimeters in width and twice that length, this is reflected in the number of lines in each document, where the first ones about seventeen lines, and thirteen lines in the document concerning the Jew.

Concerning the signatures we note that the difficulty in reading and deciphering them is the common denominator of all documents, except for the observation of two signatures, one on document N°3 and the other on document N°4 which concerned the Mortgage, we could not read these signatures because of the way in which they were put together, in addition to the erosion of some of them, which is mostly due to the desire of those who wrote it, to prevent fraud and manipulation of its content in the name of protecting it, especially as we have come to what supports it (The mystification of some names through Arabization).

IV_ **The Content of our Documents**

At this point, we deal with four models of water transactions, these constituted the content of these documents, the first relates to the waiver of the right from irrigation water for good and charity, the second to the dispute, and the third to the sale, while the fourth concerns the subject of foreclosure, drawing our information about it from the above sources.

1_ Waiver of the right from irrigation water for good benevolence

At this point we rely on document N°1 dated 1295AH (1878AD) 1309AH (1891AD): the first year is the year of writing the document by Mr "Ahmed Ben Mohammed Ait Ben Dris" as mentioned in the document, the second year constitutes a reaffirmation of the credibility and validity of the content of the document by another justice who witnessed the fairness and integrity of the former, the time difference between them is about thirteen years. What makes us, before proceeding with the analysis of the content, to question the motive behind this assertion, especially in light of the time interval between the two years, is that due to the frequency of conflicts periodically on the topics of these contracts? Or is this related to the desire to remove any possible questioning of its content? Or motivated by the desire to achieve and renew the continuity of the contract, especially after the death of the first writer, or his departure from the region, and resort to those acting on behalf or successor in this area?

Under the terms of this document, the heirs of Mohamed ben Karroum gave Abderrahman Ait Ala O-Yousef a portion of their share of irrigation water, free for charge, financially or in kind, provided that the beneficiary,

ISSN 2311-5181

in writing, is obliged to leave the water at some point in which he is asked to do so, **"Without sued or rivalry"**[1], but out of goodness and charity. the content of this document can be understood on two levels:

Positive: indicates the possibility of the prevalence of this type of social transactions in a large part of the society, which is supporting the social coherency.

Negative: suggests the need to codify this waiver, either the fear of turning the water ceded into a property dominated by the beneficiary over time.

these transactions may indicate that this waiver only included periods when water was available, especially in a society in desperate need of water resources.

2_ Disputes around irrigation water

We define the content of this document through the following elements:

_ **Parties of the conflict**: Mr Mohammed ben Karroum and Mr Ali ben Ahmed ait ben Ibrahim the jurist.

_ **The cause of the dispute**: the first one claimed that the second is acting in the water source of Ait Hammou ben Hassan on the face of good and benevolence, while the second refused and said that he had ownership of that water.

_ **The Arbitrator**: is the justice who wrote the document, denoted by the words "I have witnessed" and "I gave that judgement", however, we do not know who he is, his name could not be read in the signature.

_ **The Judgement and result**: the above judge ruled that Mr Ali Ben Ahmed ait Ali ben Ibrahin (the second part) would own the disputed water, and that the case of Mr Mohammed ben Karroum (the first part) to possess that water is invalid and incorrect, so he wrote them a necessary provision under which to work.

The after mentioned elements, go beyond the mere history of a simple water issue, manifested in the phenomenon of conflict over water, and ask for an arbitration by a person known for integrity to separate the conflict parties, but it enables us to question another kind of analysis, which is rarely resonates in historical studies, it is the "legal reading of the content" through which we analyses an important aspect of the historical field: the History of law in Telouet society, And know its periods of progress and regression, by monitoring the evolution of its traditional legal systems, and work this highlight the role of historical, psychological, cultural and political factors in this, it may go beyond that, and enable us to identify part of the human mind and

[1] _ Document number One.

ISSN 2311-5181

theoretical perceptions of the legal system, here, the importance of this type of document is obvious to the historian, it makes him discover the sidelined of history that modern historians have long sought it, it is what we call the history of the depth of society, the history of the simple man's transactions.

On the other hand, the content of these documents is one of the reasons for writing the previous type (waiver documents).

3_ Sale of irrigation water

Before determining the content of this document, it is necessary to indicate the proper legal manner in which it was written, this is evidenced by the following:

_ **The saleswomen**: Aisha bent Ali aitbaant.

_ **Buyer**: Ahmed ben AbdLahait Ibrahim.

_ **The subject of the sale**: all the share of irrigation water that belongs to her.

_ **Price:** fifty oz of silver Dirham.

_ **Conditions contained in the contract**: full possession after inspection and flipping and consideration and satisfaction as it should, and sufficient knowledge and no ignorance of some of the sale, by the Sunnah and reference and maturity.

_ **Date of the contract**: Mid-du al-Qa'dah 1310AH /1892AD.

_ **Witness:** The word "Slave of his God" that indicated in the document refers to him, however, we were unable to read his name in the signature.

We proceed from this document, reassuringly, to say that the transaction of irrigation water sale was a phenomenon known to the inhabitants of Telouet in their social dealings, at a pace that may increase or decrease according to historical periods and events, like what is known in many other regions, but what draws attention in the document is that it suggests -as we seem- two possibilities: first the saleswoman had no land to use her share of water, or she did not have the ability to exploit her ownership of water and land. the document also raises the issue of the inheritance of women in this traditional society, with the right to dispose of ownership in various types of disposition, sale, mortgage, charity etc... it is subject with a great importance.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

In addition to all above, this type of documents is useful in tracking the economic movement in Telouet society, by monitoring the heterogeneity of the price's variability according to the place and time.

4_ Foreclosure of irrigation water

At this point, we rely on the transaction of a mortgage that took place between "Borhim ben lfakiraliaitlaasri" and the "Jew Ishaq ben yamin", two from the village of "EghilNebian" -with the likelihood that the second is from the inhabitants of the navigator there- under which the second mortgaged from the first a full acre with enough water in his current bout.

This type of transaction, between the Muslim and Jewish inhabitants of Telouet, largely indicates the state of cultural, civilizational, economic and social integration that was known to the Jewish communities that inhabited in this area, the sale of water -the strategic and essential element of a society based on its subsistence On the living economy and the management of scarcity- it would not have been possible without the reassurance of the inhabitants of Telouet, in their various dealings, of the Jewish element with which they shared the field, through the purchase and land mortgage, in addition to the historically known role of Jews as traders, craftsmen ...etc.

Therefore, we wonder about the main motive behind dealing with this category (Jewish): Is it really due to their state of integration in Telouet society, in a way that has become an active factor in it? Which leads to another question: Where can this group be located within Telouet society? Or is it because the Jews were engaged in economic activities (jewelry making, peasant farming, blacksmithing ...) that provided them with capital that their Muslim neighbors did not have, and thus a pressure factor that would not leave the other party with the option?

To answer these questions, first and foremost, the process of gathering as many of these documents as possible in all Telouet area, and having the necessary methodological tools is necessary to clarify the limits within which we can generalize the conclusions we may draw.

V_ Concepts and terms

We will not stop, at this point, at all the terms and concepts contained in these documents, some of them are related to the currency (ounces, dirhams, silver, weighted, rial ..) and what concerns the conditions of contract validity (inspection, satisfaction, flipping, consideration, maturity ..) In addition to the geographical

ISSN 2311-5181

names, we will only make two observations, which have drawn our attention as we read the contents of these documents:

The first observation is the kind of systematic policy that the writers of these documents (jurists and justice) used to obscure the content of these contracts, this is evident in the Arabization of some names, which one of the researchers[1] attributed to the desire to monopolize its knowledge, and force its parties to refer to them to read it and explain it whenever they need to.

The following table shows the original version of some of the names as opposed to the language in the document:

Table: The original versions of some names with the corresponding in the document

Origin of the name	Distorted name	Its significance
Ighil n-obyan إغِلْ.نُ.بْيانْ	Diraà Bayan ذِراع بيان	Name of a village in Telouet
Ikhef n-Ighil إُخْفْ.نْ.إغِلْ	Ras Diraà رأْس الذراع	Name of a village in Telouet
DaouTourirt دَّاوْ تُورِيرْتْ	That Lkodya تحت الكُدْيَة	Name of a medium-sized human population, its name is derived from its location on the foot of a mid-elevated plateau.
Talat n-omzil تَالاَتْ.نْ.أُمْزِلْ	ShiàbatLhaddad شِعبة الحدَّاد	Name of a village in Telouet, its name derives from the craft which it is practiced in (blacksmithing).
Taghant m-ogholid تَاغَانْتْ.مْ.أُغُولِيدْ	Feddan oumlhajar فدّان أم الحَجَر	A ground spot with a large stone that distinguishes it from others.
Aghan أَغَانْ	Feddan فدّان	Ground spot mostly used for growing wheat or barley.

1 _ Ali Safi Moumen; Origin of the term "Laouh" which is called "Amazigh law recorded", within the symposium "Law and Society in Morocco", series of seminars and debates No. 7, Coordination of Al-Hussein, Azi and Al-Hussein Ait Bahcine, publications of the Royal Institute of Amazigh Culture, New Knowledge Press, Rabat, 2005, pp. 145_152. (in Arabic).

ISSN 2311-5181

It is clear from the table above that these models of names moved from their meaning and their original formulas recognized by the population, to other forms of definitively unknown to them, also this transition in names caused a complete break between the connotations that became document/contract and their real meanings.

For the researcher in historical studies, this is both positive and negative: positive because the document remains the way it was first written, and the content carried by its first author, it is impossible, with this method, to falsify and manipulate its content.

And Negative as it requires the researcher, who deals with this type of documents, to be fully familiar with the Amazigh language, the language of the field and the language of the daily interactions of the population, and the mental, social, economic and political backgrounds ... which imposed the adoption of this type of opacity in writing, otherwise his analysis and his conclusions are only an embodiment of the process of forgery, as the text loses its true meaning and leaves it out of the real context in which it was produced.

The second observation relates to the document on the foreclosure transaction mentioned above, which includes the titles "dhimmi" "الذمي" and "Hazzan" "الحزّان", where the first means a Muslim perspective for the Christians and Jews, that is the ability to deal with this category, in all activities in accordance with the rules governing Shariàa.

The second is related to the Jewish religious faith itself, "Hazzan" "الحزّان" is the religious leader of the Jewish community, whose task is to supervise the prayers in the synagogue. He played the role of chanter, issuing fatwas (orders), and supervising religious education and monitoring the execution of orders and prohibitions (food laws and observance of the Sabbath and so on), he also attended circumcision ceremonies, as well as writing marriage contracts and burying the dead. This refers to some kind of tolerance in the practice of Jewish religious rituals within the Muslim society (Telouet), especially as the region has three major Jews neighborhood, each with its own cemetery.

VI_ Remarks

Through the analysis of these documents, we were able to draw the following conclusions:

_ These documents, as well as the information and issues they provide, also enable a "legal reading", based on the terms of writing contracts, the reasons behind it, and the results of it, as well as the history of law in Telouet in particular, and the total Moroccan field in general.

ISSN 2311-5181

_ The multiplicity and variety of types of contracting in Telouet -from which we have chosen four models- indicate the urgent desire of the inhabitants of this field to legalize their daily transactions, and their need to fulfill their covenants, to achieve the stability and continuity of their society. It also demonstrates deep awareness and advanced cultural maturity.

_ The different social relations associated with water transactions, solidarity, conflict, sale, mortgage, etc., reflect an important aspect of the crisis or prosperity known to society, and the degree of disparity between its components, especially between Muslims and Jews.

_ These contracts have been effective solutions to many conflicts, especially it was developed in a proper legal manner, albeit traditional, all contractual conditions are met, and therefore the possibility of discovering the depth of man's successive management of their conflicts and transactions, both at lower levels (between members of the same village) or at higher levels (between the villages).

_ The kind of the information provided by such documents provides the researcher, of the historical studies, valuable reference information, it contains topics of direct relevance to man and society, through, which is not easy, it is possible to follow the march which the successive society passed through within different historical periods, and to identify the strengths and weaknesses in this march. This is closely related to the ability of the researcher studying these documents to question them.

Conclusion

We did not intend, through this brief work, to provide an accurate analysis of the subject of water transactions in the region of Telouet, and to take into account all its rationale - this is not allowed by the capacity of the research - as far as we are oriented towards a set of problems, which we have seen is important, which calls for research and study, which may be useful in forming the nucleus of a serious study on the social and economic history and the history of law in the region ...

To the extent that water contributed to the creation of the historical event, through the various aforementioned transactions (sale, charity, mortgage, conflict ...), so much as reflected in the documentary production, and contributed to its diversification, which constitutes, for a specialist in the field of history, a documentary material that is with a lot of importance, so we wanted to introduce our source/documents and offer a modest opinion on how to deal with it, by providing a technical reading.

ISSN 2311-5181

Bibliography

1. Four documents of interest: assignment of the right to water for good and charity, conflict, sale and mortgage of water, dated B: between the late thirteenth century AH (1295 AH) / late seventies of the nineteenth century (1878), and fifties of the fourteenth century AH (1351 AH) /thirteenth of the twentieth century AD (1932).
2. It is as follows:
3. _ Mr. Mohammed ben Mohammed Ben EL Madani Ait El Housseine, May God have mercy on him, from the inhabitants of the Telouet, he was about eighty-two (82) years on 01 January 2014.
4. _ Mr. Haji AbdouLah Baliout, a resident of the Telouet, was about seventy-nine (79) years on 29 December 2014.
5. _ Ahmad Houzali; **Name Telouet**, in Maàlamat Al Maghrib, Production of The Moroccan Association for authoring, translation and prenting, the prenting press Sala, Sale 1415 AH/1995 AD, volume VIII, p 2529.
6. _ Mohammed Oujamaa; **Name of Glaoua**, in Maàlamat Al Maghrib, Production of The Moroccan Association for authoring, translation and prenting, the prenting press Sala, Sale 1410 AH/1989 AD, Volume II, p 618.
7. _ Rachid El Housaini; **Geographic names and identity, the Amazigh names of the Sahara and Mouritain**, oublication of the associationof development and cultural and social action, whithout date, p 14.
8. _ Ali Safi Moumen; **Origin of the term "Laouh" which is called "Amazigh law recorded"**, within the symposium "Law and Society in Morocco", series of seminars and debates No. 7, Coordination of Al-Hussein, Azi and Al-Hussein Ait Bahcine, publications of the Royal Institute of Amazigh Culture, New Knowledge Press, Rabat, 2005, pp. 145_152. (in Arabic).

ISSN 2311-5181

البيت التقليدي بمدينة شفشاون : دراسة معمارية وأثرية

La demeure traditionnelle de la médina de Chefchaouen : étude d'architecture et d'archéologie monumentale

Riad BEN KHNOU/ lauréat de l'Institut National des Sciences de l'Archéologie et du Patrimoine, Rabat, Maroc
رياض بنخنو/ المعهد الوطني لعلوم الآثاروالتراث، الرباط، المغرب

ملخص:

تهتم هذه الدراسة بموضوع عمارة المساكن التقليدية بمدينة شفشاون المغربية، بهدف استكمال النقص الحاصل في الأبحاث المنجزة حول البيوت التقليدية لمدينة شفشاون وتوثيقها وإبراز أهم السمات المعمارية والجمالية المميزة لها، في ظل ما تعيشه المدينة العتيقة من تغيير وتشويه في معالمها التاريخية، نظرا للتطورات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها المدينة منذ بدايات القرن العشرين وازدهارها السياحي وانفتاحها الكبير على العالم. في هذا المقال سنتطرق أولا للتنظيم المكاني للبيت الشفشاوني التقليدي، وثانيا سنتحدث عن أهم التقنيات والمواد المستخدمة في بنائه وزخرفته، اعتمادا على الدراسات السابقة وبحثنا الميداني.

الكلمات المفتاحية: شفشاون، معمار، مسكن، تراث.

Résumé

La ville de Chefchaouen au Maroc renferme un patrimoine architectural domestique de grande importance. Pourtant, on constate que ses demeures traditionnelles ont suscité peu de recherches archéologiques et nécessitent davantage d'investigations dans ce domaine, afin de mieux définir leurs caractéristiques architecturales. C'est pourquoi, on a estimé que la réalisation de cette étude monumentale pourrait venir combler des lacunes documentaires et contribuer à la mise en valeur de cet héritage de l'architecture marocaine.

Cet article présente l'habitat traditionnel de Chefchaouen avec la description de son organisation spatiale, ses matériaux et techniques de construction, en se basant sur notre enquête de terrain et des travaux réalisés précédemment.

Mots-clés : Chefchaouen, architecture, habitat, patrimoine.

مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية
JIL Journal of Human and Social Sciences
ISSN 2311-5181

Système de convention

Pour la transcription des mots arabes, nous avons utilisé le système adopté par la revue des études islamiques.

Les signes suivants ont été utilisés, en caractères ordinaires pour les noms communs, en caractères italiques pour les noms propres.

’	ء		
b	ب	ṭ	ط
t	ت	ẓ	ظ
ṯ	ث	‘	ع
ǧ	ج	ġ	غ
ḥ	ح	f	ف
ẖ	خ	q	ق
d	د	k	ك
ḏ	ذ	l	ل
r	ر	m	م
z	ز	n	ن
s	س	h	ه
š	ش	w	و
ṣ	ص	y	ي
ḍ	ض		

- Voyelleslongues: ا = ā ; و = ū ; ي = ī Voyellesbrèves - = a ; و = u ; _ = i
- Les noms arabes d’usage courant dans le français ne sont pas transcrits (ex. Les Almoravides)
- Le pluriel sera marqué par l’ajout d’un s « muḥtasib-s » au singulier arabe et la tā’marbūṭa sera transcrite par a.

ISSN 2311-5181

Introduction

Le Maroc possède un patrimoine architectural enraciné dans son histoire. C'est une part de son identité culturelle, constituant un produit authentique à l'esthétique substantielle, qui se traduit par une richesse des formes édifiées et une variété conséquente de matériaux et de techniques de construction ancestrales.

L'habitat traditionnel fait partie intégrante du patrimoine marocain bâti. Il est considéré comme ayant valeur de témoignage de son passé être présente de ce fait un héritage à préserver et à transmettre.

Dernièrement, le royaume du Maroc a lancé de vastes et ambitieux chantiers de réhabilitation et de restauration pour la valorisation des médinas historiques, dont celle de Chefchaouen située au Nord-Ouest du pays.

Chefchaouen est à l'origine une kasbah fondée en 1471 ap.J.C dans le Rif occidental pour résister aux invasions portugaises[1]. Après la chute de Grenade en 1492 ap.J.C., elle s'est convertie peu à peu avec l'arrivée des réfugiés andalous au Maghreb en petite ville prospère[2].

Cette médina à la population mirurale mi urbainese caractérise par un habitat traditionnel particulier qui n'a pas été suffisamment étudié. En outre, sous les effets du modernisme et de la mondialisation, elle subitrécemment l'introduction de nouveaux types d'habitat, avec des matériaux et des techniques de construction contemporains qui altèrent de plus en plus son architecture domestique historique et impactent le mode de vie de ses habitants.

Aujourd'hui, les maisons traditionnelles de Chefchaouen sont dans un état désolant. Certaines ont déjà disparu tandis que d'autres sont transformées en bâtiments touristiques ou abandonnées par leurs propriétaires, tombant en ruine de jour en jour.

Malgré les efforts de l'Etat et de la société civile, on trouve souvent des situations bloquées dans des problématiques qui empêchent la réhabilitation d'une grande partie de ce patrimoine domestique, comme des entraves entre héritiers ou des couts élevés pour des travaux de restauration ou des exigences de maintenance.

[1]**BEN RAYSSŪN (M.), mūjaztārīẖ Chefchaouen, jamʿiyat al-daʿwa al-islāmiya**, matbaʿatal-Quds, Chefchaouen, 1986, p.36.

[2]**LÉON L'AFRICAIN (J.), Description de l'Afrique**,T.I, Trad. Épaulard A., Publications de l'Institut des Hautes Études Marocaines, N° LXI, Ed. Librairie d'Amérique et d'Orient Adrien Maisonneuve, Paris, 1981,p.331.

ISSN 2311-5181

Ainsi, il apparait indispensable d'approfondir l'étude de cet héritage architectural pour enregistrer le maximum de données possible avant qu'il ne soit trop tard.

En l'absence des recherches archéologiques et face à l'insuffisance des documents historiques, il me semble très difficile de retracer objectivement l'évolution architecturale des demeures de Chefchaouen au cours des siècles. De ce fait, on tentera seulement d'élucider les caractéristiques architecturales et les principes d'organisation de la demeure chefchaounie, en rapport avec sa structure sociale et le mode de vie de ses habitants.

Cette recherche se veut être qu'une simple contribution dans l'étude d'un patrimoine menacé en voie de disparition.

Organisation spatiale de la demeure

Les demeures de Chefchaouen suivent un plan de construction aux caractéristiques fondamentales de l'architecture de l'Occident musulman. Elles sont tournées vers l'intérieur avec une entrée coudée qui donne sur un patio central, bordé d'un à quatre portiques, autour duquel se répartissent les différentes pièces de la maison.

Cependant, il ne faudrait pas conclure à une uniformité générale et complète de toutes les demeures dans la médina. Au contraire, on constate qu'il y a des variations importantes dans leurs superficies, dans la forme du terrain construit, dans le nombre de pièces et leurs fonctions, ainsi qu'au niveau de l'architecture mise en œuvre pour la décoration. Ces disparités sont presque toujours directement liées au statut social du propriétaire.

En tenant compte de la diversité et des particularités de l'habitat traditionnel de Chefchaouen, on peut néanmoins déterminer ses principales composantes.

Le vestibule d'entrée

L'entrée de la maison traditionnelle se caractérise par un arc construit en briques cuites, un seuil réhaussé de quelques centimètres, un auvent couvert de tuiles rouges et une porte en bois percée d'un seul guichet. Elle donne sur un vestibule, dit « sṭwān », de dimensions réduites, qui permet par son agencement en chicane de préserver l'intimité de la famille des indiscrétions de la rue. Il est aménagé en véritable pièce d'accueil dans certaines demeures avec une ou deux banquettes adossées au mur.

ISSN 2311-5181

Ce lieu de passage devient un espace de distribution lorsqu'il permet d'accéder à des sanitaires, une écurie ou encore un escalier qui mène à une "mesriya", pièce indépendante située à son étage ou au-dessus de la rue.

Le patio

Les demeures de Chefchaouen sont construites avec un patio central à ciel ouvert, autour duquel sont réparties les différentes pièces d'habitation et de service.

Le patio a un plan de base carrée ou rectangulaire. Il est généralement bordé d'un à quatre portiques. La surface du sol est légèrement inclinée et placée à un niveau plus bas que celui des galeries et des pièces afin de les protéger des eaux pluviales évacuées dans des égouts[1].

Le patio accueille plusieurs activités domestiques comme la cuisson, le lavage de la vaisselle et du linge, le tissage, etc. Il sert aussi de lieu de rencontre et de célébration pour les fêtes familiales et religieuses.

Cet espace central est un véritable puits d'air et de lumière pour la demeure. Il est souvent agrémenté de plantes aux fleurs odorantes, voire d'arbres fruitiers quand la surface le permet.

Les pièces d'habitation

Chaque maison dispose au moins d'une salle principale au rez-de-chaussée ou à l'étage, donnant sur le patio. Cette pièce de forme rectangulaire mesure en général de 7 à 13 m de longueur, sur 2 à 3 m de largeur. Le milieu de la chambre est traditionnellement meublé de divans, tandis que les parties latérales sont pourvues d'une ou deux alcôves sensiblement surélevées et délimitées par un arc polylobé, construit en briques cuites. On peut trouver à l'extrémité de la pièce un simple cabinet en bois, dit « al-ṭārma», dont la hauteur ne dépasse guère 2,50 m, utilisé en tant qu'espace de bain et d'ablutions. Au-dessus de «al- ṭārma » reste un espace vide destiné au rangement, dit « al-sahwa »[2].

La porte d'entrée de ces grandes salles est en bois et se compose de deux ventaux percés d'un ou deux portillons, qui s'ouvrent sur la galerie du patio. De part et d'autre, on a toujours deux fenêtres protégées par des grilles en fer forgé qui assurent la ventilation et l'éclairage de la chambre.

Aux salles principales, s'ajoutent d'autres pièces aux dimensions plus modestes comme : al- Burṭāl et al-Meṣriyya.

[1] **Revault (J.), Palais et Demeures de Tunis du XVIème siècle**, vol.1, C.N.R.S, 1976, p.60.

[2] **Tlidi(A.), La maison de la culture andalouse à Chefchaouen**, mémoire de fin d'étude, ENA, 1986, p.84.

ISSN 2311-5181

Al- Burṭāl est une pièce ouverte aux dimensions moyennes, surélevée de quelques centimètres par rapport au sol du patio et délimitée souvent par la présence d'un ou trois arcs. Elle est réservée à la réception et aux réunions familiales, surtout dans la saison estivale.

Al-Meṣriyyaest une pièce indépendante de la maison, desservie par un escalier situé dans le vestibule d'entrée ou à l'extérieur de la demeure. Elle est souvent destinée à la location ou à l'hébergement temporaire d'un étranger.

Pièces annexes

« Bayt l-nār », « al-Mẖīzen », « Bīt l-mā » et « al-rwā »sont les principales pièces de service rencontrées dans la maison Chefchaounie. Elles se distinguent complètement des pièces d'habitation avec leur taille réduite et leur simplicité.

« Bayt l-nār »,littéralement la chambre du feu ou cuisine, est une petite pièce donnant souvent sur le patio, pourvue d'un foyer et d'une cheminée. Elle se situe généralement au rez-de-chaussée.

Le grenier, dit« al-Mẖīzen », est une pièce réservée au stockage des aliments. Elle se trouve au rez-de-chaussée ou à l'étage.

Les latrines, dites« Bīt l-mā », occupent des espaces résiduels au coin du patio ou dans le vestibule d'entrée de la maison. La ventilation est assurée par des ouvertures donnant sur l'extérieur quand cela est possible. La propreté de cet espace est assurée par un nettoyage régulier avec de l'eau et de la chaux.

L'écurie, dite« al-rwā», constituait une annexe importante dans les maisons de Chefchaouen, des plus modestes aux plus riches, pour héberger les ânes, les mules, les chèvres, les moutons et même les bœufs. Cette dépendance est souvent déplacée à l'arrière de l'habitation. Elle est accessible soit depuis le vestibule d'entrée, soit directement par une entrée indépendante.

Deux exemples de veilles maisons

Afin de bien comprendre la disposition générale de la demeure traditionnelle de Chefchaouen, on choisit d'illustrer notre description avec deux maisons construites à la fin du 15^{e} siècles.

DārBen Rayssūn

La maison Ben Rayssūn est l'une des maisons les plus anciennes de la médina de Chefchaouen. Elle se situe dans la rue SīdīBellḥsenau quartier Souīqa, juste à côté de la ZaouiyaRayssūniya, derrière la Kasbah. Cette

ISSN 2311-5181

demeure traditionnelle fut bâtie par le fondateur de Chefchaouen ʿAlī Ben Rāšid, à la fin du 15e siècle pour son secrétaire le juge ʿAlī Ben Maymūn[1].

C'est une maison construite sur deux niveaux. Elle est constituée d'un vestibule d'entrée en chicane, d'un patio à ciel ouvert, des pièces d'habitation et de service et d'un jardin à l'extérieur de la maison. On accède au patio de la maison à travers un vestibule d'entrée en chicane simple, mesurant 1,5 m de largeur et 3,5 m de longueur.

Le patio est un espace central à ciel ouvert de plan rectangulaire, de 8 m sur 7 m, autour duquel s'ordonnent les différentes pièces de la maison. Il est bordé, au rez-de-chaussée comme à l'étage, d'un portique tripartite sur son côté Nord.

On trouve au rez-de-chaussée un salon de réception dit « al-burṭāl », deux pièces d'habitation qui se font face sur l'axe Est-Ouest, des sanitaires, une cuisine, une fontaine murale et un bain traditionnel dans les différents espaces restants.

Desservi par un escalier circulaire, le niveau supérieur dispose de deux grandes pièces d'habitation et trois chambres de dimensions réduites.

Dāral-Ḥaḍri

La demeure traditionnelle Dār al-Ḥaḍrise situe en plein centre du premier quartier construit al-Souīqa, au fond d'une impasse qui rejoint l'artère principale. Elle fut construite à la fin du 15e siècle par la famille al-Ḥadri[2]. Elle se compose d'un vestibule d'entrée de dimension réduite, un patio à ciel ouvert entouré des pièces d'habitation et de service au rez-de-chaussée et à l'étage.

Le patio est de plan carré, de 4 m x 4 m, bordé de quatre portiques munis chacun d'un arc en plein cintre reposant sur des colonnes. Sur l'axe Nord-Sud, se trouve deux grandes pièces qui s'ouvrent sur le patio avec une porte à deux vantaux percés d'un guichet et surmontée d'un arc brisé surhaussé.

Toutes les pièces de service sont aménagées au rez-de-chaussée : une cuisine, une pièce réservée au stockage des aliments et des latrines.

[1] **BEN RAYSSŪN (M.)**, **mūjaztārīẖChefchaouen**, op.cit., p.34.

[2] **MECCA (S.)** et alii, Chefchaouen, **Architettura e culturacostruttiva**, ETS, Florence, 2009, p.94.

ISSN 2311-5181

Un escalier à l'angle Sud-Est conduit à l'étage où se situent quatre chambres d'habitation, précédées de portiques identiques à ceux du rez-de-chaussée. Les chambres sont couvertes d'une charpente en bois protégée par des tuiles rouges.

Les matériaux et les techniques de construction et de décoration

L'étude des différentes étapes dans l'édification des maisons permet de définir les techniques de construction utilisées à Chefchaouen.

Au préalable, l'environnement montagneux étant escarpé, il était indispensable de choisir un terrain convenable pour répondre aux besoins nécessaires de stabilité, assurant la meilleure assise possible au bâtiment. Les tranchées des fondations sont remplies de couches de chaux, de terre et de pierre, tassées par damage jusqu'à l'affleurement du sol extérieur. Dans certains cas, on a fondé directement sur le sous-sol rocheux constitué d'une roche homogène. Lorsqu'il était impossible d'aplanir sa surface, la roche devenait une partie intégrante de la structure d'appui de la maison[1].

Une fois les fondations solidement implantées, on procédait à la construction des murs en moellons mesurant généralement 40 cm d'épaisseur. Ils sont constitués en pierres de moyennes et de petites dimensions liées avec un mortier de chaux et de terre alternées parfois par des assises de briques cuites.

Les sols du patio et des différentes pièces du rez-de-chaussée sont formés de couches de terre et de chaux qu'on a damé au pilon tout en y versant de l'eau. Ils étaient dépourvus de zellige et recevaient simplement un chaulage régulier qui en assurait la propreté.

L'intérieur des maisons de Chefchaouen connaît un emploi considérable des éléments de soutien tels que les piliers, les colonnes, les arcs, les linteaux, les consoles et les corbeaux.

On constate l'utilisation de deux types de plafonds en bois pour couvrir les différentes parties de la maison : le plafond plat à structure apparente et le plafond en charpente.

Le plafond plat à structure apparente est d'usage dans les pièces du rez-de-chaussée et des galeries de la demeure. Il est composé de solives carrées qui soutiennent des voliges, à savoir des planches rectangulaires de

[1]**BACHIRI (S.)**, Chefchaouen : l'habitat, dialogue entre le passé et le présent, Mémoire de fin d'étude, Ecole d'architecture Paris-Ville,Paris , 2003, p.49.

ISSN 2311-5181

20 à 25 cm de largeur pour 2 à 3 cm d'épaisseur. Le voligeage obtenu est ensuite recouvert d'une couche de tout-venant, puis de mortier de terre et de chaux.

Le plafond en charpente en revanche constitue la toiture des pièces de l'étage. Sa structure porteuse est faite d'entraits, de chevrons et de lattes sur lesquelles on dispose par emboitement les unes sur les autres les tuiles rouges en terre cuite.

Le bois peint et le bois sculpté sont les deux éléments décoratifs les plus répandus dans les maisons de Chefchaouen qui restent assez épurées dans leur ensemble avec leurs sols et leurs murs entièrement chaulés.

Le bois est finement peint et sculpté en usant des motifs géométriques et floraux attrayants qui s'entremêlent pour séduire les regards.

Ces décors peints suivent généralement une palette de couleur composée essentiellement de rouge, de blanc, de bleu, de brun, de vert, de jaune et de noir.

Conclusion :

A l'issue de ce travail, on a dégagé les principaux traits qui caractérisent l'habitat traditionnel de Chefchaouen. C'est une architecture basée sur les normes islamiques en vigueur de l'époque mais qui a su marier la finesse de décors sophistiqués à la modestie de son environnement. On retrouve probablement ici le métissage de sa population mi citadine issue d'Andalous, mi rurale issue de ses montagnes rifaines. Ainsi, nous pensons à quelques pistes de recherche qui seraient intéressantes à mener plus profondément, notamment des études comparatives avec les habitats traditionnels du Rif, ou ceux d'autres médinas à empreinte andalouse, afin de circonscrire scientifiquement le réel degré d'impact de l'architecture andalouse dans l'habitat traditionnel de Chefchaouen. Le travail ici présenté n'est que l'esquisse d'une vaste étude enthousiasmante sur ces demeures,

ISSN 2311-5181

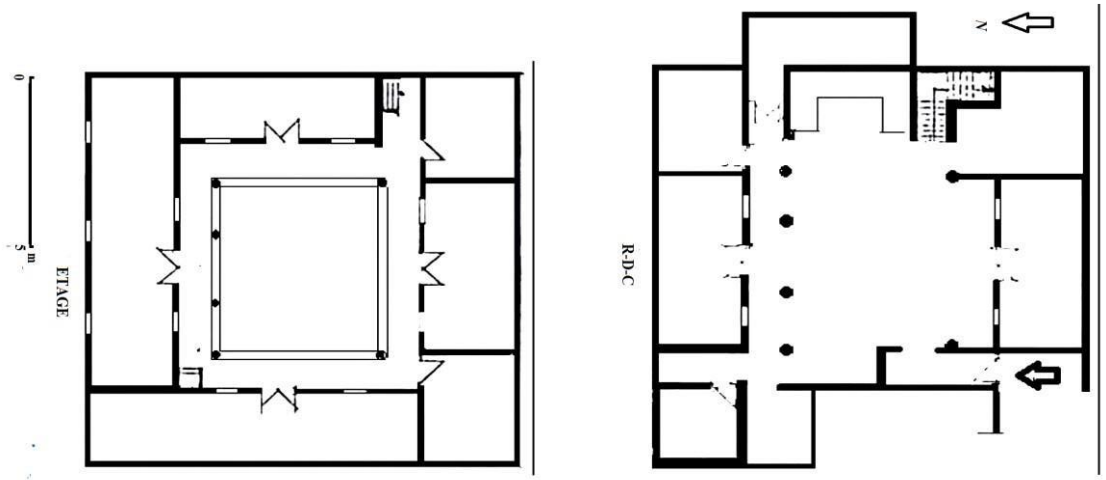

qui serait un riche apport aux études des diverses problématiques que connait la recherche sur l'origine et l'évolution de l'architecture domestique en Occident Musulman.

Figure 1 : plans du rez-de-chaussée et de l'étage deDār Ben Rayssūn[1]

Figure 2 : l'intérieur de Dār Ben Rayssūn (Photo prise par l'auteur l'auteur)

[1]**NACIRI (M.) et HASSANI (A.)**, Etude architecturale..., op.cit., p.60-61.

ISSN 2311-5181

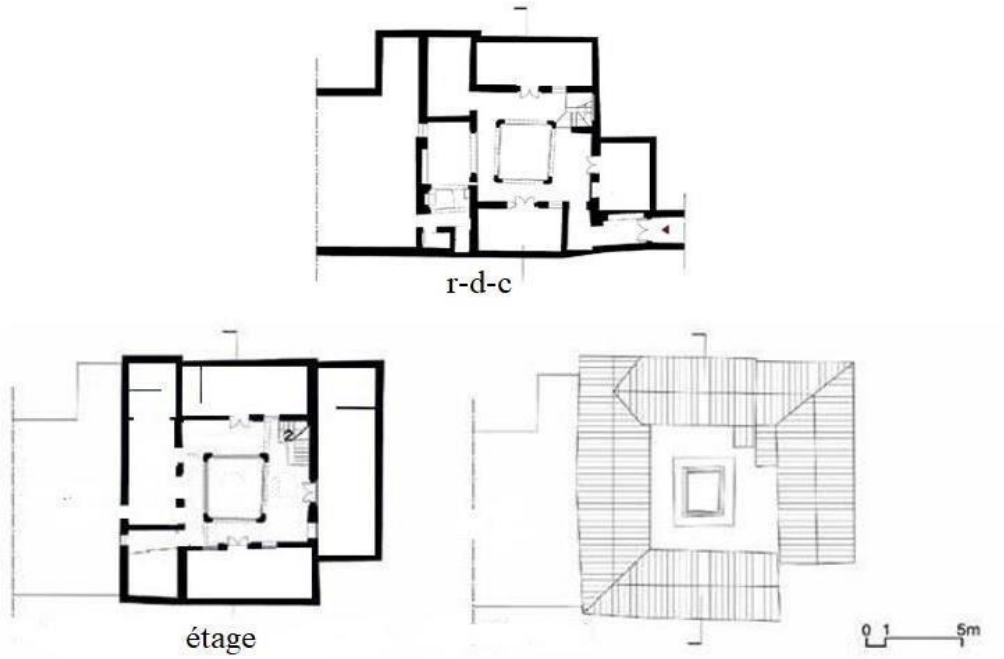

Figure 3 : plans de la maison al- Ḥaḍri[1]

[1]**MECCA (S.)** et alii, Chefchaouen..., op.cit., p.94-98..

ISSN 2311-5181

Figure 4 : Patio de la maison al- Ḥaḍri (photo prise par l'auteur)

Bibliographie

1. **BACHIRI (S.)**, Chefchaouen : l'habitat, dialogue entre le passé et le présent, Mémoire de fin d'étude, Ecole d'architecture Paris-Ville,Paris , 2003.
2. **BEN RAYSSŪN (M.)**, mūjaztārīẖ Chefchaouen, jamʿiyat al-daʿwa al-islāmiya, matbaʿatalquds, Chefchaouen, 1986.
3. **DIDI (I.)**, Habitat traditionnel dans la médina de Tlemcen, Mémoire pour l'obtention de diplôme de magister en Architecture, Université Abou Bakr Belkaid , Tlemcen , 2013.
4. **El FARZ (H.)**, L'architecture domestique dans un quartier de la ville d'Essaouira : LA Qasba, Mémoire de fin d'étude du II^{ème} cycle, INSAP, Rabat, 1994.
5. **HASSAR (J.)**,"Etude de deux ensemble de maisons du XVIII^{e} siècle à Salé,in l'habitat traditionnel dans les pays autour de la Méditerranée,T.1., Le Caire, 1988, p.199-241.
6. **LÉON L'AFRICAIN (J.)**, Description de l'Afrique,T.I, Trad. Épaulard A., Publications de l'Institut des Hautes Études Marocaines, N° LXI, Ed. Librairie d'Amérique et d'Orient Adrien Maisonneuve, Paris, 1981.

ISSN 2311-5181

7. **MECCA (S.)**et alii, Chefchaouen, Architettura e culturacostruttiva, ETS, Florence, 2009

8. **MOULINE (S**.), "Trois maisons de Rabat", in l'habitat traditionnel dans les pays autour de la Méditerrané.,T.I., Le Caire, 1988, p.243-254.

9. **NACIRI (M.) et HASSANI (A**.), Etude architecturale de la médina de Chefchaouen,

10. Ministère de l'Intérieur, Direction de l'Urbanisme et de l'Habitat, Rabat, 1985.

11. **REVAULT (J**.), Palais Et Demeures De Tunis du XVIème siècle, 2 vols, C.N.R.S, Paris, 1976.

12. **REVAULT (J**.), " Réflexions sur l'architecture domestique en Afrique du Nord et en Orient

13. ",in l'habitat traditionnel dans les pays autour de la Méditerranée**,** vol I., Le Caire, 1988, p.315.

14. **SAADAOUI (A**.), Testour du XVIIème au XIXème siècle, histoire architecturale d'une ville morisque de Tunisie, faculté des Lettres de La Manouba, Tunis, 1996.

15. **SAADAOUI (A**.),"La tuile creuse matériau caractéristique de la tradition architecturale en Tunisie : Diffusion, Fabrication et Utilisation : XVIIe-XIXe S", in Actes du IV symposium

16. International d'Etude Morisques sur : Métiers, vie religieuse et problématique, CROMDI, 1990 , p.290-302.

17. **TERRASSE (H**.), L'art hispano-mauresque des origines au XIII^{e}, ed.G.VanOest, Paris, 1932.

18. **TLIDI (A**.), Lamaison de la culture andalouse à Chefchaouen, Mémoire de fin d'étude, Ecole Nationale d'Architecture, Rabat, 1986.

جميع الحقوق محفوظة

© لمركز جيل البحث العلمي

ISSN 2311-5181